



الأعمال الكاملة للساعر الشهيد عبد الرحيم محمود (القصائد - المقالات)



تحقيق وتقديم: عز الدين المناصرة

دار الجليل

الأعمال الكاملة

للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود

□ الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود
□ تحقيق وتقديم: عز الدين المناصرة
□ الناشر دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق — ص. ب. ٤٦٤٨ — هاتف ٤١٥٠٨٩
□ حقوق الطبع محفوظة
□ الطبعة الأولى — دمشق ١٩٨٨
□ ١٩٨٨ / ١٠٠٠

الأعمال الكاملة للساعر الشهيد عبد الرحيم محمود

(القصائد - المقالات)

تحقيق وتقديم: عز الدين المناصرة

٦٥

دار الجليل

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الشجرات الثلاث :

ابراهيم طوقان : شجرة البرتقال

أبو سلمى : شجرة الزيتون

عبد الرحيم محمود : شجرة السديان .

عز الدين المناصرة

أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥

قسنطينة — الجزائر

ديوان عبد الرحيم محمود

○ مقدمة :

عبد الرحيم محمود : مشروع الأعمال الكاملة

بقلم : عز الدين المناصرة

نستطيع الآن وبعد جهود امتدّت منذ يناير / ١٩٨٢ في بيروت .. وحتى ٢٥ / سبتمبر / ١٩٨٥ في الجزائر — نستطيع القول : إننا قد قمنا بتأسيس مشروع الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود (١٩١٣ — ١٩٤٨) . وهذا المشروع يتكون من : ٦٩ قصيدة ، يصل مجموع عدد أبياتها إلى — ١٨٧٤ بيتاً شعرياً . ويمكن تحديد عدد الأبيات التي أضيفت ونشرت لأول مرّة — بـ : ٩٥١ بيتاً شعرياً . كما يمكن تحديد عدد القصائد التي تنشر لأول مرّة ثلاث وعشرين قصيدة ، يصل عدد أبيات إحدى هذه القصائد إلى — ١٠٠ بيت .

وهذا معناه أنّ طبعتنا هذه تفوق طبعة مركز إحياء التراث في الطيبة بالمثلث بتحقيق الأستاذ حنا أبو حنا ، الصادرة هذا عام — ١٩٨٥ — بنسبة الضعف أو يزيد . باعتبارها أفضل طبعة صدرت من بين الطبعات الأخرى .

وقد تميزت طبعتنا هذه باكتشاف مثير لخمس مقالات نقدية طويلة تنشر لأول مرّة . وكانت قد نشرت في مجلة الأمازي البيروتية في نهاية الثلاثينات باسم مستعار هو « مريم » . أما المقارنة مع الطبعات الأخرى : الأردنية — ١٩٥٨ — كامل السوافيري — ١٩٧٤ — مكتبة بلدية نابلس — ١٩٧٥ — نافع عبد الله — ١٩٧٩ .. فهي تظلّم واضعي هذه الطبعات باعتبارهم بذلوا جهداً ملموساً تميز بحسن النية والإخلاص .

إن العمل في هذا المشروع قد بدأ منذ مطلع عام ١٩٨٢ في بيروت . وفي مارس / ١٩٨٢ أمسكت بطرف الخيط ولكن في ظل ظروف عامة صعبة ، حيث كانت « إسرائيل » قد بدأت قبل ذلك تهديدها بإشعال الحرب . وفي ذلك الوقت بدأت مراسلاتي مع الأستاذ مروان راضي الطاهر المقيم في السعودية . كما أجريت إتصالات مع بعض أصدقاء الشاعر وتلاميذه . كما قمت بمراجعة وتصوير نتائج عبد الرحيم محمود الشعرية والنثرية المنشورة في مجلة الأمالي البيروتية . وفي حصار بيروت ، وصلت شظية من قذيفة إسرائيلية إلى مكتبي حيث استلقت على أوراق عبد الرحيم محمود بالتحديد ، فقد كان منزلي مواجهاً تماماً للمدينة الرياضية . وخرجنا من بيروت عراً في البحر الأبيض المتوسط . وتأثرنا في المنافي . لكنني استطعت تجديد الأمل بالعمل مرة أخرى في هذا المشروع . وفي أيار / ١٩٨٥ كنت قد إنتهيت من إعداد الطبعة الأولى (أنظر : عز الدين الناصرة : عبد الرحيم محمود : إضافات هامة لكن الشعر لم يكتمل - مجلة « الحرية » بتاريخ ٣٠ / حزيران / ١٩٨٥) . فوجئت بعدها بكسر ثمين جديد من القصائد والمخطوطات . وأصبح لديّ - ٦٥ قصيدة تتكون من - ١٨١٤ بيتاً ، وكدت أدفع بما لديّ للطباعة للمرة الثانية ، لكنني فوجئت بخبر في إحدى الصحف يقول بصور طبعة جديدة من ديوان عبد الرحيم محمود في المثلث - الطيبة بفلسطين بتحقيق الأستاذ حنا أبو حنا . وهنا قررت إرجاء الطبع . وفي ٢٢ / سبتمبر / ١٩٨٥ تلقيت نسخة من هذه الطبعة فقممت على الفور بالمقارنة والتدقيق ، فلم أجد فيها شيئاً ليس موجوداً لدي سوى أربع قصائد تتكون في مجموعها من - ٦٠ بيتاً وهي :

- ١ - ثورة العاملين - ٢١ بيتاً
- ٢ - حوشوا البنات - ٢٢ بيتاً
- ٣ - نشيد - ١٠ أبيات
- ٤ - أبيات متفرقة - ٧ أبيات

حيث قمنا بإضافتها إلى طبعتنا هذه . وبهذا تكوّن الديوان من - ٦٩ قصيدة تتكون من : ١٨٧٤ بيتاً . وبطبيعة الحال لا يمكن المقارنة في مجال (عدد القصائد) ، لأن من سبقوني وقعوا في خطأ تجزئ بعض القصائد إلى عدة قصائد انطلاقاً من أبيات

متفرقة سموها قصائد وهي في الحقيقة تكون قصيدة واحدة أحياناً ، فقد قمت بدمج بعض الأبيات المتناثرة التي سموها قصائد في مكانها الصحيح من نصوص أخرى . كما أن من سبقوني تبنا قصائد ليست لعبد الرحيم محمود مثل قصيدة « الخذلان » التي تبناها نافع عبد الله ونقلها عنه حنا أبو حنا . بينما قمت بحذفها لعدم وجود أي دليل يثبت صحة نسبتها لعبد الرحيم محمود ولأن الأسباب التي قدمها نافع عبد الله وتبناها حنا أبو حنا غير مقنعة . بينما أوافق حنا أبو حنا على تبنيه لقصيدة « ثورة العاملين » ، لأن ما قدمه من أسباب تبدو لي مقنعة .



لتحقيق ما نشر سابقاً ، لجأنا إلى المراجع التالية :

أولاً : الطبعة الأردنية — ١٩٥٨ :

تتميز هذه الطبعة بميزة إنجائية واحدة وهي أنها كانت أول إلتفاتة لشعر عبد الرحيم محمود .. ولجنة التكريم الأردنية تشكر على الجهد الذي قدمته . لكن مصيبة هذه الطبعة تتمثل في أن « لجنة التكريم الأردنية » تحولت إلى « لجنة ضبط وتنسيق » . أكثر من كونها لجنة تكريم لشاعر وشهيد . وقد أعطت هذه الطبعة إنطباعاً سلبياً حول شخصية عبد الرحيم محمود الشعرية . فالقصائد المنشورة تعطي إنطباعاً أن عبد الرحيم محمود شاعر عادي متوسط الأهمية ، وهذا الإنطباع أثر سلبياً على تقويم شعر عبد الرحيم محمود طيلة الفترة من صدور الديوان عام ١٩٥٨ وحتى الآن . وسأعترف أنسي كنت من الذين تأثروا بهذا الإنطباع ، إذ كنت أعتبر أن عبد الرحيم محمود أقل أهمية من إبراهيم طوقان — وأبي سلمى مثلاً من الناحية الشعرية . لقد مورست الرقابة على شعر عبد الرحيم محمود أكثر من مرة : مرة حين كان أصدقاء عبد الرحيم محمود يحاولون نشر بعض قصائده في الخمسينات ، حيث كانت الرقابة على الصحف تحذف أبياتاً وتبجز أبياتاً أخرى .

وحدثت الرقابة مرة أخرى حين مارست لجنة التكريم الأردنية حقاً ليس لها ، حين مسخت القصائد بالحذف والتشطيب . وهذه التشطيبات بخط أحد أعضاء اللجنة ،

واعتقد أنه الأستاذ عيسى الناعوري . كما قامت اللجنة بإخفاء قصائد هامة وقوية جماليا بينما نشرت قصائد أقل قوة . تقول اللجنة :

« ... ونود أن نعترف هنا أنّ اللجنة لم تر من الصواب أن تجمع في هذا الديوان كل قصائد الشاعر — ولا حتى القسم الأكبر منها — ولم تر كذلك أن تنشر كل قصيدة له بأكملها ، بل آثرت أن تترك ما تجده ضعيف الصياغة أو المعنى سواءً أكان ذلك الضعف في قصيدة كاملة أو في أجزاء أو أبيات من القصيدة . وهكذا اجتمع في هذا الديوان أحسن القصائد التي نظمها عبد الرحيم محمود وأمتها صياغة وأجودها معاني وأدناها على روح عبد الرحيم محمود القوية المجاهدة المحبة للجمال والعدالة والإنسانية » .

لكن من سوء حظ اللجنة ، أنني استطعت الحصول على النصوص التي قامت بحذفها . فالنصوص المحذوفة توضح سرّ الحذف وأسبابه وتؤكد عكس ما تزعمه اللجنة عام ١٩٥٨ . لقد تم الحذف لأسباب مزاجية شخصية . والأهم من ذلك تم الحذف لأسباب سياسية وأيديولوجية وتم ذلك انطلاقاً من مراعاة اللجنة للظروف السياسية في الأردن عام ١٩٥٨ . ولكن هذه — المراعاة — جاءت للأسف على حساب الأمانة العلمية وعلى حساب تراث الشاعر والشهيد . ومن المؤسف أيضاً أن الأستاذ عيسى الناعوري يعود في عام ١٩٨٥ ، أي بعد — ٢٧ سنة — من الخطأ ، إلى الإصرار على تبريراته وأسبابه ، حيث يقول : « .. فلم تشأ اللجنة أن تقدم ديواناً ضخماً يحوي الغث والسمين أنظر : صحيفة الدستور الأردنية بتاريخ ١٩٨٥/٨/٩ » .

إننا نقدم هنا في طبعتنا ما يسمّيه الأستاذ الناعوري « بالغث والسمين » من القصائد ونترك الحكم النقدي للمتقنين ليتأكدوا بأنفسهم أن ما حذف في معظمه هو من النوع « السمين » وللأسباب التي ذكرتها . ويبقى بعد ذلك أن أنبه إلى نقطة خطيرة وهي أن اللجنة : أخفت قصائد ومذكرات سياسية هامة ، كما قامت بدسّ بعض القصائد بين أوراق الشهيد ، وهذه القصائد المدسوسة تم تسريبها من قبل بعض المتعاونين مع اللجنة وهي ليست من تراث الشاعر ، بل تم توزيع نسخ منها للتغطية على القصائد المختفية التي تتناقض مع الخط السياسي للقصائد المدسوسة . ويقصد من

ذلك جرّ الباحثين إلى مجال الحوار حول هذه القصائد المدسوسة.

ثانياً : طبعة كامل السوافيري — ١٩٧٤ : أسوأ ما في هذه الطبعة هو مقدماتها

الكثيرة وغير المفيدة على الإطلاق ، والتي تزيد على ست مقالات ، إضافة للأخطاء المطبعية وغير الطباعية . كذلك اعتماد السوافيري اعتماداً كلياً على — الطبعة الأردنية — إلى درجة الإعجاب . إذ لم يُضف السوافيري للطبعة الأردنية سوى — ٦٨ — بيتاً بعد — ١٦ — عاماً من الطبعة الأردنية التي تكونت من : ٤٢٨ بيتاً فقط . أما طبعة السوافيري فهي تتكون من ٤٩٦ بيتاً فقط . وقد رجّع السوافيري إلى — ١٥ — مرجعاً .. فكيف يقول : إنه جمع قصائد الديوان !!! والأدهى من ذلك ، ذلك الأسلوب الإنشائي غير المفيد في المقدمات .. وسأضرب مثلاً واحداً على ذلك . يقول السوافيري عن الشعر الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨ : « ... ولطالما أُرقت قصيدة واحدة منه أجفان جنود بريطانيا ، وأقضت مضاجعهم وعكرت صفو أمن البلاد ، وأثارت القلاقل والاضطرابات ... » . وكنا نتمنى لو أن السوافيري نشر مقالاً واحداً فقط من المقالات الست وهو الخاص بذكر المصادر التي استقى منها ما أضافه وطريقة تحقيق النصوص ، بدلاً من الخلط بين الفعل الإبداعي وبين الفعل الثوري ، وبدلاً من تسمية ثورة ١٩٣٦ بالقلاقل والاضطرابات . وبدلاً من الحديث عن جغرافية وتاريخ فلسطين وبدلاً من الإنشاء الذي لا يفيد النصوص إطلاقاً .

والأهم من ذلك أنه يسمي أبياتاً من إحدى قصائد عبد الرحيم محمود « من شعر عبد الرحيم محمود » ، وكأن كل الديوان ليس لعبد الرحيم محمود ، ثم لأن هذه الأبيات ليست قصيدة مستقلة ، لأنها جزء من قصيدة « في حالة غضب » . كذلك زعم السوافيري أنه رجّع إلى مجلة « الأمالي » البيروتية (أنظر مثلاً : هامش قصيدة الشهيد) . ومع هذا فنحن نؤكد أن السوافيري لم يرّ مجلة الأمالي إطلاقاً ، لأنه لو رجّع لهذه المجلة لاكتشف أن عبد الرحيم محمود لم ينشر قصيدة الشهيد فقط في هذه المجلة ، بل نشر ١٢ قصيدة وخمس مقالات . فكيف وجد السوافيري قصيدة الشهيد ولم يجد غيرها !!! ولا نريد أن نقول ما هو أكثر من ذلك عن طبعة السوافيري .

ثالثاً : طبعة مكتبة بلدية نابلس — ١٩٧٥ : هذه الطبعة مزيج من النصوص الشعرية والتأريخ لحياة الشاعر وبعض التعليقات الإنشائية على القصائد . وقد اعتمدت أيضاً على الطبعة الأردنية وعلى بعض الإضافات من الرواة وهي قليلة . كما لم تطلع على طبعة السوافيري . كما لم ترجع هذه الطبعة مباشرة إلى مجلة الأمالي البيروتية . ولهذا جاءت ناقصة من حيث النصوص . لكن ميزة هذه الطبعة أنها لم تزعم أنها قدمت ديوان عبد الرحيم محمود ، لأن طبعة مكتبة بلدية نابلس لم ترفع شعار إعادة تحقيق ديوان عبد الرحيم محمود .

رابعاً : مجلة الأمالي البيروتية : صدرت مجلة الأمالي البيروتية (١٩٣٨ — ١٩٤١) في بيروت ، وكان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها هو الدكتور عمر فروخ . وقد نشرت المجلة — ١٢ قصيدة للشاعر عبد الرحيم محمود . ويجد القارئ هذه المجلة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم : 059-A48aA .

خامساً : طبعة نافع عبد الله — ١٩٧٩ هذا الكتاب عبارة عن أطروحة ماجستير قدمها مؤلفها في الجامعة اليسوعية في بيروت قبل نشرها بسنوات . وهي — كما هو واضح — قدمت من أجل جمع وتحقيق نصوص الشاعر الشعرية والنثرية ، إضافة لدراسة شعر الشاعر وسيرته الذاتية . وما يهمنا طبعاً هو — النصوص الشعرية والنثرية — وهي هدف أساسي للأطروحة .

وميزة هذه الطبعة تتمثل في انتباه المؤلف — نافع عبد الله — للنتاج الشعري الذي نشره عبد الرحيم محمود في مجلة الأمالي . إضافة للقليل من القصائد المنشورة في الصحف الفلسطينية ومن الرواة . وهي بلا شك أفضل من المحاولات السابقة . ولكن :

أولاً : نشر نافع عبد الله عدداً من القصائد التي لا تتجاوز بيتاً أو بيتين أو حتى نصف بيت على أنها قصائد مستقلة وكانت هذه الأبيات تحسب كقصائد كاملة مستقلة . مع أن الأفضل هو دمجها مع المقدمة حتى تثبت صحتها ومكانها الصحيح .

لقد اعتبر المؤلف أن مقطع «تمور البصرة» يشكل قصيدة مستقلة، ثم ثبت أن هذا المقطع هو لإحدى لزوميات قصيدة اللزوميات. ونشر قصيدة «عيد الجامعة العربية» ناقصة.. ثم نشر قصيدة «طريق الحياة» على أنها قصيدة مستقلة. مع أنها أبيات من القصيدة الأولى. ثم يخطيء في ذكر مناسبة الأبيات.

ثانياً: لقد رجع الباحث بنفسه إلى مجلة الأمالي.. وما دام قد قدم أطروحته في بيروت فهو لم يخطر بباله أن يسأل رئيس تحرير المجلة — عمر فروخ — الموجود في بيروت أيضاً. وما دام الباحث قد وضع فصلاً من أطروحته بعنوان «المقالات» إلا أنه عثر على مخطوط لمقال واحد ناقص — من خارج الأمالي، فلم يخطر بباله أن كنزاً ثميناً من مقالات عبد الرحيم محمود موجود في الأمالي نفسها — أعني مقالات عبد الرحيم محمود النقدية الموقعة باسم مستعار هو «بقلم: مريم».. ما دام المؤلف نفسه قد عاد إلى قصائد منشورة باسم مستعار هو «س» واهتم بالتحقق من نسبتها للشاعر.

ثالثاً: تبني المؤلف — قصيدة «الخدلان» — ٢٣ بيتاً — المنشورة في مجلة الأمالي — السنة الأولى — العدد ٤٨ — سنة ١٩٣٩، بتوقيع «س... دمشق»، معتمداً على إشارة أخرى وهي أن الشاعر سبق أن وقع بتوقيع «س» تحت قصيدته المعروفة «نفس الشريف» في الأمالي — عدد ٢ — سنة ١٩٣٨. ويضيف نافع عبد الله قائلاً: «لأن الشاعر غادر فلسطين إلى دمشق بعد توقف الثورة وهو حائر. ولأن القصيدة من الناحية الفنية تتفق مع روح شعره».

لكنني أعترض اعتراضاً كبيراً على هذه القصيدة، لأن مجلة الأمالي نفسها نشرت في عددها العاشر قصيدة مترجمة للشاعر الفرنسي لامرتين بتوقيع «س... دمشق».. فلماذا لم يضيفها نافع عبد الله إذن؟! ونشك كذلك في صحة نسبة هذه القصيدة لعبد الرحيم محمود لأن عمر فروخ في رسالته الموجهة لأديب مهيار بتاريخ ١٨/٦/١٩٥٤، لم يورد هذه القصيدة ضمن قصائد الشاعر المنشورة في الأمالي. ثم لو قلنا بتطابق القصيدة مع الروح العامة لشعر عبد الرحيم محمود وهو سبب ضعيف

ليس له ما يبرهنه ، فإننا انطلاقاً من هذا «الإحساس العام» يمكن أن نضيف أياتاً لم تنشر حتى الآن تتطابق مع روح بعض قصائد عبد الرحيم محمود ، مثل الأيات التي تروى أحياناً على أنها لعبد الرحيم محمود لتشابهها مع قصيدة من قصائد عبد الرحيم محمود ، تقول هذه الأيات :

قد قلت لما أن رأيت صليبيها	ذهباً تدلّى فوق صفحة عاج
يا ليتني كنت المسيح لساعة	متعلقاً في صدرها الوهاج
لم أحش قطفهما وحي عيونها	رمانتين ولو بغير بضاج

إذن لقلنا إن هذه الأيات تتطابق مع أيات قصيدة عبد الرحيم محمود « بيني وبين قلبي » التي مطلعها :

قلت لقلبي إنها كافرة تعبد يا قلب صليب المسيح

ولكن هذه الأيات هي أقرب لشعر إبراهيم طوقان منها إلى شعر عبد الرحيم محمود . أما ما هو سر قصيدة عبد الرحيم محمود « بيني وبين قلبي » . ولماذا تتشابه مع شعر إبراهيم طوقان ، فهذا يعود لسببين :

— أولاً : إن عبد الرحيم محمود كان تلميذاً لإبراهيم طوقان وهو متأثر به .

— ثانياً : لأن حبيبة عبد الرحيم محمود ، كانت مسيحية المذهب مثل حبيبة إبراهيم طوقان . واسمها (سلمى سليم القرّة) وهي ممرضة لبنانية كانت تعمل في نابلس . ويمكن ملاحظة أن إبراهيم طوقان تغزل بأكثر من ممرضة وقد كان من المراجعين الدائمين للمستشفيات بسبب مرضه .

نقول كل هذا لنؤكد أنّ مقولة «الحس العام» لا تكفي في النقد الأدبي إذا لم تدعمها البراهين .

سادساً : طبعة — حتّا أبو حنا — ١٩٨٥ : هذه الطبعة هي نتاج عمل مشترك

أشرفت عليه لجنة خاصة بدعم من مركز إحياء التراث في الطيبة — المثلث — بفلسطين . وقد أضافت هذه الطبعة على الطبعات السابقة بعض الأيات على

النصوص المنشورة سابقاً . ولقد استغدنا من هذه الطبعة ما مجموعه ٦٠ بيتاً فقط من أربع قصائد ليست موجودة لدينا . ورغم أن هذه الطبعة نسخت ما قبلها بالفعل ، إلا أن ملاحظتنا عليها تتمثل في التالي :

أولاً : إن مجموع ما قدمته هذه الطبعة هو ٨٩١ بيتاً شعرياً . أي نصف ما قدمناه في طبعتنا هذه . ولهذا نقول إن طبعة مركز إحياء التراث ناقصة أيضاً .

ثانياً : تبنت هذه الطبعة قصيدة — الخذلان — ٢٢ بيتاً نقلاً عن نافع عبد الله دون تحقيق ، مع أن هذه القصيدة ليست لعبد الرحيم محمود .

ثالثاً : قالت هذه الطبعة إن قصيدة « نحن المصادر والموارد » هي من الإضافات الجديدة (انظر : صفحة ٣٤١) . ونحن نستغرب ذلك لأن هذه القصيدة منشورة سابقاً في الطبعات السابقة (انظر : نافع عبد الله صفحة ١٥٦) ، وهي منشورة أيضاً في الطبعة الأردنية وفي طبعة السوافيري وفي الطبعة النابلسية .

كذلك فإن قصيدة عيبر منشورة في بعض الكتب سابقاً .

رابعاً : تسمي مجموعة من الأبيات المتفرقة وعددها سبعة أبيات بثلاث قصائد مستقلة ، مع أن الأصح هو وضع كافة الأبيات المتفرقة تحت عنوان « أبيات متفرقة » حتى يتم اكتشاف مكانها الصحيح (انظر : صفحة ٣٢٦ و صفحة ٣٢٨) .

خامساً : لم تشر الطبعة إلى أن قصيدة « أنشودة التحرير » قصيدة منشورة سابقاً في بعض الطبعات السابقة (انظر : صفحة ٣٣٧) ، علماً أنها منشورة سابقاً وتتكون من ٤١ بيتاً عند نافع عبد الله (انظر : صفحة ١٤٥) .

سادساً : نشرت الطبعة بعض القصائد المفقودة المتكونة من بيت واحد (ذكرى المولد) أو من بيتين (القرآن الكريم) ، وسمتها كقصيدتين مستقلتين ، وكان يجب إدماجهما في المقدمة حتى يتم التأكد منهما .

سابعاً: رغم الإضافات الجديدة لبعض القصائد المنشورة سابقاً فقد ظلت القصائد ناقصة .

ثامناً: اتفق مع هذه الطبعة حول قصيدة « احملوني » وحول ضرورة حذفها :
تختلف المصادر حول روايتها . وهم ينقلونها عن — عارف العارف — وقد أورد منها
البيتين الأولين فقط . أما البيت الثالث فقد ورد في طبعة مكتبة بلدية نابلس (ص ١٥) :

احملوني إحملوني واحذروا أن تتركوني
وخذوني لا تخافوا وإذا مت ادفوني
يا فلسطين وداعاً خالصاً من كل قلبي

والشك يأتي من مناسبة القصيدة . إذ قيلت — كما يزعم الرواة — عندما أصيب الشاعر بشظايا الموت في معركة « الشجرة » عام ١٩٤٨ ، وأنه قال هذه الأبيات وهو في طريقه إلى المستشفى الميداني ، أي قبل أن يفارق الحياة بساعات وربما بدقائق . إذ كيف يمكن لإنسان يموت أن يفكر في نظم الشعر وضبط الوزن وهو على محفة الموت .

ومع كل هذه الملاحظات تبقى هذه الطبعة أفضل من سابقتها . أما من حيث المقدمات التي كتبها حنا أبو حنا فهي مفيدة لجهة الاعتراف لأول مرة باتجاه — عبد الرحيم محمود — اليساري ، فكل الطباعات السابقة حاولت التهرب من شرح سر القصائد العمالية التي كتبها عبد الرحيم محمود أو أشارت إلى ذلك بخجل تحت ضغط الثقافة السائدة .

لقد ركزت كافة الدراسات على عبد الرحيم محمود الشاعر الشهيد الذي آمن ومارس فكرة الكفاح المسلح وحبّه للشهيد الشيخ عز الدين القسام ، صاحب الصيحة المشهورة : « موتوا شهداء » . وحين استشهد الشيخ القسام وعدد من رفاقه في ١٩/١١/١٩٣٥ ، واحتفل بتشيع جثمانهم في حيفا احتفالاً تظاهرياً كبيراً في مسيرة — ١٠ كيلو مترات من حيفا إلى المقبرة في « بلد الشيخ » — شارك عبد الرحيم محمود

في هذا الموكب ، كما يشير حنا أبو حنا ، إلا أن الجديد الذي يضيفه حنا أبو حنا في مقدمته هو التأكيد على الجانب الاجتماعي أو الاتجاه اليساري العفوي في شعر عبد الرحيم محمود وهو يشرح ذلك على النحو التالي : « لقد توطدت صداقات — عبد الرحيم محمود — مع الفئات اليسارية . إلتقى في الناصرة — وكان يأتي للإقامة فيها في العطل الصيفية — صديقه فؤاد نصار الذي كان يدير مكتبة فيها من الكتب والمجلات اليسارية والاشتراكية مما كان يصدر في أنحاء العالم العربي . وكانت هذه المكتبة ملتقى فكرياً يجتمع فيه المثقفون يناقشون شتى الشؤون الفكرية والوطنية . وكان أصدقاء عبد الرحيم محمود في الناصرة أيضاً من أعضاء « عصابة التحرر الوطني » الشبطين في « نادي النهضة » في المدينة . وبرز هذا البعد في قصائده التي يتحدث فيها عن آلام الطبقة العاملة وآمالها ، والتي شرع بنشرها في جريدة « الاتحاد » منذ سنتها الأولى في آب / ١٩٤٤ . وتصدر « رابطة المثقفين العرب » اليسارية مجلة « الغد » في القدس في تموز / ١٩٤٥ . وفي العدد الأول منها تحية شعرية من عبد الرحيم محمود بهذه المناسبة بعنوان « فلا تسلموا الأمر عمياناً » بتوقيع (ع . م) في صفحة مواجهة لمقال بقلم : فؤاد نصار . ويوالي عبد الرحيم محمود النشر في « الغد » باسمه الصريح حيناً وبالإشارة « غير الصريحة حيناً آخر » . ويضيف حنا أبو حنا : « تعرفت إلى (أي الطيب) في الناصرة في العطلة الصيفية سنة ١٩٤٦ : كان يلبس القمباز العربي والكوفية ويلتف حوله في (نادي النهضة) عدد من الأصدقاء ... كان مجلسه في نادي النهضة أو في (مقهى العين) مشهوداً تحس فيه تقدير جلسائه ومحبتهم له فقد تميز بالإخلاص والشهامة » . ثم يضعنا حنا أبو حنا في طقس تلك الأيام فيقول : « أثارت الحرب العالمية الثانية اهتمام المثقفين في بلادنا للتعرف إلى الأبعاد الفكرية والأيدولوجية التي انطوى عليها الصراع بين المحور النازي من جهة وبين الحلفاء ومنهم الدول الاشتراكية — الاتحاد السوفيتي . وقد أتيح للقوى اليسارية شيء من حرية العمل . ومن ناحية أخرى قويت الطبقة العاملة وقوي تنظيمها ، وكان « مؤتمر العمال العرب » محوراً استقطب فئات واسعة من الهيئات العمالية ، وصدرت جريدة « الاتحاد » لساناً لهذا المؤتمر . وانتظم المثقفون الواعون في « رابطة المثقفين العرب » التي أنشأت لها فروعاً في مختلف

أنحاء البلاد — وكانت مجلة « الغد » منبراً لها . وقد انعكس هذا الواقع على الشعر الفلسطيني — والأدب الفلسطيني عامة — آنذاك . وأقيم الإتصال الثقافي بين الفئات اليسارية والتقدمية في مصر والعراق وسوريا ولبنان . ودُعي — محمد مهدي الجواهري إلى فلسطين حيث ألقي قصيدته المطولة « عالم الغد » . ونشرت الصحف في فلسطين ، شعر (محمد كمال !!!)^(٢٠) وغيره من شعراء مصر التقدميين وبرز في الشعر الفلسطيني صوتان رئيسان يعقدان الأمل على الطبقة العاملة .

بل إن رؤيتهما اقترنت برؤية الطبقة العاملة على أنها العمود الفقري في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني ، هذان الصوتان هما : صوت عبد الرحيم محمود وصوت أبي سلمى — عبد الكريم الكرمي . وكان كلاهما مؤازرين لرابطة المثقفين العرب ومواقفها . وقد نشرا في « الاتحاد » و « الغد » . وشاركا في المهرجانات والمؤتمرات العمالية بإلقاء الشعر . وقد أشار إبراهيم عبد الستار لهذا المنحى اليساري لعبد الرحيم محمود — في كتابه « شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية » الصادر في حيفا عام ١٩٤٧ ، حيث يقول : كان عبد الرحيم محمود « إشتراكي النزعة ذي مبدأ ومذهب في الحياة الإنسانية » . إذن نعتبر ما قاله حنا أبو حنا — شهادة موثوقة عن أيام عاشها وعن هذا الجانب في شعر وشخصية عبد الرحيم محمود ، هذا الجانب الذي أخفي بطريقة أو بأخرى أو تم تقليل أهميته . كما أتذكر شهادة أخرى قدّمتها — منعم جرجوره — من الناصرة حول هذا المنحى اليساري عند عبد الرحيم محمود — ونشرها في جريدة « الاتحاد » قبل سنوات قليلة تؤكد ما رواه حنا أبو حنا ..

وقد تميزت طبعة مركز إحياء التراث أيضاً بأن أبياتها مشكولة وأنّ الخقق لم يقسم قصائد الشاعر إلى أغراض شعرية كما فعل الآخرون .



لقد قمنا بمقارنة النصوص التي نمتلكها والتي سبق نشرها كاملة أو منقوصة في الطبعات السابقة . ووجدنا أن إضافتنا في هذا المجال ، أي تحقيق النصوص السابقة هي — ٢٠٧ — أبيات بالمقارنة مع طبعة مركز التراث — ١٩٨٥ التي هي أفضل طبعة .

وقد قمنا بحذف قصائد مثل : احمولوني — الخذلان (مجموعها = ٢٥ بيتاً) من طبعتنا . بينما لم نحذف قصيدة « الخذلان » — عند جمع عدد الأبيات — في طبعة مركز التراث ، بل ضمت للعدد العام للأبيات . كذلك قمنا بإدماج قصيدتين تنشران لأول مرة — داخل الجدول وهما : ليلة ذات فجرين (٢٩ بيتاً) مع أن الطبعات السابقة جميعها قدمت منها نصف بيت واحد فقط . وقصيدة : كتاب أضاء... (٤٢ بيتاً) مع أن جميع الطبعات السابقة بما فيها طبعة مركز التراث أثبتت منها — ٣ — أبيات فقط . وفيما يلي جدول بالفوارق بين الطبعات نقلاً عن طبعة مركز التراث التي نقلته عن دراسة محمود غنايم صادرة عام ١٩٨٠ . وهو — هنا — جدول مُعدّل ، حيث قمنا بتصحيح وإضافات طفيفة للجدول :



اسم القصيدة	ل- ١٩٥٨	س- ١٩٧٤	ب- ١٩٧٥
	اللجنة الأردنية	السوافيري	مكتبة بلدية نابلس
	— عمان —	— بيروت —	— نابلس —
١ — المسجد الأقصى (نجم...)	١٣	١٣	١٧
٢ — وعد بلفور	١٩	١٩	١٨
٣ — شعب فلسطين	١٣	١٩	٢٣
٤ — إلى كل متهاود	٠٨	٠٨	٠٨
٥ — الشهيد	١٩	١٩	١٩
٦ — أيام النضال	—	٤	—
٧ — موت البطل	١١	٣٤	٣٦
٨ — بين الشرق والغرب	٢٠	٢٠	٢٠
٩ — كان غازي	—	—	١٥
١٠ — ذكرى الزمان	—	—	٤٥
١١ — الحنين إلى الوطن	١٧	١٩	١٧
١٢ — وأعدوا (ذكرى الهجرة)	—	—	٣٧
١٣ — حفي اللسان (الجامعة العربية)	٣٢	٣٢	٣٥
١٤ — طريق الحياة	مدججة مع ١٣	م	م
١٥ — أنشودة التحرير	—	٦	٢٣
١٦ — ذكرى المولد (ليلة...)	—	—	—
١٧ — نداء الوطن	١١	٢٠	١١
١٨ — إحمولي	—	٣	٣
١٩ — القرآن (كتاب)	—	—	—
٢٠ — يا رجال القلم (الغد)	—	٥	—
٢١ — تمور البصرة	—	—	٣
٢٢ — نون النسوة	—	—	—
٢٣ — يا عامل	—	—	١٨
٢٤ — أفكار في لزوم مالا يلزم.	١٣ = ٣ مقاطع	٢٧ = ٦ مقاطع	٣٤ = ٧ مقاطع
٢٥ — رثاء حمال	٣٢	٣٢	٣٢

ع-١٩٧٩	ح-١٩٨٥	م-١٩٨٥	الملاحظات
نافع عبد الله	الصف الأول	الصف الثاني	
— دُني —	حتا أبو حنا	عز الدين الناصرة	
	الطيبة —	دمشق —	
١٥	٢٩	٣٠	المسجد الأقصى = نجم السحود.
			أنظر: هامش القصيدة.
١٩	١٩	١٩	
٢٢	٢٩	٣٠	
٠٨	٠٨	٠٨	
١٩	١٩	١٩	
٠٤	٠٤	٠٤	
٣٤	٣٦	٣٦	
٢٠	٢٠	٢٠	
١٥	١٥	١٥	
٤٥	٤٥	٤٥	
١٩	١٩	١٩	
٣٧	٣٨	٣٨	ذكرى الهجرة النبوية = وأعدوا ..
٢٨	٥٦	٧١	
٠٥	م	م	أنظر: مقدمتنا هذه: م = مدججة
٤١	٤٠	٤١	
١	—	٢٩	تشر لأول مرة ذكرى المولد النبوي = ليلة ذات فجرين
٢٠	٢٠	٢٠	دعوة إلى الجهاد = نداء الوطن
١	أسقطت	أسقطناها	
٣	٣	٤٢	تشر لأول مرة (القرآت الكريم = كتاب أضاء) ... وهي
			غير قصيدة «القرآن»: كتاب لا يفهم المدح
٥	٩	٠٩	
٢	٢٦	٤٣	م = أدمجت
١٨	١٩	٣٠	
٢٧ = ٦ مقاطع	٤٥ = ١٠ مقاطع	٩٣ = ٢٢ مقطعاً	
٣٣	٣٣	٣٣	

٦	٦	٦	٢٦ - العيد
١٠	١٠	١٠	٢٧ - تبسم
١٧	١٦	١٥	٢٨ - في حالة غضب
—	—	—	٢٩ - الحلالان
٢٣	٢٣	٢٣	٣٠ - حاجر في كيان الرمل
٢٩	٣١	٢٩	٣١ - جفت على شفتي الأمانى
١٤	١٤	١٤	٣٢ - يا حياقي
—	—	—	٣٣ - فتى الحروب (سلمى)
٧	—	٧	٣٤ - يا لاهمي في الحب
٦	٦	٦	٣٥ - لعبة
١٨	١٨	١٨	٣٦ - راح الذي يتنا
١٤	١٤	١٤	٣٧ - مخلوقة أنت
٤	—	—	٣٨ - يا غزالاً
—	—	—	٣٩ - بيني وبين قلبي
١٤	—	—	٤٠ - جيش الحباب
١٣	١٣	١٣	٤١ - كبراء الحب
٣٨	٣٤	٣٤	٤٢ - نجوى المحضرة
١٠	١٠	١٠	٤٣ - إليها
٦	٦	٦	٤٤ - السكر شهي
١٥	١٥	١٥	٤٥ - نحن المصادر والموارد
—	—	—	٤٦ - ثورة العاملين
—	—	—	٤٧ - عيمر
—	—	—	٤٨ - حوشوا البنات
—	—	—	٤٩ - نشيد (أنت للعرب)
—	—	—	٥٠ - أبيات متفرقة
<hr/>			
٦٥٨ بيتاً	٤٩٦ بيتاً	٤٢٨ بيتاً	المجموع =
<hr/>			

٦	٦	٣١
١٠	٢٤	٢٨
٣٦	١٧	١٧
٢٢	٢٢	أسقطناها أنظر : الأسباب في هذه المقدمة .
٢٣	٢٣	٢٣
٣١	٣٠	٣١
١٤	١٤	١٤
٢	٣	٥ في الحروب = سلمى ارجيني
٧	٧	٧
٦	٦	٦
١٨	١٨	١٨
٢٠	١٩	٢٠
٤	٤	٤
١٢	١٢	١٢
١٤	١٧	١٧
١٣	١٣	١٣
٣٨	٣٨	٣٨
١٠	١٠	١٠
٦	٦	٦
١٥	١٥	٤٦
—	٢١	٢١
—	١٦	١٩
—	٢٢	٢٢
—	١٠	١٠
—	٧	٧ هيأت — نحن نفديك — هاروت

٧٣١ بيتاً	٩١٢ بيتاً	١١١٩ بيتاً
بدون حذف قصيدة «الخدلان»		
عند : ع + ح . ومع حذفها عند : م		

١ — الإضافات الشعرية الجديدة:

- إنَّ الإضافات التي قدمناها في هذه الطبعة، إضافة لـ ٢٠٧ — من الأبيات في النصوص المنشورة سابقاً، هي مجموعة من القصائد التي تنشر لأول مرة وهي:
- ١ — سياستا تسال — ١٥ بيتاً.
 - ٢ — رأيت فقلت — ٣٤ بيتاً.
 - ٣ — روضٌ وإني عندليه — ٦٥ بيتاً.
 - ٤ — ذكرى ثورة دمشق — ٥٧ بيتاً.
 - ٥ — طوفان دمشق — ٣٤ بيتاً.
 - ٦ — في العيد تلثم الجراح — ٣٧ بيتاً.
 - ٧ — يقظة النيل — ٣١ بيتاً.
 - ٨ — إلى العمّال — ٧٤ بيتاً.
 - ٩ — رهين المحبين — ٣٠ بيتاً.
 - ١٠ — قم بنا — ١٥ بيتاً.
 - ١١ — أحاجي — ٧١ بيتاً.
 - ١٢ — بديع الشعر — ٢١ بيتاً.
 - ١٣ — من سوانا مخلص — ٤ أبيات.
 - ١٤ — ما ضرَّ فاطمة — بيتان.
 - ١٥ — لما اكفهرت أوجه الليالي — ١٠٠ بيتاً.
 - ١٦ — الفلاح — ٧٤ بيتاً.
 - ١٧ — جرحان — ٢١ بيتاً.
 - ١٨ — كعان من زيتونه — ٤ أبيات.
 - ١٩ — بكى دما — ٥ أبيات.
 - ٢٠ — هكذا الأزهار — ٤ أبيات.
 - ٢١ — أنشودة التجذيف — ٨ أبيات.
 - ٢٢ — الشباب — ٧ أبيات.
 - ٢٣ — كتاب لا يفقه المدح — ٤١ بيتاً.

ومجموع أبيات قصائد هذه الإضافات هو — ٧٥٤ بيتاً جديداً تنشر لأول مرة. إذن يصبح مجموع الأبيات الجديدة المضافة هو: $٧٥٤ + ٢٠٧ = ٩٥١$ بيتاً جديداً في كل الطبعة لم تنشر في أي طبعة من الطبعات السابقة.



٢ — الإضافات النثرية الجديدة:

ظَلَّ اللغز قائماً منذ عام ١٩٣٩ وحتى الآن. والصدفة وحدها هي التي ساهمت في حل هذا اللغز. صدفةً حصلت على صورة طبق الأصل لرسالة موجهة من الدكتور عمر فروخ إلى أديب مهيار في نابلس. وتحمل الرسالة تاريخ ١٨/٦/١٩٥٤. وتتحدث الرسالة عن نتاجات عبد الرحيم محمود المنشورة في مجلة «الأمالي» البيروتية

التي كان عمر فروخ رئيس تحريرها وصاحب الامتياز . ومن بين النتائج يذكر عمر فروخ أسماء مقالات نقدية نشرها عبد الرحيم محمود في الأمالي باسم مستعار هو « بقلم : مريم » . وفي الأيام الأولى من شهر حزيران / ١٩٨٢ أي قبل يومين من حصار بيروت ، اتصلت هاتفياً بعمر فروخ في منزله من مكنتي في مجلة « شؤون فلسطينية » في مركز الأبحاث في بيروت . وسألته عن صحة نسبة الاسم المستعار لعبد الرحيم محمود ، فأجاب عمر فروخ بالإيجاب . ولم أذكر له شيئاً عن رسالته الموجهة لأديب مهيار عام ١٩٥٤ . واتفقنا على اللقاء في مكتبة الجامعة الأمريكية أو أن يزورني في مركز الأبحاث الفلسطيني ، لكن الحرب كانت قد اشتعلت وحالت دون اللقاء . وخرجت من بيروت مع الخارجين في الأول من سبتمبر — أيلول / ١٩٨٢ دون أن أحمل أوراقني التي كنت قد صورتها من مجلة الأمالي . وحين عاودت المحاولة للحصول على تلك الأوراق وأنا في الجزائر ، لاقيت صعوبات جمّة في هذا المجال ولكن ما إن اكتمل وصولها حتى بادرت بإرسال رسالة إلى عمر فروخ فأجاب خطياً بالإيجاب وكرر نفس التأكيد . وقمت بمقارنة توقيع عمر فروخ في الرسالة الجديدة — ١٩٨٤ مع توقيع القديم في الرسالة القديمة عام ١٩٥٤ فوجدته متطابقاً . إذن يبقى عمر فروخ هو المصدر الوحيد حول هذا الموضوع وهو مصدر موثوق . وفيما يلي نص الرسالتين — بعد حذف ما ليس له صلة بالموضوع :

أولاً : من عمر فروخ إلى أديب مهيار — بتاريخ — ١٨ / ٦ / ١٩٥٤ :

« لقد نشر للمرحوم عبد الرحيم محمود في « الأمالي » شعر ونثر . وها أنا أثبت عناوين مقالاته وقصائده :

أ — في مجلة « الأمالي » — السنة الأولى :

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| ١ — ما جبران ؟ بقلم : مريم | — العدد ٤٥ — ٧ تموز / ١٩٣٩ — نثر . |
| ٢ — أصف السراقين بقلم : مريم | — العدد ٤٨ — ٢٨ تموز / ١٩٣٩ — نثر . |
| ٣ — ما جبران ؟ بقلم : مريم | — العدد ٥٠ — ١١ آب / ١٩٣٩ — نثر . |
| ٤ — فصل في الشبهة بقلم : مريم | — العدد ٥١ — ١٨ آب / ١٩٣٩ — نثر . |

- ٥ - لعبة تهدى للعبة - العدد ١ - شعر .
 ٦ - روحي فقد راح الذي يتنا - العدد ٣ - شعر .
 ٧ - خالتي الميت من صدها - العدد ٦ - شعر .
 ٨ - يا غزلاً - العدد ٧ - شعر .
 ٩ - قلت لقلبي إنها كافره - العدد ٨ - شعر .
 ١٠ - حي الظباء الباديات كواكبا - العدد ٩ - شعر .
 ١١ - اسمعي يا من لقد خنت الهوى - العدد ١٠ - شعر .
 ١٢ - دنا الموت مني أيا جمفر - العدد ١١ - شعر .
 ١٣ - سأحل روحي على راحي - العدد ٢١ - شعر .
 ١٤ - أنذا أنشدت يوفيك نشيدي - العدد ٣٢ - شعر .
 ١٥ - كان نجماً يتدي الساري به - العدد ٣٣ - شعر .
 ١٦ - هات من ذكرى زمان العز هات - العدد ٤٤ - شعر (١٩٣٩) .

ب - في مجلة الأمل - السنة الثانية :

- ١٧ - الأدب المسكين - العدد الثالث - نثر .

وينهي عمر فروخ رسالته بقوله : « فإذا كان غمة قصيدة أو مقالاً بإمضاء - مريم = عبد الرحيم محمود » .

ثانياً : من عمر فروخ إلى عز الدين المناصرة - بتاريخ - ١١ / ١١ / ١٩٨٤ :

« وقد أحببت أن أفيدكم بأن « مريم » اسم رمزي وتوقيع مستعار كتب به الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود الذي استشهد في معركة الشجرة في شمال فلسطين عام ١٩٤٨ » .

إذن سننشر المقالات النقدية الخمس لأول مرة .. ونضيف مقالة واحدة سبق نشرها فتصبح ست مقالات .. ونترك الفضاء مفتوحاً للاحتالات .



لقد أشرت في هوامش بعض القصائد إلى أسلوب التحقيق الذي أتبع للتأكد من صحة النصوص :

- ١ - كنتُ أثق بالخطوط أكثر من القصائد المنشورة . وهناك عدة مخطوطات

- للقصيدة الواحدة، حيث كنت أقوم بالمقارنة بينها بيتاً بيتاً وكلمة كلمة.
- ٢ — إذا حدث أن كان بين يدي أكثر من مخطوطة. كنت أفضل المخطوطة المكتوبة بخط يد الشاعر نفسه. وكنت أقارن خطه مع خطوط أخرى له في قصائد أخرى. حتى يتم التأكد من أنه خطه وليس خط غيره.
- ٣ — وضعت القصائد المكتوبة بخطوط أصدقائه في المرتبة الثانية. وكنت أفضل من بينها — خط الأستاذ مروان راضي الطاهر صديق الشاعر.
- ٤ — حصلت على عدة مخطوطات من بلدان عربية مختلفة ومتباعدة جغرافياً. وهذا ساعدني على مقارنتها مع مخطوطات مروان الطاهر وآخرين. فكنت أقارن القصيدة الواحدة من خلال عدة مخطوطات.
- ٥ — خذفت شروح القصائد التي وضعها أصدقاء الشاعر حتى لا أثقل كاهل النص. وقمت بإثبات الشروح التي وضعها الشاعر نفسه. ولم أقدم شروحات إلا في حالات نادرة.
- ٦ — ألغيت ترتيب القصائد وفق الأغراض الشعرية كما في الطبقات السابقة — ما عدا طبعة مركز إحياء التراث — وقمت بترتيب القصائد وفق الطقس العام، لأن مفهوم الأغراض لا ينطبق — وفق فهمنا — على شعر عبد الرحيم محمود: (أنظر: مقالنا في الحرية — ٣٠ / حزيران / ١٩٨٥).
- ٧ — في حالة اختلاف الرواة، كنت ألجأ إلى أسلوب الترجيح، انطلاقاً من عدد تكرار الروايات. فإن وجدت ذلك في رواية واحدة مختلفة عن ثلاث روايات متشابهة، فضلت الثانية وهذا أمر منطقي. فالتذوق يتدخل في هذا العمل ولكنه ليس تذوقاً مزاجياً اعتباطياً، بل هو محكوم بقواعد.
- ٨ — لم أثبت من القصائد والأبيات إلا ما تأكدت منها تماماً. وحذفت كل ما يشك في أمره من أنه مذكوس على الشاعر. مثل: قصيدة «احملوني».. وقصيدة «الخدلان» وهما منشورتان سابقاً.

وهناك قصيدة لم يسبق نشرها في الطبقات السابقة عنوانها «همسة»:

إضحكي فالعمر يا سمراء يمضي كالنواحي

وابسمي لسنا سوى لحن على ثغر الزمان
لا تخافي الدمع أهواه على هذب الغواني
أنا ظمآن وهذي الكأس ملأى بالأمانى

وهذه القصيدة مكونة من عشرين بيتاً . وقد سبق أن نشرت في جريدة « الجهاد »
المقدسية بتاريخ — ٢٦ / ٧ / ١٩٥٤ ، على أنها لعبد الرحيم محمود . وقد شككت في
أمرها لأسباب عديدة :

أولاً : لغة القصيدة تتشابه مع قصائد لناشئين كانوا يقدِّدون شعر علي محمود طه
وإبراهيم ناجي . بل هي تقليد كامل لهما .

ثانياً : لم يسبق ذكرها في أي مرجع أو مخطوطة ولا رواها أحد .

ثالثاً : زوّدي — مروان الطاهر بنسخة منها بخط يده سبق أن نقلها عن جريدة الجهاد .
وحين أبدت تساؤلاتي حولها ، كتب لي مؤكداً أنه هو الآخر يشك في أمرها :
« لهذا أتركها بين يديك فأما أن تضيفها وإما أن تتناساها » .

وقررت عدم إدراجها في هذه الطبعة . فإن قدّم لنا برهان واحد على أنها لعبد الرحيم
محمود فسنعيد النظر في أمرها مستقبلاً .

٩ — واجهتنا مشكلة عناوين القصائد وهي عدم التوافق بين عدة عناوين للقصيدة
الواحدة . وهناك عناوين وضعها أصدقاء الشاعر . وهناك قصائد بلا عناوين .
وهناك عناوين متشابهة لقصيدتين مختلفتين . أمام هذا الإشكال وقفنا طويلاً
وقمنا بوضع الحلول المناسبة . ونحن تكون القصيدة بلا عنوان ، كنا نضع لها
عنواناً اشتققناه من نفس القصيدة .

١٠ — مجموع ما أضفناه من القصائد الجديدة التسي تنشر لأول مرة هو — ٢٣
قصيدة ومجموع عدد أبياتها هو — ٧٥٤ بيتاً . ومجموع عدد الأبيات الجديدة
التي أضفناها للنصوص المنشورة سابقاً هو — ٢٠٧ من الأبيات . وبهذا يصبح
المجموع العام للإضافات الجديدة هو — ٩٥١ بيتاً . أما المجموع العام لعدد

أبيات طبعتنا فهو — ١٨٧٤ بيتاً . أي بما يزيد بنسبة الضعف أو أكثر عن
مجموع أبيات طبعة مركز إحياء التراث — ١٩٨٥ . أما الطبعات الأخرى فلا
مجال للمقارنة .

١١ — أضفنا — خمس مقالات نقدية تنشر لأول مرة .



يبقى أن نشير إلى أن هذا العمل استغرق أربع سنوات تقريباً وقد قمت فيه بدور
لجنة تكريم كاملة ، عضوها الوحيد هو الأستاذ مروان راضي الطاهر ، الذي أمدني بكل
ما لديه من مخطوطات وأجاب على كل أسئلتي . وحتى أحدد فضله غنّي أكثر أقول :
إنه المصدر الموثوق لمعظم المخطوطات بخط يد الشاعر أو بخطه هو نفسه .

لقد سبق لي أن أطلقت على هذا الرجل لقب « اليد الفلسطينية الأمانة » . وهو
يستحقه بخدرة . فقد حفظ قصائد صديق عمره طيلة سبعة وثلاثين عاماً ولولاد
لضاعت هذه القصائد إلى الأبد .

ومن باب العلم فإنني لم أتناول مع مروان الطاهر حتى الآن . وقد تم التعاون بيننا
بالمراسلة فشكراً له على ثقته بي . ولا بد أيضاً أن أشكر الدكتور عمر فروخ لمساعدته
القيّمة .

لقد كان عبد الرحيم محمود وما زال رمزاً من رموز التوحيد في ثقافتنا الفلسطينية
الوطنية في القرن العشرين بالدم وحرير الإبداع .

قسنطينة — الجزائر
١٩٨٥ / ٩ / ٢٥

نعتقد أنه يقصد الشاعر المصري — كمال عبد الحليم .
إنيت من العمل يوم ١٩٨٥ / ٩ / ٢٥ ، وأرسلت المخطوطة للنشر (بوساطة أحد الأدباء الفلسطينيين)
أما لماذا لم ينشر ولم يصل إلى الناشر فهناك قصة مأساوية طرأ عليها تركها للمستقبل .

I

ديوان عبد الرحيم محمود

١ — الشهيد

سَأَحْمِلُ رُوحِي عَلَى رَاحَتِي	وَأُلْقِي بِهَا فِي مَهَاوِي الرَّدَى
فَإِمَّا حَيَاةً تَسُرُّ الصَّدِيقَ	وَإِمَّا مَمَاتٌ يُغِيظُ الْعَدَى
وَنَفْسُ الشَّرِيفِ لَهَا غَايَتَانِ	وَرُودُ الْمَنَابِا وَنِيلُ الْمَنَى
وَمَا الْعِيشُ؟ لَا عِشْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ	مَخُوفَ الْجَنَابِ حَرَامَ الْجَمَى
إِذَا قُلْتُ أَصْغَى لِي الْعَالَمُونَ	وَدَوَى مَقَالِي بَيْنَ الْوَرَى

★ ★ ★

لَعَمْرُكَ إِنِّي أَرَى مَصْرَعِي	وَلَكِنْ أَغْذُ إِلَيْهِ الْخَطَى
أَرَى مَصْرَعِي دُونَ حَقِّي السَّلِيبِ	وَدُونَ بِلَادِي هُوَ الْمُتَغَى
يَلْدُ لَأُذْنِي سَمَاعُ الصَّلِيلِ	وَيُنْهَجُ نَفْسِي مَسِيلُ الدَّمَا
وَجَسْمٌ تَجَدَّلُ فِي الصَّحْصَحَانِ (١)	تَنَاوَشَهُ جَارِحَاتُ الْفَلَا
فَمِنْهُ نَصِيبٌ لِأَسَدِ السَّمَاءِ	وَمِنْهُ نَصِيبٌ لِأَسَدِ الشَّرَى
كَمَا دُمَهُ الْأَرْضُ بِالْأَرْجَوَانِ	وَأَتَقَلَّ بِالْعَطْرِ رِيحَ الصَّبَا

وعَفَّرَ مِنْهُ بِيَّ الْجَبِينِ وَلَكِنْ غُفَاراً يَزِيدُ الْبَهَا
وَبَانَ عَلَى شَفْتَيْهِ ابْتِسَامٌ مَعَانِيهِ هُزْءٌ بِهِذِي الدُّنَا
وَنَامَ لِيَحْلُمَ حِلْمَ الْخُلُودِ وَهِناً فِيهِ بِأَحْلَى الرُّؤَى

★ ★ ★

لَعَمْرُكَ هَذَا مَمَاتُ الرِّجَالِ وَمَنْ رَامَ مَوْتاً شَرِيفاً فَذَا
فَكَيْفَ اصْطَبَارِي لِكَيْدِ الْحَقُودِ وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِسَرْمِ الْأَذَى
أَخَوْفَاً وَعِنْدِي تَهْوَنُ الْحَيَاةُ وَذُلًّا وَإِلَيَّ لَرُبُّ الْإِبَا
بِقَلْبِي سَأْرَمِي وَجْوهَ الْعُدَاةِ فَقَلْبِي حَدِيدٌ وَنَارِي لَطْفِي
وَأَحْمِي حِيَاضِي بِحَدِّ الْحَسَامِ فَيَعْلَمُ قَوْمِي أَنِّي الْفَتَى

١ - الصححان: الأرض المستوية أو الأرض الجرداء.

٢ - نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨. أنظر: مجلة «الأمالي» السنة الأولى، عدد - ٢١، سنة ١٩٣٨.

٢ — شعب فلسطين

شعبٌ تَمَرَّسَ في الصَّعَابِ ولم تَل منه الصَّعَابُ
لَوْ هَمُّهُ أَتَابَ الهَضَابُ لَدَكِدْتُ مِنْهُ الهَضَابُ
مُتَمَرِّدٌ لم يَرْضَ يوماً أَنْ يَقَرَّ عَلَى عَذَابِ
عَرِينُهُ بَلَغَ السَّمَاءَ وَرَأْسُهُ نَطَحَ السَّحَابُ
وَعُدَائُهُ رَغَمَ الْأَنْوَابِ تَذَلُّلاً حَائِلُ الرِّقَابِ
مِثْلَ حَدَا حَادِي الزَّمَانِ بِهِ وَنَاقَلَتِ الرِّكَابُ
نَحْنُ الْأَلَى هَابِ الوجودِ وليس فِينَا مِنْ يَهَابِ
إِنْ تَجْهَلِ الْعَجَبَ الْعُجَابِ فَأَنَا الْعَجَبُ الْعُجَابِ
إِنْ ثَوَّبَ الدَّاعِي لِحَرْبٍ نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ أَجَابِ
فَسَلِ الَّذِي خَضَعَ الْهَوَاءُ لَهُ وَذَلَّ لَهُ الْعُجَابِ
هَلْ لَانَ عُودُ قَنَاتِنَا أَمْ هَلْ تَبَثَّ عِنْدَ الصَّرَابِ
أَوْ شَامَ عِيَا غَيْرِ أَنَا، لَيْسَ نَرْضَى أَنْ نُعَابِ
حَيِّثُ مِنْ شَعْبٍ تَخَلَّدَ، لَيْسَ يَعْرِوهُ ذَهَابِ
قَدْ سَطَرَ الْقَلَمُ الشَّهِيدُ مَخْلَداً وَحَوَى الْكِتَابِ
لَفَتَ الْوَرَى مِنْكَ الزَّيْرُ مَزْجِراً مِنْ حَوْلِ غَابِ
وَأَرَى الْعِدَا مَا أَذْهَلَ الدُّنْيَا وَشَابَ لَهُ الْغَرَابِ
عَرَفَ الطَّرِيقَ لِحَقِّهِ وَمَشَى لَهُ الْجَدَّةُ الصَّوَابِ
الْحَقُّ لَيْسَ بِرَاجِعٍ لِدَوِيهِ إِلَّا بِالْحَرَابِ
الصَّرْحَةُ النُّكَرَاءُ تُجَدِي لَا التَّلَطُّفُ وَالْعِتَابِ

والنار تَصْمَنُ والحديدُ	لمن تَسْأَلُ أَنْ يُجَابَ
حَكَمَهُمَا فِيمَا تُرِيدُ	فَفِيهِمَا فَصْلُ الْخَطَابِ
الظُّلُمُ يَرْهُبُ أَوْجُهَهَا	بَدَمِ تُضَرِّجُ.. لَا خَضَابِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَبَاباً تُخَافُ	فَرَتَكَ أَظْفَارُ الذَّنَابِ
مَنْ عَاشَ مَا بَيْنَ الْوَحْشِ	يَكُنْ لَهُ ظَفَرٌ وَنَابِ
فَشَلَّ الَّذِي جَعَلَ الْكَلَا..	مَ مَجَنَّةً تَحْمِي، وَنَابِ
يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْعَظِيمُ	أَجَدْتُ لِلْمَجْدِ الطَّلَابِ
أَشْهَرْتُ سَيْفًا قَبْلَ نَصْرِ	لَا تُعِدُّهُ إِلَى الْقِرَابِ
وَإِذَا أُعِيدَ فَأَنْتَ مَيِّتٌ	لَا يُوَارِيكَ التُّسْرَابِ
فَأَرِياً بِنَفْسِكَ أَنْ تَعِيشَ	مُدَّمَمَا وَالْعَمِيشُ صَابِ
إِلَى أَعْيَدِكَ بِالشَّيْخِ	كَمَا أَعْيَدَكَ بِالشَّبَابِ.

* — نقلًا عن نسخة بخط مروان الطاهر منقولة عن مجلة « الرسالة » في ٣١ / ٨ / ١٩٣٦ . كذلك عن نسخة أخرى لا يعرف كاتبها . كذلك : صورة أخذت من كتاب « تاج التاريخ أو صدى الجهاد » — إبان ثورة ١٩٣٦ — جمع وترتيب : سروة بشارة منصور . وعنوانها « الشعب الباسل » .

٣ — حفي اللسان وجفت الأقلام

عَيْدُ بِأَحْنَاءِ الصَّدُورِ يُقَامُ
حُلُمٌ لَقَدْ لَابَثَ عَلَيْهِ نَفُوسُنَا
جُمِعَ الشَّيْثُ فَكُلَ قَطْرَ ذَرَّةٍ
فَإِذَا نَجُومُ السَّعْدِ فِي آفَاقِنَا
وَتَقِظُ الْحُبُّ الْكَمِينُ فَكَلَّنَا
فَإِذَا تَشَكَّى النِّيلُ مِنْ آلامِهِ
وَإِذَا تَنَادَى الْمَغْرِبُ الْأَقْصَى لَدَى
ذَهَبِ خِرَافَاتِ الْحُدُودِ فَكَلَّهَا
كَيْفَ الْحَيَاةُ لِأَرْوُسٍ إِنْ لَمْ تَصُلْ
فَرَحٌ رَجُوتُ اللَّهِ حُسْنُ تَمَامِهِ



لَكِنْ دَعَوْنِي كَيْ أَقُولَ مَقَالَةً
لَمْ يَقْتُلِ الْأَقْوَامُ مِثْلَ خَطِيبِهَا
وَإِذَا مُجَبَّكُ قَالَ لَوْ مَا فَاسْتَمَعَ
وَأَنَا الْمُحِبُّ وَشَاهِدَايَ جِرَاحَةٌ
لَوْ شِئْتُ كُنْتُ مَعَ الْقَوَاعِدِ نَجْوَةً
هَذَا وَلَسْتُ مُزَكِّيًّا نَفْسِي وَلَا
فَلْخُذُوا الْكَلَامَ أَيَا أَحِبَّةٍ وَاعْذَرُوا
حَفِيَّ اللِّسَانِ وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ

جَدَّدَ الصَّوَابَ وَمَرَّتِ الْأَعْوَامُ
فَوْقَ الْخِصَمِّ دَلِيلُهُ الْأَوْهَامُ
لَمْ يَعْلَمُوا عِلْمَ السَّدَادِ .. وَنَامُوا
إِلَّا وَزَوْرَقَهُمْ لَقَى وَخُطَامُ
وَمُغْرِبٍ وَتَقَطَّعَتْ أَرْحَامُ
يُرْغِي بِهَا التَّهْوِيشُ وَالْإِيَامُ

مَرَّتْ بِنَا الْأَيَّامُ لَمْ نَسْلُكْ بِهَا
وَالزُّورُوقُ التَّوْهَانُ سَارَ مُحِيرًا
وَالرَّاكِبُوهُ أَسْلَمُوهُ لِقَادَةٍ
وَأَرَاهُمُ لَنْ يَسْتَفِيقُوا ضَلَّةً
وَتَخَاصُمَ الْقَوَادِ بَيْنَ مُشْرِقٍ
فَإِذَا الْمُنَابِرُ صَاخِبَاتُ حُفْلٍ

مَضْرُوبَةٌ عُيِدَتْ بِهَا الْأَصْنَامُ
وَإِذَا تَقَدَّتْ فَجَاهِلٌ هَدَّامُ
يُمْطَى وَيَكْبَحُ أَصْغَرِيهِ لَجَامُ
وَالْحَقُّ أَرْوَعُ مَا حَوَى الْإِسْلَامُ
وَشَرَى ضَمَائِرَهُمْ فَهُمُ أَنْعَامُ
مِنْ لَوْنَةٍ - أَفْكَارُهُمْ - أَقْرَامُ
مَعْنَاهُ أَنْ لَيْسَتْ لَنَا أَفْهَامُ
فِيمَا يَرِيدُ فَتَحْنُ وَالْأَغْنَامُ .

وَإِذَا الضَّلَالُ لَهُ هُنَاكَ سُرَادِقُ
فَإِذَا بَرِمَتْ فَأَنْتَ عَاصِرُ آبَقِ
وَالْحُرُّ وَابْنُ الْحُرِّ لَيْسَ مَطِيَّةُ
فَيَقُولُ حَقًّا لَيْسَ يَخْشَى لَوْمَةً
وَالنَّاسُ إِنْ مَلَكَ الشَّعَابِدُ رَأْيَهُمْ
وَعَمَالِقُ التَّفَكِيرِ إِنْ لَمْ يُخَصِّنُوا
وَإِذَا انْطَلَى الْكَلِمُ الْمَتَمَّقُ بَيْنَا
وَإِذَا أَطْعَمْنَا رَاعِيًا ذَا قَسْوَةٍ

★ ★ ★

بَغْدٍ فَضَاعَتْ بِالرَّوْيِ الْأَيَّامُ
لِللَّائِيْنَ عَلَى غَدٍ أَحْلَامُ
فَقَدْ الضَّمِيرَ وَيَعْدِلُ الظَّلَامُ
نَلْنَاهُ إِلَّا كَسْفَةً وَسُخَامُ
وَيُحَقِّقُونَ وَهُمْ هُمْ الْأَخْصَامُ
مَقْبُولَةٌ مَا إِنَّ لَهَا إِيْلَامُ
كَذَبَ وَيَفْعَلُ فِعْلُهُ الْإِيَامُ

مَرَّتْ بِنَا الْأَيَّامُ بَيْنَ تَعَلُّلٍ
ظَلْنَا نَقُولُ : غَدًا غَدًا هَلْ حُقِّقَتْ
ظَلْنَا نَقُولُ : غَدًا يَفِيقُ ضَمِيرُ مَنْ
ظَلْنَا نَقُولُ : مَفَاوِصَاتُ مَا الَّذِي
ظَلْنَا نَدَاعِبُهُمْ وَهُمْ حَكَامُنَا
ظَلْنَا نَقُولُ : حَبَائِبُ ضَرَبَائِهِمْ
ظَلْنَا نَعْرِوُّ بِالْوَعْدِ وَيَنْطَلِي

يا ويلنا إن الهوى أقسام
 عادٍ فقصرَ صدق الأقسام
 أطرى الحصون فأمن الأيتام
 عثر الجدود وزلت الأقدام
 عرمت بك الأدوية والأسقام
 غرَّ يلهى بالكذاب يُضام
 وانظر هنالك كيف ثحنى الهام
 يتلوه فينا الفيصل الصمصام
 وعلى الجماجم تُركز الأعلام
 من فوقها بُنى العلا وثقام
 إن الألى سلبوا الحقوق لنا
 قد سارها من قبلك «القسام»
 فاسلك طرائق سنهن إمام
 انطلقت به فحمى الحمى الضرغام
 بكر وهل فك القيود كلام.



لو لم تكن أفعالنا الإبرام
 وبنا إلينا جاءت الآلام
 وبنا عن المُجدي لنا إحجام
 ولنا بصحراءِ الحصار هيام
 والخطبُ عند عُدائنا لَمَام
 عما يُدَمِّم وقد عداهم ذام
 يا قاعدين عن الفعل نيام
 وأقلها التعريف والإعلام

خرجوا لنا بالسحب من أقسامنا
 هم علموا الأقوام أن نصيرها
 هم فهموا الأيتام أن حصونهم
 وإذا حسبت عدو روحك صاحباً
 وإذا زعمت طيب سقمك سمه
 وإذا فهمت فلن تضام وإنما
 قل: «لا» وأتبعها الفعال ولا تُرغ
 إني رأيت الحق فصل خطابه
 إصهر بنارك غل عنقك ينصهر
 وأقم على الأشلاء صرحك، إنما
 ولخذ الحقوق إليك لا تستجدها
 هذي طريقك للحياة فلا تُرغ
 وأبر صلاح سنّها لك سنة
 سهم حوته كنانة ولربما
 ذاك الذي هجر الكلام لفتكة

بلفور ما بلفور ماذا وعده؟
 إننا بأيدينا جرحنا قلبنا
 فينا على المودي بنا إقدام
 وبنا عن الحب المجمع جفوة
 والخطبُ فرقنا قبائل جمّة
 يا قادة، إلا الذين أجلهم
 يا ساهرين على الكلام وصوغه
 نحن الضحايا لا نريد متوبة

ماذا نويتم؟ ما فعلتم؟ ما الذي تبغون؟ أم أن السؤال حرام
 «أنشأ» و«بلودان» ماذا أنتجا؟ لا، لا تسأل، إن السؤال حرام
 هم ملهمون فلا تقل من أين قد دلف السداد ونزل الإهام
 هم مخلصون فإن يقولوا قالة فاحضغ لها إن الخضوع إزام
 ما طائرات غاديث رُوخ ما ذلك الأسرار والإهام
 أوليس من دور لنا نلهي به إلا وداغ حافل وسلام
 وإذا يضل السعي أنت معائب وإذا يسوء الغيب أنت ثلام
 ما حك جلدك مثل ظفرك يا فتى يا حر لا تتصبك الأوهام
 إصهر بنارك غل عنقك ينصهر وعلى الجماجم تركز الأعلام.

* — ألفت في ذكرى وعد بلفور بتاريخ — ١٩٤٦ / ١١ / ٢ . ثم ألقاها الشاعر (معدلة) في مهرجان فلسطين الشعري في القدس في ١٤ / ١١ / ١٩٤٦ . وفي مهرجان غزة ومهرجان حيفا في يوم الاحتفال بذكرى الجامعة العربية . ونشرت في مجلة «الغد» — المقدسية في ٢٥ / ٤ / ١٩٤٧ .

* — النص — هنا — نُقل عن مخطوطة . بخط يد الشاعر : وقورنت مع نسختين مکتوبتين على الآلة الكاتبة . ونلاحظ أن العنوان الذي اشتهرت به القصيدة (عيد الجامعة العربية) غير موجود في الأصل . وهو من وضع أصدقاء الشاعر ولهذا اخترنا عنواناً جديداً اشتق من قصيدة الشاعر نفسها .

كذلك نلاحظ أن البيت رقم — ٦٤ — ليس موجوداً في المخطوطة بل أضيف بخط لا يتشابه مع خط يد الشاعر . ويقال أيضاً : إن مطلع القصيدة الأصلي هو «حفي اللسان» وأن الأبيات من (١ — ١٧) هي التي أضيفت في التعديل .

٤ — موت البطل

أإذا أنشدت يوفيك نشيدي
أي لفظ يسع المعنى الذي
لا يحيط الشعر فيما فيك من
كملت فيك المروءات فلم
حسرتا للدين والجد اللذي
حسرتا للوطن العاني ولأ
حَقَّك الواجب يا خير شهيد
منك أستوحيه يا وحي قصيدي
خُلُقِي زالك ومن عزم شديد
تبق منها زائداً للمستزيد
قد أصيبا فيك بالركن الوطيد
مل الفاني ويا نفس الجدود

★ ★ ★

أما القائد لم خلقتنا
أقفر الميدان من فرسانه
تحدث نار لقد أضرمتها
والحمى قد ريع يا دُحْر الحمى
لم أكن قبلك أدري ما الذي
إن يوماً قد رزئناك به
هلك نفس الأوداء أسي
كل بيت لك فيه ماتم
للمناحات صدى مُرتجِع
برزت فيها المصونات ضحى
واحبيب الأمتا يمتما
صعدوا من لوعة زفرائهم
ولن وليت تصريف الجنود
وخلا من أهله غاب الأسود
لعدى كانوا لها بعض الوقود
وغدا بقذك منقوص الحدود
يُرخص الدمع ويودي بالكُبود
جاعل أيا منسا سوداً بسود
فيه وارتاحت له نفس اللدود
يندب الناس به أعلى فقيده
في بلاد الغرب سهل ونحود
صارخات قارعات للخدود
يا أبا كل فتاة ووليد
فأذابت قاسي الصخر الصلود

جعلوا من كل صدر مسكناً
كل قلب لك فيه مُصْحَفٌ
سُورٌ قد فَصَّلَتْ آيَاتُهَا
لم تزل تُتلى على الدهر الأبيد
لازّفاف بك عن سُكنى اللحود
فيه من ذكرك قرآنٌ تُخلود

★ ★ ★

أما القائد هذى ميتةً
مصرغ الأبطال ما بين الحديد
هذه أعراسُهُمْ صَحَابَةٌ
فَيُرَوُّونَ الثرى من دمهم
وَيُزْفُونَ عليهم خُلُلٌ
هم تعاوذك الحمى يُقصي بهم
تُحرق العاتِي أنفاسهمو
وعلى أكتافهم تُجَنَّى المنى
طالما رَجَّيْتَهَا مِنْذُ بعيد
في الميادين ورقات البُود
نُقْرَةُ الدَفِّ بها قُصِفَ الرعود
وَيُحْتُونُ بها كَفَّ الصعيد
من نحيب الحرب تُزري بالبرود
عنه مكر السوء أو كيّد الحسود
ويذيون بها غُلَّ القيود
ويُشَادُّ الصَّرْحُ للعيش الحميد

★ ★ ★

يا شهيداً قد تخذنا قَبَساً
مثل أنت وما أن تَنسَى
مُتٌ في الحرب شرفاً لم تَطُقْ
هكذا العار مَرِيرٌ ورده
وَاحْيِبَ الأَمْتَا قد أصبح العي
جَمَدُ الدَمْعِ بعيني جزعاً
فَأَذْبَتِ الروح أبكيك بها
منه يهدينَا إلى التَّهَجِّ السديد
لا تنى ترويك أفواه الوجود
ربقة الأسر ولا ذُلَّ العيود
والردى للحرِّ معسول الورود
ش من بعدك لي جدُّ نكيد
يا نار القلب من دمعي الجمود
بدل الدمع فسالت في نشيدي

* — كتبها ونشرها عام ١٩٣٩ : أنظر : مجلة «الأمل» — سنة ١ ، عدد ٣٢ ، سنة ١٩٣٩ .
** — « في رثاء قائد منطقة جبل نابلس في الثورة الفلسطينية الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد الملقب بأبي كمال (من ذنابه — طولكرم) .

٥ - أنشودة التحرير

إِنَّ أَيْمَانَنَا ابْتِسَامَةً تُعْمِرُ
نَشْرَتْ مَيِّتَ الْأَمَانِي وَأَحْيَتْ
فَرَحَ الْكُونِ حَيْثُ لَاحَتْ عَلَى
ذَاكَ أَنْ الظُّلُومَ يَكْرَهُ فَجَرُ الْحِ
قَوْمَ طَه بَيْنَ الْخَلَائِقِ قَوْمٌ
قَوْمٌ خُرَيْةٌ أَعَدَّهُمُ اللَّهُ
فِي عَيْدٍ يَصُبُّ كَسْرَى عَلَيْهِمُ
فَاسْتَجَارَ الْحَقُّ الْمَضِيعُ بِالْعُرَى
صَرَفَتْ شِدَّةَ الْجَوَارِحِ فِيهِمْ
فَرَوَى عَنْهُمْ الزَّمَانُ حَدِيثاً
لَمْ تَكُ الْقَادِسِيَّةُ الشَّهِيرَةُ إِلَّا
هِيَ لَغَزِ الْأَلْغَازِ كَيْفَ يَكُونُ
غَيْرَ أَنْ الْإِيمَانَ بِالْحَقِّ وَالرَّ
وَاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ أَضْمَنَ لِلْأَمْنِ
عَبْرَةً لَيْسَ قَدْ قَبَسْنَا النَّوْ
حِينَ صَرْنَا إِلَى الْخِلَافِ فَقَدْ
مَنْ جَدِيدِ الصَّحْرَاءِ أَوْفَى عَدِ
وَالْخَصِيبُ الْغَنِيِّ إِنْ يَفْقَدُ

لَمْ يَذُرْ مِثْلَهَا بَثْغِرِ الدَّهْرِ
أَمَلًا عَارِماً بِقَلْبِ كَسِيرِ
الدَّهْرِ وَرَبِعَتْ مُمَرَّدَاتُ الْقُصُورِ
حَقَّ كَيْلًا يَزُولُ لَيْلُ الْفُجُورِ
قَدْ أَعَدُوا لِكُلِّ أَمْرٍ خَطِيرِ
لِيَتْلُوا رِسَالَةَ التَّحْرِيرِ
سَوَّطَهُ ظَالِمًا وَجَامَ نَكَمِ
بِ فَكَانُوا الْغِيَاثَ لِلْمُسْتَجِيرِ
فِي الطَّرِيقِ السَّوِيِّ تَقْوَى الصَّدُورِ
ضَمَخَتْهُ فَعَالَهُمُ بِالْعَبِيرِ
أَسْطَرًا فِي سِفْرِ عَزِ شَهِيرِ
الْقَلِّ نَصْرًا عَلَى الْعَدِيدِ الْوَفِيرِ
وَجْجَ جَدِيرٌ بِالنَّصْرِ جَدُّ جَدِيرِ
مَرَّ الْمَرْجَى مِنَ الشَّيْبِ النَّشِيرِ
رَمْنًا فِي مُذْلِهِمُ الْأُمُورِ
نَا سَرْنًا ضَلَّةً لِسُوءِ الْمَصِيرِ
بَيْنَا الْخَصْبُ مِنْ فَيْضِ حَقٍّ وَخَيْرِ
الْإِيمَانِ وَالرُّوحِ فَقِيرٌ وَأَيُّ فَقِيرِ

من صميم الصحراء طافت عد	فى الأرض تزيج الدجى مشاعل نور
فأنارت ديجور أفدة عُم	فى كانت تهم فى ديجور
نحن لم نحمل السيوف لهذر	بل لإحقاق ضائع مهدور
نحن لم نحمل المشاعل للحز	ق ولكن للهذي والتنوير
نحن لم نطعن الضمير ولكن	بقانا احتفى طعين الضمير
كان فينا نصر الضعيف المَع	خى وانجبار المحطّم المكسور
ورحمنا عجز الشيوخ وضعف	الطفل والعرض عرض ذات الحدور
ورثنا للعبد يرغمه الذ	ل وللحر فى قيد الأسير
وشققنا على العقول فحللنا	فى سماء الخيال والتفكير
وأبحنا للناس ما هوى النا	س من الطرّيق إلا طرائق الشرير
وسعت دارنا صهيياً وسلمنا	ن ولبث بلال بالتكبير
تلك أيد لنا سبقن على الإ	نسان لكن يا وبه من كفور
عق كفاً كم للمث من جرا	ج وأستها وكفكفت من غزير

★ ★ ★

أمتي إن تجر عليك الزعاما	ث فلا تياسى ذريها وسيري
إنها إن تسر تشل قوى الشع	ب وتبلو الإقدام بالتأخير
فتضيق الرياح أدراجها الجه	د على شمالي وصوب الدبور
وثلّهي الشعب المضلل بالسُخ	ف وتُشغله ثرّهات الأمور

★ ★ ★

أمتي إن تجر عليك الزعاما	ث فلا تياسى ذريها وسيري
خوف أن يُقسّم المُقسّم بالحظ	بأدى مقدر مقدور
كتب خير الوجود قد شهد الد	ه وأحرى الأنام فى أن تصيري
القديم الجميل ريش جناحيك	فرقي فى العالمين وطيري

أمتي رتلي السلام على الأر ضِ وغني أنشودة التحرير
رتلي سورة السلام على الأر ضِ وغني أنشودة التحرير

* — ألقاها في المهرجان الذي أقيم في حيفا لإحياء ذكرى معركة القادسية :

** — نقلاً عن مخطوطة كذلك : نشرت في مجلة « الغد » — ١٠ / ٨ / ١٩٤٥ .

٦ — نداء الوطن

دعنا الوطنَ الذبيحُ إلى الجهادِ
وسابقتُ الرياحَ ولا افتخارُ
حملتُ على يدي روحي وقلبي
وقلتُ لمن يخاف من المنايا
أتقعدُ والحمى يرجوك غوناً
فدونك جذرُ أمك فافتعدهُ
فلاوطانُ أجنادِ شِدادِ
يلاقون الصعابَ ولا تشاكي
تراهم في الوغى أسداً غَضاباً
فطار لفرطِ فرحته فؤادي
أليسَ عليَّ أن أفدي بلادي
وما حملتها إلا غيادي
أُفَرِّقُ من مجابهة العوادي؟
وتجبنُ عن مُصَاوِلَةِ الأعادي
وحسبك حِسَّةً هذا التهادي
يكيلون الدمارَ لأيّ عادِ
أشأوسُ في ميادين الجِلاذِ
معاويناً إذا نادى المنادي

★ ★ ★

بنى وطني دنا يوم الضحايا
وما أهلُ الفداء سوى شبابِ
ومن للحرب إن هاجت لظاها
فسيروا للسنبال الحق ناراً
فليس أخطُ من شعبٍ قعيدِ
أغرَّ على ربي أرض المعادِ
أبي لا يقيم على اضطهادِ
ومن إلّاكم قدحُ الزنادِ
تصبُّ على العدى في كل وادِ
عن الجُلَى وموطنه يُنادي

بنى وطني أفيقوا من رقاد	فما بعد التَّعَسُّفِ من رقاد
قفوا في وجه أي كان صفاً	حديداً لا يؤول إلى انفراد
ولا تجموا إذا اريدت سماء	ولا تنهوا إذا ثارت بوادي
ولا تقفوا إذا الدنيا تصدّت	لكم وتكاتفوا في كل ناد
إذا ضاعت فلسطين وأنتم	على قيد الحياة ففي اعتقادي:
بأن بني عروبتنا استكانوا	وأخطأ سعيهم نهج الرشاد

* — قلت في حفلة الوداع التي أقامها العقيد الركن طه الهاشمي للكتيبة الأولى من المناضلين الذين أنهوا تدريبهم في معسكر (قطنا) قرب دمشق وكان الشاعر من بينهم . حيث توجهوا إلى فلسطين في ربيع ١٩٤٨ .

٧ — بين الشرق والغرب

قومي لأنتم عبدة الأقوام
أبناء عمي من نزار ويعرب
يرسمون الغرب حتى يوشكوا
ما قلدوهم مبصرين وإنما
للغرب عادات كغازات سرت
لا تأمنوا المستعمرين فكم لهم
حرب على لغة البلاد وأهلها
والشعب إن سلمت له أوطانه
لا أعرف العربي يلبى فكّه
إن فاه تسمع لكّة ممقوتة
لفظاً من الفصحى وآخر نايأ
لهفي على الفصحى رماها معشر
لم يحدوا لكنوزها فإذا بهم
الدر في طي البحور مخبأ
لن يستعيد العرب سالف مجدهم
أن يرفعوا ما انقض من بنيانهم



إن يزه شرقي بغير الغرب من
فأنا الفخور بأنني لا ينتمي
إن تسألوا عني : إلى من أنتمي
أبغير مجد بني نزار ويعرب
أجداده الأتراك والأروام
للعجم أخوالي ولا أعمامي
فإلى رعاية النوق والأنعام
يُزهي عراقي ويفخر شامي؟

٨ — وعد بلفور

○ مع الترك

الْعُرْبُ مَا خَضَعُوا لِسُلْطَةِ قَيْصَرَ يَوْمًا وَلَا هَانُوا أَمَامَ تَجَبُّرِ
لَا يَصِيرُونَ عَلَى أَدَى مَهْمَا يَكُنْ وَالْحُرُّ إِنْ يُسَمِّ الْأَدَى لَمْ يَصِرْ
وَالْتَرَكْ قَدْ كَبَرُوا وَإِنَّا مَعَشَرٌ كَبُرٌّ وَفَوْقَ تَكْبِيرِ الْمَتَكْبِرِ
وَإِذَا بِهِ أَمْرٌ نَيْتُهُ لَهُمْ تَحْتَ الْأُسْنَةِ وَالْقَنَا وَالسَّمْهَرِي

★ ★ ★

○ مع الحلفاء

وَأَقَى الْحَلِيفُ وَقَامَ فِي أَعْتَابِنَا مُتَحَيِّرًا إِنَّا هُدَى الْمُتَحَيِّرِ
وَاسْتَنْصَرَ الْعَرَبَ الْكَرَامَ وَإِنَّهُمْ غَوَتْ الطَّرِيدَ وَنَصْرَةُ الْمُسْتَنْصِرِ
وَإِذَا عَتَا قُ الْعَرَبُ تُورِي فِي الدَّجَى قَدْ حَا وَتَصَهَّلَ تَحْتَ كُلِّ غَضَنْفِرِ
وَإِذَا السِّیُوفُ كَأَنَّهُنَّ كَوَاكِبُ تَهْوِي—تَلَامُعُ فِي الْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ
رَجَحَتْ مَوَازِينَ الْحَلِيفِ وَمَنْ نَكُنْ مَعَهُ يُرَجِّحُ بِالْعَظِيمِ الْأَكْثَرِ
وَبَنَتْ لَهُ أَسْيَافُنَا صَرْحًا فَلَمْ يَحْفَظْ جَمِيلَ الْعُرْبِ يَا لِلْمُنْكَرِ
فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ صَرَعَى جُدُلُوا وَعَلَى ثَرَى بَدَمِ الرِّجَالِ مُعْصِفِرِ

★ ★ ★

○ الجزاء

غَدَرَ الْحَلِيفُ وَأَيَّ وَعْدٍ صَانَهُ يَوْمًا وَأَيَّةَ ذِمَّةٍ لَمْ يَخْفُرِ
لَمَّا قَضَى وَطَرًا بِفَضْلِ سِیُوفِنَا نَسَى الْيَدَ الْبَيْضَا وَلَمْ يَتَذَكَّرِ

وإذا الدّمُ المهرأقُ لا بمراقِهِ جدوى ولا بنجيعة المتحدر

★ ★ ★

○ أيتها الحليف

ياذا الحليفُ: سيوفنا ورماحنا	لم تثلّم فاغلم ولم تتكسر
بالأُمس أبليت في عداك وفي غدٍ	في كل قلب غادر متحجر
تغلي الصدور وليس في غليانها	إلا نذيرُ العاصف المتفجر
ولقد تصبّرنا عليك فلم نُطق	منك المزيد ولا حين نصبر
هذي البلاد عريننا وفدى لها	من ولد يعرب كل أسد هُصر

* — كتبها في نابلس عام ١٩٣٥ .

٩ — ذكرى الزمان

— ١ —

هاب من ذكرى زمان العز هاب	حب الماضي لي ما هو آت
يا زماناً كلما دُكرته	ذهبت نفسي عليه خسرات
حينما كنا غصّة غص بها	صدر أعدانا وشوكاً في اللهاة
تلك أيام تقضت	هل لها من رجعات
ليتها لما تقضت	قد قضت فيها حياتي

— ٢ —

هاب خدث حين كنا لهباً	صلي المخرق فيه كل عات
حين هال الكون منا ما رأى	من إباء ومضاء وثبات
لفت الدهر زبير رائع	ورأينا دُعره باللفتات
ذاك عهد فارو عنه	ما إذا يروى يَهْزُ
هاب للسامع منه	فيه مجد وعز

— ٣ —

غصبة للحق كانت حبذا	عيشة المرء مخوف الغصبات
هبة للشار كانت إتنا	لذوو بطش شديدو الفتكات
لم نطق خسفاً ولم نصبر على	عيشة الذل ولا كبر العداة

نحن أذللنا الوجودا نحن للكبر مثل
وإذا رُمّت شهودا فسَلِ التاريخ سل

— ٤ —

صيحةً كانت فهاجت ساكناً نفحةً لله حلت بموات
أصغت الدنيا لنا وامتلاّت أذناها بدويّ الزمجرات
عزّت العرب وعزّت دارها تنبت الآساد فيها كالنبات
أمة ليست تهونُ ولها متنّ أزل
أرضها غابّ مصونُ وحرام لا يحلّ

— ٥ —

قد عجمتم في الوغى أعوادنا فإذا أعوادنا جدّ قساة
فاليكم أو لمّا تعلموا يا بغاة أننا رُغمّ البغاة
يعرب أوصى بنيه أنه دون حوض العار أحواض الممات
قد عجمتم وامتحنتم أو لم تدرؤا اليقينا
قد أبينا حين شتتم (أن تُقرّ الدلّ فينا)

— ٦ —

قد وقفنا أو لمّا تذكروا لبنى يعرب تلك الوقفات
ورميتم لا حديد نافع حين ترمون ولا النار ثوّاتي
هكذا الحق على قلّته صادق العزم وتبّت الخطوات
وهوى الباطل صغفاً إنه كان زهوقا
إن من كان مُحِقّاً كان بالنصر حقيقا

— ٧ —

لم تزل أسافنا مسلولة للعوادي ماضيات الشفرات
فلقّت هامّ الألى من قبلكم وهي في هاماتكم في المقلات

قد بلوتم من شباها ضربةً تقصم الظهر وتغدو بالحصاة
 فليَرِ الظالمُ حَذَّه وليقف لا يتَعَدَّه
 إنَّ من صَعَرَ حَذَّه نصولي نحن رَدَّه

— ٨ —

أيها العرب وأنتم أمةٌ لم تنم يوماً على سَومِ الأداة
 قد تصبرتم طويلاً فاغضبوا وتأنيتم كفى لاث أناة
 فأنكُم بالحلُم بعض المبعى فتلافوا بعضه قبل الفوات
 مَنْ دجا بالظلم ليلةً فلينرّه بالحراب
 من شكا قيداً فحلّه عند أطراف العصاب

— ٩ —

أيها العرب وأنتم أمةٌ مَضْرُوبُ الأمثال في أخذ الترابِ
 أتقيمون على حَمْلِ الأذى أيها العربُ وإيعادِ الجناة
 دونكم فانتقموا إنَّ الدما تطفئ الغلَّ وتُذني الرغبات
 الدم الأحمر أشقى بَلَسِمِ عند المِلْمَةِ
 الدما تجرف جرفاً صاحب الظلم وظُلْمَةِ

* — نشرت عام ١٩٣٩ : أنظر . مجلة « الأماي » — عدد ٤٤ — عام ١٩٣٩ .

١٠ — إلى كل مُتَهاود

يا من ثَوَّلَ بالحِيبِ بَ هناك قد رَجَعَ الحِيبُ
لقد انتظرت إِيابَهُ شوقاً فها هو ذا يُؤوِبُ
في جِيه لُغْبُ الهوى يلهو بها الصَّبُّ اللُغُوبُ
لك في حقيته نصيبِ بَ فاخرُ بئسَ النصيبُ
فلتتظر غداً الكرا سي وغداً قريبُ
★ ★ ★

يا شعب يا مسكينُ لم تُنكَبْ بنكتك الشعوبُ
قَلَدتُ أمرك مَنْ بِهِمْ لا يرجع الحقُّ الغصيبُ
لهفي عليك ألا ترى يا شعبُ حولك ما يريبُ

* — قالها إثر عودة (المدوب السامي على فلسطين) السير آرثر واكهوب (Arthur Wakhope) من لندن ومعه مشروع المجلس التشريعي — سنة ١٩٣٦ .

١١ — أيام النضال

كَشَّرِي مَا شَبَّتْ يَا سَوْدَ اللَّيَالِي فَأَبُو الطَّيِّبِ ^(١) لَا يَخْشَى الْعَوَالِي
 إِنْ تَقَاعَسْتُ عَنِ الْحَرْبِ فَأِنِّي مَجْرَمٌ يَقْعُدُ عَنْ شَأْوِ الْمَعَالِي
 غَايَتِي أَلْقَى الْمَنَايَا عَاجِلًا فِي مَجَالِ الْعِلْمِ أَوْ سَاحِ النِّضَالِ
 فَابْسُمِي يَا أُمُّ ^(٢) عَيْدِ إِنَّهُ زُفٌّ لِلْحَوَرِ وَوَلِيٌّ لِلْأَعَالِي

- ١ — أبو الطيب: كنية الشاعر. وللشاعر عبد الرحيم محمود ثلاثة أولاد: الطيب — طلال — رقية.
 ٢ — أم عبد: هي لطيفة والددة عبد الرؤوف حمزة.
 ٣ — مساجلة شعرية بين الشاعر وابن أخيه عبد الرؤوف حمزة محمود. قال عبد الرؤوف الأبيات التالية:
- أَدَّ مَا أَعَذَّبَ أَيَّامَ النِّضَالِ وَأَحْيَى الْمَوْتَ فِي نَيْلِ الْمَعَالِي
 لَا تَقُلْ لِي وَأَنَا أَغْشَى الْوَعْيِ حَادِرَ الرِّيمَةِ نَسْلَمُ فِي النِّضَالِ
 رَبُّ سَاعٍ لَمْ يُمُتْ فِي سَعْبِهِ وَقَعِيدَ مَاتَ فِي غَيْرِ نِضَالِ
 مَا جَاءَ الْعَيْشَ إِلَّا وَقْفَةً فِي سِيلِ الْحَقِّ وَالرَّأْيِ الْمُنَالِ
- فرد عليه عبد الرحيم محمود بالأبيات أعلاه.

١٢ — الغد

أراها تَمَثَّلُ في خاطري وقد أبدع الفن ألوانها
وروح الحياة بأرجائها تدب وتلهم فتانها
ففي الجمال وفيها الضياء .. أهل يَنُورُ أركانها
هو الغد لوحتكم يا شباب فشدوا العزائم — شبانها
خذوا ريشة الفن خطوا لنا سهول البلاد ووديانها
من الذم خطوا رؤوس الجبال .. وهام الروابي وكشبانها
من العرق العذب زووا السهول .. وزوض البلاد وبستانها
هو الغد لوحتكم يا شباب فخطوا من العزم عنوانها
غد لَوْحَةٌ في أيادي الشباب فلا تُسلموا الأمر عُميانها

— أنظر مجلة «الغد» المقدسية — ٦ / ٧ / ١٩٤٥ . والقصيدة مهداة لرحلة «الغد» . وهي مجلة تقديمية أصدرها رابطة المثقفين العرب . وكان يرأس تحريرها الشهيد محلي عمر .

١٣ — الحنين إلى الوطن

تلك أوطاني وهذا رَسْمُهَا في سويداء فؤادي مُحْتَفَرُ
تتراءى لي على بهجتها حيثما قَلْبْتُ في الكون النظر
في ضياء الشمس في نور القمر في النسيم العذب في ثغر الزهر
في خريف الجدول الصافي وفي صَحْب النهر وأمواج البحر
في هتون الدمع من هَوْل النوى في لبيب الشوق في قلبي استعر
دَقَّةُ الناقوس معنى لها واسمها ملء تساييح السحر
فكرة قد خالطت كل الفكر صورة قد مازجت كل الصُور
هي في دنيائي سرّ مثلما قد غدا اسم الله سرّاً في السُور

★ ★ ★

يا بلادي يا منى قلبي إنَّ تسلمي لي أنتِ فالدنيا هَذَرُ
لا أرى الجنة إن أَدْخَلْتَهَا وهي خَلَوُ منك إلا كسقر
مني في غربتي قبل الردى أن أَمْلِي من مجالكِ النظر
ظمئت نفسي لمغناك فهل يطفىء الحرقه بالعُودِ القدر؟
فَيَصْلِي القلب في كعبته وتضم الروح قُدْسِي الحجر
وَتَمُرُّنَ يمينك على جسد أضناه في البعد السهر
ويغني الطير في أشجاره نغماً يُرْقِصُ أعطافَ الشجر
خبر تنقله ريح الصَّبَا ويذيع الزهر أنعامِ الخبر
ويلاقي كُلَّ إلْفٍ إلْفُهُ ويلمّنِ الشتيت المنتثر

★ ★ ★

يا بلادي أرشفيني قطرةً كل ماءٍ غير ما فيك كدر

■
ليت من ذاك الثرى لي حفنةً آتَمَلِي من شذا الثُربِ العَطرِ

* — كتبها وهو في البصرة — العراق عام ١٩٤٠ .

** — في البيت ١١ : « البصر » في طبعات أخرى . (أنظر : أبو يوسف الكافي : الرأي العام الكويتية — ١٥ / ٨ / ١٩٦٣) .

•

١٤ — سياستنا تسال !!

وقالوا: قادة خلقوا شعوباً
فحنن الشعب إن زُمناً انطلقاً
أصلّونا عن المثل وتاهوا
فكم فعل لهم عبّ ولهُو
تَعَقَّدْ أُمُرُنَا بِهِمْ وَأُضْحَى
وكان الشعب سيفاً ذا مضاء
أسودّ في مجال القول، حُمِرْ
يُهَدِّمُ بعضهم بعضاً ويُنِي
وليس يُضِيرُهُمْ، وَهُمْ بِخَيْرِ،
بُعْرَفُهُمْو سياستنا تسال
وما الخُطْبُ الطَّوَالُ الحُمْسُ إِلَّا
وإِلَّا، ما الذي أوري زناداً
لعمرك ما نووا يوماً صلاحاً
فإن تَرَّ عَيْنُهُ شراً تَعْلَى
ومن عجب بقاء ثقیل ظلّ

ولو عكسوا لكان الأمر أولى
وجدناهم لدى الأزمات غلاً
وما كانوا ليهذوا الناس مثلي
وكم قول لهم ما صحّ عقلاً
كذیل الضبّ يُعْجِزُ أن يُخْلَا
فَتُلَمَّ حُدّه منهم وفُلا
منقرة لدى حرب وجلّى
على جثث له قصراً مُعْلَى
إذا ما الشعب في نار تقلّى
فمن لم يلق إلاها تسلى
مسايد للظهور، وليس إلا
لخلف بينهم والشعب يُجلى
وهم في الناس أشباه القِرْلَى
وإن تر عينه خيراً تدلّى
عليك، فلا يريمُ له محلاً

* — نقلاً عن مخطوطة كتبت بخط يد الشاعر.

** — نشر جزء من القصيدة في جريدة «الاتحاد» — حيفا، عدد ١٢ — في ١٤/٨/١٩٤٦: (المخطوطة).

*** — تفسيرات من الشاعر: القُل: القيد. ذنب الضب: يضرب به المثل في التعقيد. حمر منقرة: تشبه قرآني يقال في القوم الرعايد الحبناء. جُلَى: شدة. القِرْلَى: طائر شديد الحذر يضرب به المثل لذي الأثرة فيقال: فلان كالقِرْلَى. إن رأى شراً تعلّى وإن رأى خيراً تدلّى. يريم: يترك.

١٥ — رأيتُ فقلتُ ...

رأيتُ يوماً أُمَّةً يسوقها سوق الحُطَمِ
مُحكَّمٌ بحسب وقع السوط والعصا نَعَمُ
يطربه أنسينها ونوحها، من الألم
إن لم يجد لحمًا لها يأكله، عبٌ بدم
يرفل من شقائها بشوب عزٍ ونِعَمِ
والأرض من «بكائه» تزلزلت مع الحَرَمِ
مدينةً فقريّةً سلّمها بلا شَمَمِ
ومظهرًا هو «الأمير»، باطنًا هو القزمِ
أما الملوك الآخرون فأعفسي من الكلِمِ

★ ★ ★

عاش على حرمانها وأسَلَسْتُ ولم تُهَمِ
ولم تُسِرْ ولم تُجرِّعه مرارًا ما اجترَمِ
فقلت هذي أُمَّةٌ من بشرٍ أم من غَمِ؟

★ ★ ★

رأيتُ يوماً للخطابات زعيمًا قائمًا
قد جمع الناس لكي . يُسمعهم شائمًا
وصبَّ في آذانهم من عنده مزاعمًا
وراح يهوي معولاً للمكرمات هادمًا
أيقظ فيهم فتنةً وهاج حقدًا نائمًا

وبث في نفوسهم من نفسه سخائماً
 وقسم الناس لدى خوض الوغى قسائماً
 ولم يبال إن يموتوا كي يظل سالماً
 وأن يغوصوا في الرزايا ويظل عائماً
 هو الأمين ظاهراً وباطناً هو العمى
 فقلت: حَتَّامٌ سيقى الشعب ليس فاهماً!!!

★ ★ ★

رأيت يوماً.. قاعداً إن سارت الناس قَعداً
 كأنه مُكْتَفٍ رباطُ جبل من مَسَدٍ
 يغطُّ في رقدته والخطبُ صَحَى من رَقْدٍ
 غرقان، يدي حُلْمَه جزرٌ ويُقصي عنه مَدَّ
 يصيح: إني أسدٌ وماله نابُ الأُسْدِ
 وكلَّ يومٍ حَذَه يُؤتى ولا يحفظُ حَذَ
 ولم يُجَهِّزْ عدداً ولم يصُعْ له العُدْدُ
 ولم يسِرْ في جَدَدٍ فيمُتدي لما يَوْدُ
 ينظر للغيب لعل الغيب يعطيه المَدَدُ
 وخطبةً فخطبةً قال ولما يرتعدُ
 فقلت: إن لم تستفقْ يا شعب يوماً تُفْتَقَدُ

* — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر . + صورة عن مخطوطة أخرى بخط يد الشاعر أيضاً .

** — في رواية أخرى: البيت رقم ٣٤ :

فقلت إن لم توله نفسك لا يول أخد .

١٦ — المسجد الأقصى

نَحْمُ السَّعُودَ وَفِي جَيْنِكَ مَطْلَعُهُ
سَهْلًا وَطَلَّتْ وَلَوْ نَزَلَتْ بِمَمَجِلِ
وَالْقَوْمُ قَوْمُكَ يَا أَمِيرُ إِذَا النُّورُ
سَالُوا إِلَيْكَ وَكُلَّ قَلْبٍ حُبُّهُ
كُلِّ امْرِئٍ أَصْغَى إِلَيْكَ فَلَيْتَهُ
وَيَرْدُدُونَ الطَّرْفَ فِيكَ مَحَبَّةً
يَغْضَى لَدَيْكَ مَهَابَةً هِيَاهُ أَنْ

أَتَى تَوَجَّهَ رَكْبٌ عَزَّكَ يَتَّبَعُهُ
يَوْمًا لِأَمْرٍ فِي نَزُولِكَ بَلَقَعُهُ
فَرَّقَتْهُ أَحْلَامُ الْعُرُوبَةِ تَجْمَعُهُ
يَحْدُو بِهِ شَوْقًا إِلَيْكَ وَيُدْفَعُهُ
تَعَبٌ بِمَا أَصْغَى إِلَيْكَ وَاخْدَعُهُ
فِيغْضَهُ نُورُ الْجَلَالِ وَيَرْجَعُهُ
يَجِدُ الشَّجَاعَ لَدَيْكَ شَيْئًا يَشْجَعُهُ

★ ★ ★

إِنَّ الْعَفَاةَ لَكُمْ بِجُودِكَ مَرْتَعٌ
كَمْ خَائِنٌ طَلَبَ الْخُرُوجَ فَهَالَهُ
كَالْإِلِيلِ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِهِ
فَفَتْنَى رِفَادَةٍ هَلْ عَلِمْتَ بِحَالِهِ
الْمُطْمَعُونَ رَدَّ كَيْدَ صُدُورِهِمْ
النَّصْرَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ وَلِلَّذِي

وَالسَّيْفُ فِي هَامِ الْأَعَادِي مَرْتَعُهُ
عَزَمَ الْأَمِيرُ وَلَمْ يَسْعِهِ مَوْضِعُهُ
بُدَّ، وَلَيْسَ لِمُنْتَأَى مَا يَوْسَعُهُ
مَا يَوْمُهُ؟ مَا شَأْنُهُ؟ مَا مَصْرَعُهُ؟
وَمَشَى بِهِ نَحْوَ الْمَنِيَةِ مَطْمَعُهُ
هُوَ فِي الْوَعَى ثَبَتَ الْجَنَانُ وَأَصْمَعُهُ

★ ★ ★

مِثْلُ الْأَمِيرِ وَلَسْتُ مِنْ مَذَاحِهِ
لَكَ فِي الْفُؤَادِ مَكَانَةٌ قَدْسِيَّةٌ
الْعَرَبُ جَيْشٌ لَا يَقْلُ عَرْمَرُمٌ
عَلَقْتُ بِهِ الْأَمَالَ هَذَا حِينَا

عَجَزًا يَقْلُ لَدَيَّ مَا قَدْ يَسْمَعُهُ
وَأَسْمٌ نَقِيشٌ فِيهِ لَسْنَا نَنْزَعُهُ
وَأَبُوكَ فِي هَذَا الْعَرْمَرُمِ تَبَعُهُ
هَذَا الْوَفَاءُ إِلَى سَمَائِكَ نَرْفَعُهُ

شرع العروبة لا نئي عباده وسواه — لا وجلالكم — لا نشرع

★ ★ ★

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر	ضمّت على الشكوى المبررة أضلعة
المسجد الأقصى . أجتّ تزوره	أم جئت من قبل الضياع تودعه ؟
حرم تباح لكل أو كع آبق	ولكل أفاق شريد أربعه
الطاعنون . وبورك جنته	أبناؤه ، أعظم بطعن يوجعه
وغداً ، وما أدناه لا يبقى سوى	دمع لنا يمي وخيد نقرعه
ويقرب الأمر العصيب أسافل	عجلوا علينا بالذي نتوقعه
قروم تضل لدى السداد حصاته	ويسيطر العادي عليه ويخضعه
صبح يا أمير به قربت صيحة	من فيك تجدي إن تشاء وتنفعه
سل سادني الأقصى : أقوم مجمع	في الحرب أم متافر لا تجمع
سل سادني الأقصى : أيغهد لأمرى	عهد أمام الله ثم يضيغه
شكوى وتحلو للمضيم شكاته	عند الأمير وأن تفرق أدمعه
سِر يا أمير ورافقتك عناية	نجم السعود وفي جينك مطلعه

* — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر .

** — ألفت في «عنتا — فلسطين» — أمام الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود ، حين زارها يوم الخميس في ١٤ / ٨ / ١٩٣٥ .

*** — للقصيدة — في عدة مخطوطات — عدة عناوين منها : «المسجد الأقصى» — «نجم السعود» — «سل سادني الأقصى» . وقد رجحنا عنوان «المسجد الأقصى» على غيره ، لتكراره أكثر .

١٧ - روض .. وإني عندليبه

روضٌ وإني عندليبه يوحى لي المعنى رطيبة
رعى على حسن الوفا ريبه قوي ريبه
لي كل يوم فيه شعر سائر شتى ضروبه
ويرن في جناته من لحي الموحى طروبه
نور قبست قصائدي منه فشاخ بها هيبة
ورمت أشعته ظلام الجهل فانتكت حجو به
صرخ تهزأ بالزمان ولم تزل منه صعوبه
مرث به كلمي خواسر أن تهدمه حقوبه
فامتاز من حميد ظلوم، ود لو قطعت سوبه
ليسود في الناس العمى ويسود من جهل غوبه
والظلم هذا دأبه في الغدر ليس يني ذروبه
وسياسة التجهيل سيف مصلت تُردي ندوبه
والبغي أبطش إن يكن فقراً وتجهيلاً حروبه
فالسيف قام حريه والجهل لم يبعث حريه
إن لم تُرب شعباً جهائمه فما شيء يريه
والعزة القعاء بنت العلم غداها حليه
والسيف لا يجدي بلا عقل يُصرفه لبيبه
والجاهلون إذا ولوا أمراً تثبت بهم دروبه
يتخطون فلا الخطا لهم يمين ولا مصيبه
كتخط الأجناد في جلال وقد أوفى عصيه

يتأبزون ونحن نتظر الجلاء ذنا رهيبه
باتوا على ليل الخصاص وشعبهم قلق جوبه
أرجوا إلى حرب بقو مهمو مفرقة خروبه
قدنا من الخطر القصي وضاع من أمل قريه
والخطب لا يلقي بأحزاب إذا يذهب خريه
إننا تذوقنا الخلاف فلم نرانا نستطيعه
والخلف يوم الشوم في الدنيا وبنعنا نعيه
هل منبر يا ناس للإصلاح يدعونا خطيبه
ولم شمل قلوب قوم أصبح شتى قلوبه
ويعيد ذاهب مظهر يودي بأجمعنا ذهبه
فيقابل الناس الزمان وما خفته لهم عيوبه
يا قوم صاح بنا الصرخ فما لنا لا نستجيبه
وجمعنا يدري التفريق في الشدائد ما عيوبه
ما فاز قوم بينهم خلف يذب بهم ديبه
والخلف حال يونس الهماة من قصد كيبه
مرض لشقوتنا تأوفا أذاه فمن طيبه
من ينقذ الوطن الحبيب رماه في البلوى حيبه
فيك الخلاص أيا شاب وقد تخاذل عنه شيبه
أنقذه أنت فخره لك دونهم وعليك حوبه
كن سيفه في النابات وئرسه مما يصيبه
واعف فلم يرجع بغير العنف من حق سلبه
إليس حديداً في النصال يزلك في الدنيا قشيه
ما عاش ما بين الوحوش مسالماً قصرت نبوه
والقيد ليس له سوى نار موجبة تذيبه
والظلم يحرقه الدم المهرق في حرب صيبه

فافهم ولا يخلبك من غدرٍ لشرير خلوبة
 واعلم ولا يخدغك من وعدٍ ومن عهد كذوبة
 واغضب لعرضك إن ثلبت يخلقك من غضب تلوبة
 كن ذئب فتك في الوجود وإن ودعت فراك ذيبة
 واهجم على الميدان لا تُرعب فما أجدى رعيته
 غامر فإني قد رأيت العزَّ بحرمة هيوته
 إن الشاب لظي يُخرق دوحه العادي شيوته
 والعاصف السقاع يدم قبة الباغي هيوته
 إن قال كانت زارة فيضيق بالطاغي رحيته
 أو صال كانت فتكة فيلين من قاسر صلوته
 هذا الشاب!! جحيمه لعدى وللقرى شنيه
 ذو مرة سجد الزمان له مُسلمة خطوبه
 غيث به يزهو الحمى ويُغل من عمل جديته
 هذا الشاب!! نسبت وخير تقصيدي نسيته
 كونه يا ولد النجاح فقد أهاب بكم مهيته
 لا لا تدوروا كالرحى في معشر أنتم قطونه
 لا ترجعوا مثل الصدى كلما تملككم صخونه
 أدوا رسالات الشباب الحر حاشاكم معيته
 روض النجاح ثماره هذي نصحن وذاك طيته
 روض وإنني عندليه يوحى إلى روعي رطيه

— ألفت بفندق فلسطين في حفلة توزيع الشهادات على الطلبة الخريجين بكلية النجاح الوطنية في

نابلس.. تاريخ (١٩٤٥/٦/٣).

— نقلنا عن نسخة بخط يد الشاعر.. وصورة عنها.

١٨ — ذكرى ثورة دمشق

أَبَتْ رَقاً وحطمت الصفادا
وناداهما من التاريخ صوت
وما سورية إلا رقاة
وفيهما قبسة من عبد شمس
تريد وإن قصا عنها مراد
وثقيدم لا تبالي حين تلقى
ومن لم يئن من صرعاة جسراً
وخير بنائنا الباقي بناء
ومن يحطب من الدنيا عظيماً
سعت سورية وسعى بنوها
تملك حب الاستقلال منهم
تعاندهم فرنسا في رغاب
أساة لا يقر لهم قرار
إذا بخسوا يزيدون اعتزازاً
وتخلق منهم الجلى أسوداً
ويستوحون تاريخاً مجيداً
ولما أن طغت باريسُ ثاروا
وما باريس إلا دار غهر
غزاها من بني برلين ناس
وأرغمت الأنوف لهم صفاداً
وداسوا فوق أذيال العذارى

وسارت فوق أجماد تهادى
فلبث لا تقاعس حين نادى
رقت عزاً وعوذت السدادا
ومن غمان تهديها السدادا
أنالتها ضحاياها المرادا
مصارعها جموعاً لا فرادى
إلى برّ المنى ضلّ الرشادا
تكون له جماجنا عمادا
به غالي لدى مَهْر وفادى
لأمر أحسنوا فيه الجلالا
قلوباً قد عشقن له الجهادا
لهم وهم خلقوا العنادا
على خسف كمفترش قتادا
وإن ظلموا يزيدون اعتدادا
وتشجذ منهم المهمم الشدادا
به تاهوا على الدنيا مجادا
ولم يرضوا لباريس انقيادا
بها وهنّ تطاوع من أرادا
وعاثوا في نواحيها فسادا
وذلت الحدود لهم مهادا
ولم تغضب وأسلمت القيادا

ولمّا أن قضى الرحمن أمراً
 غدت تعدو على البرءاء ثأراً
 كذا إن يحكم المضعوف يوماً
 وإن ملك اللئيم على رقاب
 وراحت تحشد السنغال حشداً
 وتحشر من وحوش الناس حتى
 إذا ما استهدف العلياء يوماً
 يصون تراثه ويصون غاباً
 أيا باريسُ لست هناك إنّنا
 وما كان الزوج سوى سوادٍ
 وما يغنون في إرجاع ميثٍ
 هبهم دُمّروا ورموا شواظاً
 وهل يدنون من أمرٍ قصياً
 سوى أن يملأوا سِفراً سواداً
 تغيّب نجمك المنحوس عنا
 بذرت الشرّ في الدنيا فذوق
 دمّ أهرقته أوفى أيّاً
 وأبيات حرقَت مُمرّداً
 يَغز عليّ أن أزجي القوافي
 وفي قلبي من الأحقاد نارٌ
 فلا يروي غليلي غير غمرٍ
 أنمهلها الغداة وقد أقامت
 ولم تقف الحياض دمشق حتى
 وديغول أخو جهل وإن لم
 توهّم أنه أوري زناداً

غريباً فيه قد وعظ العبادا
 تسومهمو ولم يخبوا اضطهادا
 بغي في حُكمه وطغى وزادا
 غدا سيفاً لها وقسا فزادا
 لقوم لم تخف لهم احتشادا
 تعادى همّ قوم لا بُعادي
 تمكن لا يُدار ولا يُرادي
 كما العنقاء يكبر أن يُصادا
 لأحرارٍ ونأى أن تُسادا
 لبستهمو على الماضي حدادا
 بكثرتهم ولو كانوا جرادا
 فهل يجدي توحشهم مفادا
 وهل يحيون من مجدٍ مُبادا
 وسفرك فاض من غهر سوادا
 وقدّرنا له ألا يُعادا
 ثمار الشر إذ بُلغَتْ حصادا
 ولن نجد الملاذ ولا المخادا
 سنذروها بعينيك رمادا
 ولا أزجي المثقفة الصعادا
 على باريس تنقّد انتقادا
 من الدم إن يرد غيري الثمادا
 قيامتا بجلق والمعادا
 لدى خطب فلا تقف الحياذا
 يدق من مرّ علقمنا تهادى
 لنصر وهو لم يُور الزنادا

ونعلم نحن من فتح البلاد	وخال رجاله فحت بلاداً
ولا أزجى لميدان عتادا	فلا أزجى لميدان جنوداً
إذا ما حطت الأوزار عادا	تواري من بلاد الناس حتى
وعاد ليحشم الدنيا كبادا	وعاد ليرحق الدنيا صعوداً
وثوة عن هدى المثل وحادا	وطاوع نفسه وبها غرور
على أسافنا ارتد ارتدادا	ولما أن رأى الغضبات تبدو
محافظة وجدا واتحادا	مطامع للعدا قد علّمتا
فكونوا للجراحات الضمادا	بني قومي وكلكم جريح
نعد لها الأظافر الحدادا	وإننا حين نحا في وحوش
يكافح دائباً كي لا يُبادا	وفي سورية شعب أبى
إذا لم تلق من أهل إيادا	وما أيدي الأبعاد مجديات

* — كتبت هذه القصيدة عام ١٩٤٤ في «ذكرى ثورة سوريا ولبنان».

** — النص نقل عن مخطوطة بخط يد الشاعر. وقورنت بنسخين آخرين: إحداها قديمه بخط أحد أصدقائه. والأخرى بخط السيد: أحمد القرع — الموظف في البنك العربي في الدمام بالسعودية سابقاً. وهو المعروف باسم «أبو علاء» — مدير مؤسسة صامد الاقتصادية الفلسطينية — حالياً.

*** — ألفت في «مهرجان نابلس» لنصرة سوريا الذي أقيم بفندق فلسطين.

١٩ — طوفان سوريا

مصائب من الدهر أذكى الأتني
أكفكف دمعي لدى ذكره
عجبت لمطفئ حَرِّ القلوب
وما فيه سرَّ حياة الوجود
لو أنَّ الخيار لنا في الورود
بنات الزمان، خبايا الكفان
يراعى التكافؤ في زوجهن
وما العُربُ إلا فخار الوجود
مصائب يُدكدك شم الهضاب
يهون الأنام إذا ما ابتلوا
ولكن دمشق وجناتها
دمشق الحبيبة زين الوجود
هي الجيد غُطِّل عن عقده
وكنَّ التعاويند من حوله
جنان حسان، ترى كالمهامه
فأين القصور وأهل القصور
تساوير في صفحات الجمال
بنفسي الصغار، حسان الوجوه
تقاذفهم جارفات الأتني
قرأس رضيع على جندل

وأصمى فؤادي لما دها
لكيلا أزيد خصما طمي
يشب بقلبي نارا لظي
يفيض وفيه فناء الوري
عليه لأوثر ورد الصدى
فيا للزمان وما قد خبا
فهذا لهذي وهذي لذا
فللعرب فيهن ما قد علا
ولو نيط بالنجم يوما هوى
وتشمخ عزاً إذا بُتلى
لها الروح والمال، منا فدا
وغاب الأسود.. ورغم العدا
وفيه السناء له والسنا
ومن أعينهن سدين الرقى
بين العشي وبين الضحى
وأين الرياض وأين الشذا
محاهها الزمان بما قد محاه
كأنهم زهرات الربا
تقاذفهم في الحياة الدمى
وقد كان معبث ريح الصبا

وَتَغْر هَشِيمٌ كَمَا الْأَقْحَوَانِ	وَحَذَّ كُورْدُ الرُّوَايِ ذَوِي
وَمَا سَمِعَ الْمَاءَ أَهَاتِهِمْ	وَلَا رَحِمَ الْمَاءَ فِيهِمْ بُكَاءِ
وَزَيْنَ الْبَدُورَ، حَوَاكِي الْبَدُورِ،	ذَوَاتِ الْعَفَافِ، ذَوَاتِ التَّقَى
يَنَادِينَ أَيْنَ حِمَاةَ الضَّعَافِ	وَأَيْنَ الرِّجَالِ، أَسْوَدَ الْحُمَى
وَضَاعَ النَّدَاءُ فَمَا مِنْ مَجِيبِ	يَحْيِي نَدَاهُنَّ إِلَّا الصَّدَى
نَجْمٌ حَوَاهَا ضَمِيرُ الْخِطْمِ	فَبَاهَى بِهِنَّ نَجْمُ السَّمَاءِ
بِنَفْسِي عَقْدًا نَظِيمًا يُفَضُّ	وَشَمْلًا تَبَدَّدَ أَيْدِي سَبَا
فَمَنْ صَائِحٌ يَا أَيْيَ يَا أَيْيَ	وَمَنْ صَارِخٌ وَآخَا وَآخَا
وَمَنْ لَا تَذُ بَذِيُولُ الْفَرَارِ	وَلَاتِ فَرَارِ فَلَاقِ النَّسْوَى
تَمَتَّى الَّذِي قَدْ أَصَابَ النِّجَاءُ	بَعِيدَ التَّبَصُّرِ، إِنْ لَا نَجَا
وَبُعْدَ الدِّيَارِ وَبُعْدَ الْأَحْبَةِ	عَنْ ذِي الْحَيَاةِ غَنَى لِلْفَتَى
مَرَاءٍ تَلَيْنَ صَمَّ الصَّفَا	مَشَاهِدَ أَفْضَلِ مِنْهَا الْعَمَى
دَمَشَقُ الْجَرِيحِ وَأَنْتَ الْفُؤَادُ	جَرَحْتَ وَلِلْقَدَسِ فَيْكَ الضَّنَا
دَمَشَقُ الْحَبِيبَةِ لَبِيكَ، لَا	يُرْعَكَ الزَّمَانُ فَإِنَّا الْفِدَا

* — نقلًا عن مخطوطة بخط يد مروان الطاهر .

** — قُلت في شتاء عام ١٩٣٧ ، في كارثة طوفان المياه في سوريا . ويحتمل أن تكون قد نشرت في «الجامعة الإسلامية» وفي «الرسالة» .

٢٠ — في العيد تلثم الجراح

في العيد تلثم الجراحُ وثُرْقاً العين القسريحة
والعيد من أهل الفنون يزين الصُور القبيحة
حلَّى بريشته الحياة إذا بها تبدو مليحة
وسرَّت يدها على الوجوه التُّكْد فانقلبت سميحة
من سحره رَقَّ الجليف وجادت النفس الشحيحة
وتناجت الأرواح، عَذَّبها الجوى، النجوى الصريحة
وشدَّت شفاه العاشقين، على الهوى القَبْل الصدوحة
وتسابقَتْ تلهو النفوس بحنة العيد الفسيحة
ورنَتْ إلى مُتَع الحياة وحلوها العين المشيحة
العيد زهر الدهر ينضح بالشذا فاقطف نصوحه
العيد من مَنَح الزمان الشَّح فاغتم المنيحة
يا ليت كل الدهر عيدٌ كي أطيل له المديحة
العيد في الدنيا رسولٌ للسلامة والأمان
يحسا به الخروم في دنيا رغائبه الحسان
وثشيع أفراح الحياة لُغى الثالث والثاني
وتعَبَّ عطشى الأرض في راح التعاطف والحنان
فردد الأقطار نشوى فيه أسجار البيان
ومنيء الأقصى العظيم أُنح له في القُيُروان
ويصافح النجف الكريم وكربلاء المسجدان

وَتَقْبَلُ الشَّامَ الْمَحَبَّةُ خَدَّ صَنْعَاءَ الْإِمَانِ
وَتَبْرُحُ بِالْحَبِّ الدِّفِينِ الْبَصْرَتَانِ لِيَطْوَانِ
الْعِيدَ قَطَّاعَ النَّوَى جَمَاعَ أَسْبَابِ التَّدَانِ
فِي الْعِيدِ لُقِّيَ مَا تَمْنَى الْقَلْبُ مِنْ بِيضِ الْأُمَانِ
يَا لَيْتَ كُلَّكَ عِيدَ أَفْرَاحٍ لِقَوْمِي يَا زَمَانِي



فِي الْعِيدِ يَذْكُرُ كُلُّ ذِي حُبٍّ وَلَا يَنْسَى حَيَّةَ
وَأَنَا الْمَحَبُّ أَخُو الْعُرُوبَةِ تَيَّمَتْ قَلْبِي الْعُرُوبَةُ
هِمَانٌ فِي وَطَنِي الْجَمِيلِ وَفِي مَفَاتِنِهِ الْعَجِيبِ
وَطَنٌ فَدِيثُ شَعَابِهِ وَفَدِيتُ فِي رُوحِي شَعْبِهِ
وَرَقِيتُ مِنْ عَيْنِ الْحَسُودِ جَنَاحَهُ الرِّيَا الْخَصِيْبِ
عَوَّذْتَهُ مِنْ طَارِقِ الْخِطْبَانِ يَدْهُسِي بِالشَّيْبِ
وَسَوَاعِدُ قَدِّ صَرْفَتِهَا أَرُوسُ الْفَضْلِ الْأَرِيْبِ
تَبْنِي وَتَعْمُرُ فِي جَوَانِبِهِ الْمُنْمَقَةِ الرِّحِيْبِ
وَطَنٌ نَسَبَتْ بِهِ فَكَانَ زَكِيَّ أَشْعَارِي نَسِيْبِ
بَحْرَتُهُ بِيخُورُ قَلْبِي وَاحْتَسَبْتُ عَلَيْهِ طَيْبِ
فِي الْعِيدِ تَرْفُلُ فِي النِّعَمِ الْأَرْضُ بِالْحُلُلِ الْقَشِيْبِ
فَارْفُلْ أَيَا وَطَنِي وَغَنِّ أَغَانِي الْمَجْدِ الصَّخُوبِ
لَا زِلْتَ يَا وَطَنِي بِخَيْرٍ خَالِصٍ مِنْ كُلِّ رِيْبِ

* — بخط يد الشاعر .

٢١ — يقظة النيل

أغفى وما قَرَّتْ جنوبه أئى وغفوته تعيه
صوت من الماضي المجيد علا يُؤزقه صخوبه
وغد الرجاء الحلو ناداه فلبى يستجيه
ودم الشباب، دم الشباب الحر يوقظه صبيه
الساهرين حواله يحمونه مما يريه
والقاذفين القيد في نار مؤججه تذيبه
أشلاؤهم في صدره [الأحرار] مما قد ينوبه
والنيل كيف منامه والفجر غرد عندليه
والماء بككر بالسلام على الثرى فربا جديده
والتور أطربه شعاع التور فانشقت جيوبه
والأرض من سكر الصباح حسّت فذب بها ديبه
صور تليذ فهل تراه يفوته منها نصيه
وهو الميتم بالجمال يريده أئى يصيه
والنيل شيخ ذوى القنون وكل مفتن ربيده
مرت على القفر الجديب عيه فزكا خصيه
ومشى بريشته على ثوب البلى فزها قشيه
من فته حب الكمال التزه عن نقص يشوبه
سلمت يده.. شماله المرسوم يكمله جنوبه
من فته بعث الحياه بما يقن، فمن ضربته

والنوم صِنُو الموت أو موتٌ فَأَتَى يَسْطِيئُهُ
 أم يَهْأُ المشتاق في نومٍ وحاضِرُهُ حَيُّهُ
 شَعْبٌ عَيُونُ النِيلِ تَرْمَقُهُ وتَعشَقُهُ قُلُوبُهُ
 بَعَثَ الحماسَ بِشَاطِئِهِ فَشَبَّ بالعِزَمَاتِ شَبِيهُ
 ورمى بِأرواحِ الشَّبابِ الطَّيْبِ مِنْهُ ففَاحَ طَيِّبُهُ
 من وَحِيهِ أَيُّ الجِهَادِ وبعضُ مَعَانِهَا لَهْيُهُ
 شَعْبٌ نَسَبْتُ بِهِ وَأَجْهَلُ مَا بِتَقْصِيدِي نَسِيَهُ
 يَاشَعْبُ، قَلْبُ الْعَرَبِ مَجْرُوحٌ وَقَدْ نَزَّتْ نَدْوِيُّهُ
 فَأَدْرَ عَلَيْهِ شَنِيبَ عَطْفِكَ يَشْفِيهِ مِنْهَا شَنِيبُهَا
 إِنْ لَمْ تَطْبُ لِي يَدَاكَ فَمَنْ سَوَاكَ إِذْ ذُنُوبِيهِ
 أَنْفَخَ مِنَ الرُّوحِ الْكَرِيمِ شَجَاعَةً يَشْجَعُ رَعِيَّهُ
 وَأَمْرُهُ لَا يَهَبُ الرَّدَى فَالْعَزُّ يُحَرِّمُهُ هَيُوبُهُ .

* — يعتقد أنها كتبت عام ١٩٤٦ .

** — بخط يد الشاعر (مخطوطة) .

٢٢ — كان غازي ...

كان نجماً يَهْتَدِي الساري به في دياجير الليالي الخالكات
كم قلوب رقصت خفاقةً حينما لاح : بديع الحفقات
أدخل النور على أفدة كن من نور الأماني مقفلات
كان نجماً ثم غاب
وتوارى في التراب
لهف قلبي

نفخ الموت عليه فانطفأ وانطوت أنواره في الظلمات
ورنت أبصارنا كيما ترى ماقل النجم قُرْدَتْ غِرقات
★ ★ ★

كان غصناً جملة زهر المنى طيب الثمر لذيذ النعمات
بسمت أكامسه عن أمل قد رجوناؤه وعن خط مؤاتي
غير أن الدهر هبث ريحه تقصف الغصن وتذري الزهرات
راح والعمر شباب
والأزاهير رطاب
لهف قلبي

قد حبنا الدهر غفلاً ولم نك في الحسان ربح العذرات
هكذا إما اُذْ رَغْنَا نبتة للمنى أودى الردى بالنبات
★ ★ ★

كان غازي كان غازي لهباً صلي المحرق منه كل عاتي
شعب القوة من أنفاسه وقلى صدره بالعزيمات
ورويانا عنه آيات سنا وأحاديث ثناء مُسنّدت
كان للعادي الشهاب
وله تُحنى الرقاب
لهف قلبي

كان كالحلم قصيراً عمره تسعد النفس به في الغفوات
وإذا النفس أفاقت من كرى هرب الحلم فذايت حسرات
★ ★ ★

-
- * — نشرت عام ١٩٣٩ : أنظر : مجلة «الأمل» البيروتية — السنة الأولى . عدد ٣٣ ، سنة ١٩٣٩ .
- ** — في ٣ نيسان / ١٩٣٩ لقي الملك غازي — ملك العراق — مصرعه في حادث اصطدام سيارة . وكان من الخصوم الرئيسيين لسياسة رئيس الوزراء نوري السعيد التي تشكلت في ٢٥ / ١٢ / ١٩٣٨ . وشاع أن مصرع غازي كان مديراً من الانكليز وعملائهم . فقد عُيّن الأمير عبد الإله وصياً على العرش وكان معروفاً بولائه لبريطانيا وصلته الوثيقة بوري السعيد . وقد أقيمت في فلسطين حفلات تأييد كثيرة للملك غازي شارك فيها شعراء كثيرون معتبرين أن غازي كان «أملاً وطنياً» — أنظر : طبعة مركز إحياء التراث — صفحة — ١٧٤ .

٢٣ — يا عاملٌ ...

هذي القصورُ وأنتَ را فعُ سُمكها هل هُنَّ لك ؟
والدوحُ أنتَ زرعتُهُ من حولها هل ظَلَلَك ؟
والنور من يدك الصَّنَا ع فما حياؤُك في الخلْكِ
الحسن أنتَ خلقتَه لكن سواك له ملك
لا تأس فالدنيا تصيـ رُ إليك إن دار الفلك
يا عاملٌ

الله — في الدنيا — وأنتَ ست الخالقان من العدم
أولستَ إن تُضْرِبَ يَمْلُ ماءً من الصخر الأصم
وإذا نفختَ بتربة حَيْثُ بنفختك الرم
الصَّرْخُ إن ترفعه يُرُ فَعُ أو تُهْدِمُهُ أَنهدم
فاعرف مكانك في الورى واعلمهُ أنتَ به علم
يا عاملٌ

أَلْبَسْتُ من نسج اليديـ في الكونِ تَوْشِيَةً تزيـ
ونظمت من غَرْق الجيـ في لآلِئِ غَرْ الجينِ
مُتَحَرِّكُ بني المُنـى وبشْرِعْكَ : العارُ السكونِ
ويهون عندك كلُّ شيءٍ غيـرَ نفسِكَ لا تهونُ
ما شئتَ كان وكلُّ ما تأباه يوماً لا يكونُ
يا عاملٌ !!

أرسُم طريقَكَ في الحياة ولا تُشَدَّ عن الطريقَةِ !!
واعرف رفيقَكَ إِنَّهُ لك جُنَّةٌ في كلِّ ضيقِهِ

واحفظ حقوقك، ضاع مَنْ لم يَحْمِ من جَهْلٍ حقوقه
وأحبَّ في الدنيا الجمالَ، ولا جمالَ سوى الحقيقة!!!
حرَّرْ من الأغلالِ نفسك ولتكن نفساً طليقة
يا عاملُ

أحصُدْ بمنجلك الرقابَ إذا حرَمْتَكَ من مُرادك!!
واطرقْ بمطرقك الرؤوسَ إذا تبادتْ في عِنادك!!
واحكمْ بأمرِكَ في بلادك، لا تُعَرِّبْ في بلادك
أنت الذي زرع الحياةَ فَمَنْ شريكك في حصادك??
قعِدوا وجاهدتْ الصعابَ، فمانعوك جنى جهادك!
يا عاملُ

لا شيءَ غيرَ لظى النضالِ له يكون البغي طُعْمَةً
لا شيءَ غيرَ سنا النضالِ ينيرُ للطغيانَ ظُلْمَةً
لا شيءَ يَجْرِفُ كالنجيعِ الحرَّ ظلاماً وظُلْمَةً
لا مستحيلَ عليك، فأحزمْ أنت ذو حَزْمٍ وهِمَّةٍ
والبطلُ بيت العنكبوتِ وهى فما أهونَ هَدْمُهُ!!!
يا عاملُ!!

* — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** — نشرت في جريدة «الاتحاد» — عدد ٢٢ — السنة الثانية — ٧/ تشرين أول : ١٩٤٥ . كما هو مشار إليه في المخطوطة.

*** — أنظر : طبعة مركز إحياء التراث : نشرها في «الاتحاد» بتاريخ — ٢٠ / ٨ / ١٩٤٤ .

٢٤ — نحن المصادر والموارد

نحن المَصَادِرُ والمواردُ وسلاحنا قُتْلُ السواعِدِ
هاماتنا للمجد، يرسو حين تُبدَعُهُ قواعِدُ
وقلوبنا نُبْعُ المكارم، ليس ينضب والمحامد
ودماؤنا الحمراءً للحريّة العليّا روافد
ولنا الأيادي البيضُ، لا ينسى الأيادي غيرُ جاحد
والشيءُ إن كنا الأساسَ به، وإلاّ فهو فاسد
ولطى النضال إذا بُعَدْنَا عنه أصبح جدّ خامد
وبنا إذا تدهى الشدا نُدّ كان تفرّج الشدائدُ
إن آمنّا العمالُ نعملُ، ليس تشغلنا المفائدُ
لا نستكينُ لظالمٍ وشعارنا: ناضِلٌ وجاهِدُ
نسعى لإسعاد الأنامِ من الأقارب والأبعد
ولو أنّ خيراً في الأقاصي جاء منا الخير رائدُ
كالوفد، وفد المخلصين، غدا وروّح وهو راشد
نقض الذي غزل العداة هناك من زغل المكائد
قد ذاد عن حقٍ سليب، ما له كالوفد ذائد
ورمى طواغيت التحكّم منطقاً فانهد واطد
وإذا صَحَبَتْ الحقُّ قلتُ، وليس تعجزك الشواهد
والحق في الدنيا قديمٌ، لا يُمارى فيه خالد

يُجْبُو وَلَكِنْ بِالنِّصَالِ يَعُودُ مَشْبُوبُ الْمَوَاقِدِ
وَالْحَقُّ يَصْدَأُ كَالْحَدِيدِ وَمَا الْكَفَّاحُ سِوَى الْمَبَارِدِ
فَيَزِيلُ عَنْهُ قَذَى الْجَهَالَةِ وَالْمَفَاهِيمِ الْجَوَامِدِ
إِنَّ اسْمَنَا الْعَمَالُ لَا نَلْهُو بَلْغُو عَنْ مَقَاصِدِ
نَقْضِي عَلَى حَدِّ الْأُسْتَةِ لَا التَّمَارِقِ وَالْوَسَائِدِ
وَنُخَاطِبُ الْبَاغِينَ فِي لُغَةٍ مَعَاجِهَا الْحَدَائِدِ
وَنُقَابِلُ الظُّلْمَ الْفَرِيَّ بِهَمَّةٍ تُفَرِّي الْجَلَامِدِ
وَنُذِيبُ فِي نَارِ الْجِهَادِ وَحَرِّهَا عَنَّا الصَّفَائِدِ
لَسْنَا كَمَنْ يَهْذِي عَلَى الْأَعْوَادِ بِالْخُطْبِ الرُّوَاعِدِ
وَيُرِيدُ أَنْ يَرِقَ إِلَى أَوْجِ الْمَعَالِي وَهُوَ قَاعِدِ
وَيُرَوِّحُ يَطْرُحُ لِلظُّهُورِ عَنِ الْمُنَاسِرِ بِالمَصَائِدِ
وَيَبِثُ فِي الْخُطْبِ السَّمُومِ وَدُونَهَا سُمُّ الْأَسَاوِدِ
فَيُطِيرُ مَا بَيْنَ الْهَتَا فِي طَرِيفِ أَجْمَادِ وَتَالِدِ
يَقْتُلُ الشَّعْبَ الْمُضْطَّلَّ وَهُوَ عَامِدِ
يَهْوِي وَيَزْعُمُ أَنَّهُ بِالشَّعْبِ رِقَاءً وَصَاعِدِ
فَتَرَى الَّذِينَ أَضْلَهُمُ مَا بَيْنَ نَعْسَانٍ وَرَاقِدِ
وَعَدَوْهُمْ شَاكِي السَّلَا جَ مَدَجَّ سَهْرَانُ رَاصِدِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ فِي الْمَصَا يَبْ فَرْقَةً وَالهَمُّ وَاحِدِ
نَقْضِي الْحَيَاةَ عَلَى خَصَا مِ بَيْنَ غَيَابٍ وَحَامِدِ
رَاجَتْ أَبَاطِيلُ التَّبَجُّحِ بَيْنَنَا وَالْفِعْلُ كَاسِدِ
وَالْخَيْرُ بَاتَ ضَحِيَّةً مَا بَيْنَ هَدَامٍ وَنَاقِدِ
خَرِبَتْ دِيَارُ أَهْلِهَا عَمَرَتْ قُلُوبُهُمُ الْخَاقِدِ
لَكِنَّ فِي عَمَالِنَا الْأَرْارِ مِفْتَاحَ الْوَسَائِدِ
مِنْ نَارِهِمْ قَبَسَتْ قَضِيَّتَنَا، نُهُمَّ وَغِيْظَ حَاسِدِ
وَالْحَقُّ لَيْسَ بِعَادِمِ بَعْضَ الْحِمَاةِ وَلَا بِفَاقِدِ

يا أيها العمال ثو حي لي وجوهكم القصائد
وبكم تطاوعنني وتُسلسُ من قوافيها الشوارد
فلتحيون أعزّة وليحي وفدكمو المجاهد.

* — نقلاً عن مخطوطة كتبت بخط يد الشاعر .

** — الوفد : وفد الطبقة العاملة الفلسطينية في مؤتمر لندن وباريس . عام ١٩٤٥ .

*** — البيت رقم ١٨ : في الأصل هكذا!!

٢٥ - إلى العَمَّال

هو الفجر قد لاحت لعيني بشائره
غداة رأيت القوم تسمع أذنه
وسلم للعمال قود سفينه
بناة إذا شادوا بناء لعزة
وإن غمرث همائم جنب ظالم
وإما أرادوا أسعفتهم سواعد
كثيري فعال الخير لا يعلكونه
لهم مطلب فرد: تحرر أمة
وكيف وعيش الذل يأباه معشر
وما غرق الأتعاب إلا لآلئ
يضحون بالأواح والجهد نضرة
فكم سقطوا صرعى بواسل دونه
ولم يطلبوا عز الكراسي كالذي
فيا عاملاً لم يرج أجراً وإنما
أطع وحي توجيه الضمير وما غوى
ويا أيها العمال قد هلّ يومكم
وقف هذا اليوم قد كان مطلبني
أنقل وجهي في وجوه أعزة
فإنكمو صوت وإني لكم صدئ

وزال من الليل البهيم دياجره
وبعد العمى والته أبصر ناظره
لدى مزبد غمر تهول أعاصره
تعز على هدم العداة أياصره
ترحزح لم يبدأ من الروع حائره
ولم ينهم عن نيل أمر شواجره
كما غذك الهذر المذم هاذره
ولم يزهمهم من عيش ذل أحاصره
قلائده من صوغه وأساوره
تزيّن وضاح الجبين نواصره
لموطنهم إذ قل في الناس ناصره
ولم يذكر الصرعى البواسل ذاكره
تعلق في عز الكراسي خاطره
الصبر على ما قد يلاقيه أجره
على الدهر شعب وجهته ضمائره
مزهرة صحابة ومزامره
بمنبره العالي وإني لشاعره
فيوحي إلي الشعر يرفل ساحره
وإنكم روض وإني لطائره

أَعْرَدَ فَيَكُم فِي مُحَاسِنٍ مِنْكُمْ
 إِذَا الْحَقُّ لَمْ يَلْهَمْكَ شَعْرًا تَقُولُهُ
 وَمَا قِصَّةُ الْعَمَالِ إِلَّا حَقِيقَةٌ
 كَسَاهَا أَخُو ظَلَمٍ ثِيَابَ خِرَافَةٍ
 وَأَبْرَزَهَا لِلنَّاسِ شَوْهَاءَ نَكْرَةٍ
 وَمَا الْحَقُّ فِي أَنْ يَأْكُلَ الْجَنَى قَاعَدَ
 وَيَغْمُرَ ذُو الْإِجْهَادِ قِصْرًا مُمَرَّدًا
 وَيَحْمِلَ وَزْرَ النَّاسِ مِنْ غَفٍّ مَطْمَعًا
 أَضَالِيلٍ مِثْلَهَا عَلَى النَّاسِ ظَالِمٌ
 عَرِيقٌ بَفَنِ الْكِذْبِ قَدْ بَانَ أَصْلُهُ
 وَشَيْكَ انْهِيَارِ الْعَرْشِ زُلْزَلِ أَسْهُ
 فَلَا تُخَدِّعْنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ قَالَةً
 فَمَا مَفْجَرُ الْإِجْحَافِ إِلَّا قَلْبِيهِ
 أَيْجِدَعُنَا بِالْقَوْلِ مِنْ بَعْدِ كَاذِبٍ
 كَمَا خَدَعْتَ بَارِسَ خَلْقًا مُرَزَّأً
 تَمَنُّ عَلَى الْإِنْسَانِ حَقًّا وَتَدَّعِي
 تَجَرَّدَ مِنْ قَوْمٍ وَحُوشٍ مُؤَدِّبًا
 جَرَّثَ فِي الْوَرَى أَمْجَادَهُ الْغُرَّ نَغْمَةً
 وَمَنْ جَعَلَ السِّنْغَالَ حَامِي عَرْضِهِ
 أَبَارِسُ هَلَا كَانَ جَمْعُكَ لِلَّذِي
 وَلَمْ يَبْقَ أَنْفٌ مِنْكَ إِلَّا أَذْلُهُ
 وَمَا أَنَا يَا بَارِسَ مَادُخُ أَمْرِهِ
 وَلَكِنْ بَتَعْيِيرِكَ ذَلِكَ عِبْرَةٌ
 أَأَنْتِ خَلَقْتَ الْعَدْلَ مَا عَدَلَكَ الَّذِي
 كَعَدَلَ الَّذِي فِي أَدْمَعَ النَّاسِ أَقْلَعْتَ

كَمَا أَثَرُ الْحُسْنِ الْحَبِّ أَثَرُهُ
 فِي حِسِّكَ الْمَغْلُولِ دَاءٌ يُخَامِرُهُ
 طَوَاهَا مِنَ الْجَهْلِ الْخَيْمِ سَاتِرُهُ
 دَخَانِلُهُ مَعْرُوفَةٌ وَسَرَائِرُهُ
 وَهَلْ ضَارَ حَقًّا أَيُّهَا النَّاسُ نَاكِرُهُ
 وَيُخَرِّمُهُ يَوْمَ الْحَصَادَةِ بَاذِرُهُ
 وَلَا يَسْكُنُ الْقَصْرَ الْمُمَرَّدَ عَامِرُهُ
 وَيَنْجُو مِنْ وَزْرِ عَلَى الدَّهْرِ وَازِرُهُ
 مَهَازِلُهُ لَا تَقْضِي وَمَسَاخِرُهُ
 وَقَدْ لَاحَ فِي الْأَفْقِ الْخَضْبُ آخِرُهُ
 وَإِنْ يَبْدُ نَطَاحُ السَّمَائِينَ هَائِرُهُ
 تَرُدُّهَا أَسْلَاكُهُ وَمَنَابِرُهُ
 وَلَا مَقْبَرُ الْإِنْصَافِ إِلَّا جَزَائِرُهُ
 وَيَخْلُتُنَا بِالْوَعْدِ مِنْ بَعْدِ غَادِرُهُ
 بَنُورٍ تَدَاعَتْ دُورُهُ وَمَنَائِرُهُ
 لَهَا السَّبْقُ فِي إِحْقَاقِهِ وَهِيَ هَادِرُهُ
 لَشَعْبٍ شَهِيرَاتٍ عِظَامٌ مَآثِرُهُ
 وَسَارَتْ عَلَى هَامِ الزَّمَانِ مَفَاخِرُهُ
 تَصِيرُ بِهِ نَحْوُ الْهَوَانِ مَصَائِرُهُ
 عَلَى ذَيْلِ ثَوْبِ الطَّهْرِ دَاسَتْ عَسَاكِرُهُ
 وَأَرْغَمَهُ فِي طِينِكَ الْقَذْرُ قَاهِرُهُ
 وَلَا قَارِيءُ السَّفَرِ الْقِيحِ وَنَاشِرُهُ
 وَكَمْ خَاطِيءٌ قَدْ أَصْلَحَتْهُ مَعَايِرُهُ
 تَبَاهَيْتَ إِلَّا دَاعِرُ الذِّكْرِ عَاهِرُهُ
 وَفِي الدِّمِّ عَبَتْ سَفْنُهُ وَمَوَاحِرُهُ

رمانا جراداً جرّ مكلأ وأدمعاً
 بلانا بذؤبان.. نفايا ممالك
 ومن أضمر السوءى ترد لحره
 تغنى بألحان السلام يُعده
 وراح على أهل الزمان مكابراً
 وما العدل؟ مات العدل من قبل وانقضى
 ويا أيها العمال ما الحق في الورى
 ومن رام ما بين الوحوش معيشة
 ألم تر أن الوحش يهبر بعضه
 وما حلمأ بالحق إلا تعلقة
 وما الحق إلا قوة وعزيمة
 وسعي بميدان النضال موفق
 ونار تذيب القيد في جمراتها
 ولا يجرف العادين جرفاً وظلمهم
 ولا مثل توحيد الصفوف لمبتلى
 فيسمع أقصى الأرض زارة أسده
 وما وفدكم قد بارك الله وفدكم
 وساعفهم في لندن وحي روحكم
 فغرد عصفور وبلغ بولس
 إذا قال سال الحق من كلماته
 وأعمل طه حجة في هرائهم
 ويا معشر العمال طالت قصيدي
 ومصدر تقصيدي المطول أنتمو
 وإن لم أقل في العاملين قصائدي
 ولي بقول وقف على نصح أمتي

والله ما ساقى إلينا جرائره
 ورُبّما أضحى وهن بواقره
 ودارت على ذي الكيد قدماً دوائرهُ
 وما فيه إلا غدزه وتأمرة
 ينافر في العدل الورى ويكاشره
 وما الحق؟ نام الحق وانقض سامره
 سوى شبح ما ناله قط ناظره
 فلا تقصرن عند الكفاح أظافره
 ويعدو على مستضعفيه كواسره
 يُغرر فيها طائش العقل قاصره
 يُعوذه رمح ويرقيه باتره
 يعود به من فانت السعد غابره
 وليس يفك القيد إلا صواهره
 كمثل دم الأبطال يهدر فائره
 به يدفع البلوى ويمكن خائره
 وتنفذ في قلب الأصم أوامره
 سوى مظهر التوحيد أثمر زاهره
 وساعدهم من سلسل الحق زاخره
 وبولس ذو أيد يروعك ثائره
 ومخلصة أفكاره ومشاعره
 فولى موليه وأدبر دابره
 وواتاني العاصي وألس نافرهُ
 وكل قصيد رائج ومصادره
 فلا سار من شعري المرقص سائره
 وروح على الأوطان إني ناذرهُ

وصَبَّرْتُ قلبي بالتعاليل والمنسى وقد ضاقَ عن دنيا التعاليل صابره
وقلت غداً قومي سينهض راشداً وقومِي لم يفتأ على الغي سادرة
يسير على درب الضلالات لايتني ويعلم أن الأمر شتى مخاطره
فقودوه يا عمال أنتم إلى الهدى فيلقي عصا التسيار عنه مسافره
وأدوا رسالات التحرر علَّه يصيخ لها سمعاً ويؤمنُ كافرهُ.

* — كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٥ .

** — صورة عن الأصل بخط يد الشاعر .

*** — عصفور : حنا عصفور . بولس : بولس فرح . طه : سامي طه (من قيادات الطبقة العاملة الفلسطينية) .

٢٦ — ثورة العاملين

(١)

إِلَامٌ تَلَفْتُ خُلْفَ الْقَطِيعِ وَنَمْشِي إِلَى أَمَلٍ بَاطِلٍ
وَتَشْدُو عَلَى نَعَمٍ كَالْفَنَاءِ تَخْلُفُ عَنْ أَمْسِكَ الرَّائِلِ
كَأَنَّكَ لَمْ يَنْفِضْكَ الْبِضَالُ فَلَبِثْتَ فِي حُلُمٍ ذَاهِلٍ
وَقَدْ سَحَقْتَ ثَوْرَةَ الْعَامِلِينَ بِكَفِّ اللَّطَى غَفْلَةَ الْغَافِلِ
فَقِي كُلِّ عِرْقٍ تَهْيِجُ الْحَيَاةَ وَتَجْرِي عَلَى عَجَلٍ عَاجِلِ
وَتَهْوِي الْفَيُودُ وَتَزْكُو الْجُهُودُ وَيَقْضِي الْجَدِيدُ عَلَى الْآفِلِ
وَيَسْتَضِحُّ الْكُوْحُ تَحْتَ الدُّخَانِ وَيَحْتَشِدُ الْفَوْزُ لِلْعَامِلِ

(٢)

أَمَا وَاللَّيَالِي أَلْسِي أَرْحْتُ بَلَاءَكَ فِي حُطْبِهَا أَلْقَاتِمِ
لَأَنْتَ عَلَى الدَّهْرِ خَرِيَّةٌ أَتَى لَا تَذُلُ إِلَى ظَالِمِ
وَأُمِّلُ لَكَ الْحَقُّ لُبَّ الصَّرَاعِ وَخَصَّكَ بِالنَّظَرِ الْحَازِمِ
فَإِنْ كُنْتَ تَجْتَاحُ هَذِي الْحَيَاةِ بِقَلْبٍ لَجُوجِ الْخُطَى عَارِمِ
فَلَا بَدْعَ فَالْهَدْمُ قَبْلَ الْبِنَاءِ لَبِثْتَ ضَعِيفَ الْقَوَى عَائِمِ
لَقَدْ أخطأوا فِيكَ مَعْنَى الْجِهَادِ وَكَمْ يَجْمَعُ الْوَهْمُ بِالْوَاهِمِ
فَطُفُوكَ فِي فُورَةٍ لَا تَجِيثُ إِذَا لَامَسَتْ شَقَرَةَ الْحَاجِمِ

(٣)

لَقَدْ هَرَقُوا مِنْكَ أَرْكَى أَلْدَمَاءِ وَسَامُوكَ بِالسِّدْمِ أَلْتَأَقِمِ
وَبَاتُوا عَلَى جُرْحِكَ الْمُسْتَفِثِ يَمْدُونُ بِالنَّعْمِ أَلْتَأَغِمِ

عَصِيرُهُمْ مِنْ جَنَى رَاحَتِكَ وَخَمْرُكَ مِنْ بؤْسِكَ الدَائِمِ
وَتَعْجِنُ خُبْرَهُمْ بِالذُّمُوعِ وَتَأْكُلُ مِنْ فَضْلَةِ الْآدِمِ
وَتُبْنِي عَلَى كَيْفِيَّتِكَ الصُّرُوحَ وَتَقْبَعُ فِي لَهَبِ جَاحِمِ
وَتَنْسِجُ مَا يَلْبَسُ الْمُتَرْفُونَ وَلَسْتَ بِذِي مَلَبَسٍ نَاعِمِ
وَيَمْرُحُ غَيْرُكَ فِي الطِّيَابِ وَغَيْشُكَ فِي الْضَيِّقِ كَالْخَائِمِ

* — نشرت هذه القصيدة بدون عنوان، وبدون توقيع صريح في مجلة «الغد» الفلسطينية (العدد ١٠، السنة الأولى — بتاريخ ٣٠/ تشرين الثاني/ ١٩٤٥) وقد قُدمت على الشكل التالي: «في رياض الشعر» (وهو اسم الصفحة الشعرية في المجلة)، «لشاعر الرعاة».

ونحن نرجح أن القصيدة من شعر عبد الرحيم محمود الذي نشر أكثر من مرة في تلك الصفحة من «الغد»، كما أن النسيج الشعري والموقف الاجتماعي يرجحان ذلك، وتوقيع «شاعر الرعاة» له ما يؤيده في شعر عبد الرحيم محمود قوله:

«إن تَأَلَّوْا عني إلى مَنْ أُنْصِي فإلى رعاة التوق والأغنام»

وقد سألت الأستاذ عيسى شاكر — وكان صاحب امتياز «الغد» ومدير إدارتها إن كان يذكر صاحب هذا التوقيع، فرجح رأينا أيضاً.

** — نقلاً عن: طبعة مركز إحياء التراث — الطيبة، المثلث — ١٩٨٥.

٢٧ — رثاء حمّال

قد عشت في الدنيا غريباً وها
والناس مذ كانوا — ذوو قسوة
لو كنت في حبلك شقائقهم
أو كنت من سلك رزاقهم
ونزهوا حبلك عن عيه
لكنك الحمّال لم يطمعوا
رغيفك الطاهر غمسته
ما كنت سلاباً أcha غصبة
فرحت لم يسكب عليك امرؤ
ولم يودعك حبّ وقد



حبلك والسّل لقد أوديا
وفيها لو أنصفوا رفعة
لكن بنو آدم من يوم أن
قد مر أهل الدرب لم يحفلوا
كم قد سألت الناس ماء فلم
أو استعنت الطبّ لكنما
أو ربما أوصيت أو شئت أن
رُب صغير لك خلقته

بهيّة الموت الوقور المهيب
وشاهدا فضل وخير وطيب
كانوا لهم رأيّ سخيّف معيب
بالمهمّل المطروح فوق الدروب
يحيك في التّرع شفيق مجيب
لم تدفع الأجر فقرّ الطيب
ثوصي فلم يسمعك حان قريب
متظراً إياك حتى تزوب

يرجوك للجوع الذي شقَّه يا غائباً عنه وقد طال المغيب

★ ★ ★

تلقى بمرآك المجال الحبيب	إنَّ قوافيَّ على قحطها
فَجَرَّثْتُ، غَضَبِي، ذِيُولَ اللّٰهِيْب	برودك الهادئ قد هاجها
بَشَّعْتُ في عيني الجمال العجيب	يا موقظ النعمة في أضلعي
كرهْتُ أثواب الحرير القشيب	لشوبك السرِّ وإخلاقه
كَرَّهَ لي الغصن الطريَّ الرطيب	والجسد الجامد في يُنْسِيهِ
بَغَضَ لي الصوت الحنون الطروب	وصمتك الرائع يا موحثي
عارٍ من الرحمة خاوٍ جديب	زَهَّدتني بالعيش في معشر
ذُرْوَتُها الفصلُ الحزين الكتيب	حياتك المأساة مثلتها
لكنَّهُ ما إنَّ وعاها رقيب	وراقب الناسُ تفاصيلها
وأسدلت، قبلي عليها الحجاب	يا حمرتنا قد فاتني بذوها
لكنْتُ من وجدي وحزني أذوب	أو.. لا، فلو أبصرتها كلها
في رقتي عنهم بعيدٌ جَنِيب	إني من الناس ولكنني
وخنجرُ الظالم مني شريب	أبكي على الظالم من رقة

★ ★ ★

فراقُ هذا الناس عيْدٌ فلا تجزع.. وذِي الراحة بعد اللُّغوب

* — نشرت هذه القصيدة عام ١٩٤٧ في مجلة «الغافلة».

** — «على قارعة الطريق بالقرب من سوق الحصار في حيفا...» «رأيتُه ميتاً» وبجانبه سلَّة وحبله، يمر به الناس فلا يأبهون».

٢٨ — في حالة غضب

هل غيرُ سيلٍ من دمٍ دافقٍ
أم غيرِ لألاءِ الطُّبا والقنسا
كرهتُ ذا العالمِ هل مابقٍ
ضاقَت بي الدنيا وإني بها
روحِي عبءٌ مثقلٌ عاتقي
تغلو على الناسِ ولكنني
يا ليتي أشلاءٌ في مَهْمِهِ
أوليت لي ناراً فأكوى بها
متى أراني بتَّ طَيِّ الثرى
وأغمض العينين عن عالمٍ
يحظى به الكذابُ بالمُشتهى
الخيرُ والخبزُ غدا جكرة
هم أوجدوا السارق من حاجة
يا منطقاً لم يُزَوَّ عن عاقلٍ
قد مُحِقَّ العدلُ فلا عادِلُ
متى أرى الحقَّ وأصحابه
وأبصرُ البُطلَ وأربانه

يروى غليل الساحط الحانق
يُزيل من قلبي دجى الغاسق؟
في عالمٍ آخرٍ للآبق
أضيقُ يالي من فتى ضائق!!
أيان ألقى العباء عن عاتقي؟
أبيعها للناس بالدانق
مَاشَةُ الثَّاعِبِ والثَّاعِقِ
وأنشوي في جهرها الحارقِ
يَسْحَقُنِي بالكلِّ السَّاحِقِ؟
لا يعتلي فيه سوى الفاسقِ
والنَّعْسُ للمخلص والصادقِ
لبعضهم والويلُ للسارقِ
وقيل هذي قسمةُ الخالقِ
العَيُّ خيرٌ منه للناطقِ
أما لهذا الناس من ماحق؟
يعلون من أدنى إلى شاهق؟
يهوون من أعلى إلى ساحق

* — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر .

** — العي : عدم المقدرة على الكلام . الدانق : أخس النفود : (التفسيرات من الشاعر) .

٢٩ — حجر في كثران الرمل

فيم انفرادك لا أني —
 في رنقة الوهج الحرو
 وصيرت للهوج اللوا
 أرضيت بالصحراء عن
 ورأيت وحدة راهب
 س تراه في القفر الخيف
 ر وغل عاصفة عصف
 فج في الضحى صبر الأنوف
 ظل المُنْمَقَةِ الغريف
 فيها وعزلة فيلسوف

★ ★ ★

هل كنت يوماً في القصور
 وأبيت أن تبنى علي —
 فنجوت للصحراء من
 تعلو على نغم الأنبي —
 أم كنت شاهد مصرع الأ —
 فهرث إنك في الجما
 ر وعُفَّت ضافية القصور
 لك صروح بُهْتَانٍ وزور
 صَحْبِ المَازَهِرِ والزُّمُور
 ن ونشجة القلب الكبير
 خلاق في البيت الكبير
 د إذن لذو أسمى شعور

★ ★ ★

هل كنت قط مجنونة
 وحميت هامة مبتلى
 وجثمت فوق عظامه
 هل كنت سداً فوقه
 وعلى المهامه صوة
 من كيد باغ ظالم؟
 وقلقت هامة غاشم
 فصرت تحت الجاثم
 تكبو مطايا القاحم؟
 تهدي ضلال الهائم

إن كنت ذاك بزرت في الإحسان خلقة آدم
 أنت الوحيد هنا ومالي لا أقول أنا الوحيد؟
 توهان لا أدري الغداة طريق منجاني - طريق
 وإذا قعدت كما قعدت أضرب بالروح القعود
 والروح يا بعض الجمال د - غنى ومحملها يورود
 تأني الجمود خصفة منها ويأبها الجمود
 قل لي: أذلك مسلك جدد ومطررق سديد

- * — كتبت عام ١٩٤١ (نقلًا عن مخطوطة بخط يد الشاعر).
- ** — «بين العراق وتدمر مهمّة قدر لي أن أفلوه طريقا، ووجدتني هناك غريبا غربة حجر هناك. وأسندت رأسي عليه وفكرت فيه. وأؤكد أنه دلي على الطريق وهدائي».
- *** — في بعض المخطوطات: متعفر الوجنات مصفغ كل قاحفة قدوف.. (يأتي الرابع في الترتيب). وفي مخطوطة ثالثة يأتي ترتيب أبيات الفقرة الأولى كالتالي:
- ١ - فيم انفرادك. ٢ - وصبرت. ٣ - في رقة. ٤ - متعفر الوجنات. ٥ - أرضيت. ٦ - ورأيت.
- **** — القاحفة: الريح التي تقحف الرمل. القدوف: الريح التي تقذفه. العريف: اللجنة المنتفة الأغصان. المهمة: الصحراء. الصوة: إشارة توضع على الطريق للدلالة (من تفسيرات الشاعر: المخطوطة).

٣٠ — جَفَّتْ عَلَى شَفْتِي الْأَمَانِي

دُعْ عَنْكَ رَائِعَةَ الْأَغَانِي	جَفَّتْ عَلَى شَفْتِي الْأَمَانِي
«أَرْفُوسُ» (١) لَيْسَ بِمُسْتَطَبٍ	عَاجُ أَنْ يَهْدِي لِي جَنَانِي
أَدْرُ الْكَؤُوسَ مَلِيئَةً	وَذَرِ الْمَثَالَثَ وَالْمَثَانِي
بَلْ بِالْذَنَانَ فِعَاطُنِي	لَا أُرْتَوِي بِسُورِ الدَّنَانِ
هَاتِ اسْقِنِي كَأْسًا لِأَنْسِي	فَوْقَ أَرْضِكَ مَا كَيْفَانِي
هَاتِ اسْقِنِي حَتَّى أُحَلِّدَ	سَقَى مِنْ سَمَائِي فِي الْعَنَانِ
وَأَفْرِقَ مِنْ شَرِّكَ الزَّمَانِ	نَ وَمِنْ أَحَابِيلِ الْمَكَانِ
أَتَسَلَّقُ النُّورَ الشَّعَا	عَ إِلَى كَوَاكِبِ لِي زَوَانِي
أَنَا مِنْ هُنَاكَ مِنَ السَّمَاءِ	عَ فَمَنْ عَلَى الدُّنْيَا رَمَانِي
مِنْ دَنْسِ الْقُدْسِ الطَّهَوِ	رَ وَحَطَ بِالْعَفْءِ الْحَصَانِ
أَوْ فَاسْقِنِي بِالْقُبَةِ الزَّرِّ	قَاءَ كَأْسِكَ مَا رَوَانِي
هُوَ مِنْ ثَرَى التُّرْبِ الْخَسْبِ	سَ فَمَا أَفَازُ وَمَا شَفَانِي
وَأَرَاهُ لَمْ يَبْعَثْ بِقَلْبِي —	سَ بَعْضَ أَحْلَامِي الْقَوَانِي
أَدْنَى مِنَ الْأَلَمِ الْقَصِي	وَأَضَاعَ آمَالِي الدَّوَانِي



هَاتِ اسْقِنِي وَاجْعَلْ كُؤُورَ	سَ الرَّاجِ أَفْوَاهِ الْحَسَانِ
فَأَذْوَاقَهَا مَمْرُوجَةً	بَشْدَى الْهَوَى وَلُغَى الْحَنَانِ
أَوْ فَاسْقِنِيهَا بِالْعِيُو	نَ الْمُوَحِّياتِ لِي الْمَعَانِي
أَوْ فِي التَّحْوَرِّ الْبَيْضِ تُعْ	سَ فَوْقَ أَغْصَانِ الْإِدَانِ

أَوْ فِي كِمَامِ الْوَرْدِ زَيْدٌ هَا أَوْ تَغُورُ الْأَقْحَوَانِ
هَذَا أَوَانٌ وَالْجَمَامَا لُ يَزِيدُهُ حُسْنُ الْأَوَانِ
وَالرَّاحُ رُوحٌ لَيْسَ يَجْلُو هَا سَوَى حُسْنِ الْمَبَانِي

★ ★ ★

هَاتِ اسْقِنِي وَاحْلُلْ بَرَا حَلْكَ عُقْدَةً زَمْتُ لِسَانِي
إِنِّي أَرَانِي إِنْ ظَمْتُ — تُ إِلَى الطَّلَا عَمِّي الْبِيَانِ
شَفْتِي وَكَأْسُكَ عَاشِقَا نِ عَنْ الْهَوَى يَتَحَدَّثَانِ
غَنَّا مِنَ الدَّهْرِ الْخَوُو نِ مُنَى فَبَاتَا فِي قِرَانِ
دَقَاتِ قَلْبِي وَالْحَبَا بُ مِنْ الْجَوَى يَتَشَاكِيَانِ
هَاتِ اسْقِنِي كَأْسًا لِأَغَا رِقِّ فِيهِ أَثْقَلُ مَا أَعَانِي
جَسْمِي وَرُوحِي فِي سَعِي رِ سَرْمِدٍ يَتَحَرِّقَانِ
يُوحِي إِلَيَّ الْكَأْسُ مَا يُوْحِي فَعَزَّزْنِي بِشَانِ
لِتَشِيْعَ فِي قَلْبِي الْحَزِينُ نِ رَوَى رَجَاهَا مِنْ زَمَانِ
أُطْفِئْ صَدَائِي فَإِنِّي جَفَّتْ عَلَى شَفْتِي الْأَمَانِي

-
- ١ — Orpheus في الأساطير اليونانية . وهو : رب القيثارة تأنس له الوحوش (المخطوطة) .
* — كتبت هذه القصيدة حوالي العام ١٩٤٥ (هذا التاريخ غير مؤكد) . ونشرت في مجلة المنتدى .
** — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر .
*** — في صدر البيت (١٤) : « القصا » بمعنى البعيد . كما في المخطوطة .

٣١ - رهين المحبين

أعمى وَلَوْ خَيْرَ في أمرِهِ لاختار العمى
كيلا يرى ذنباً ظلوماً وضعيفاً ظلموا
ولوَدَ لو لم يسمع الأتات نعلو للسمما
من عالم تحت فؤوس الغدر خرَّ مُحطَماً
ما قيمة الأبصار تبصر في الوجود جهنماً

★ ★ ★

أعمى ولكن نَزَّ بالإحساس أصحاب البَصَرِ
كانوا همو العميان، عن أفعالهم ينبر النظر
تاهوا بصحراء الضلال ومَرَّغوا في طين شرّ
ورآهم في الغي والطغيان غرق في بحر
فتساءل القلب الكيِّس: أهؤلاء هم البشر

★ ★ ★

أعمى وشاهد في الوجود مشاهداً هزّت يقينه
ما الملك يستلب الضعاف لأنّ زانت جبينه
ومزهدٌ تحذ الشراك لساقط الرغبات دينه
والزوج يغدرُ زوجته والخذن لا يرعى خدينه
أو ليس في هذا لذي الوجدان ما يشجي شجونه

★ ★ ★

نادى بإصلاح الفساد فقل : ذاك تشاؤم
وأراد تعليم العباد فقل : ذاك تعالم
ودعا لرفقي بالبهام فصدد عنه القارم
وأراد حكّم العقل في الدنيا ، ونعم الحاكم
لكن تساوى ضلّة بان بنى والهادم

★ ★ ★

نصح الورى لكنهم لم يقبلوا نصح النصح
أسدى لهم عرفاً فردّ القرم بالرد القيح
سخرّوا من العلم الغزير يسيل في اللفظ الفصح
وتضاحكوا من جرأة ولدث من الرأي الصحيح
والناس من ضعف يضيقون بذى القول الصريح
أعمى وشاهد أنّ ذاك الناس عاش بظلمتين
في ظلمة القلب الغليظ وظلمة في الناظرين
فأدار عنهم ساخطاً بصراً ييم بكل زين
فرموه .. ماذا ضرّ لو نبج الكلاب النيرين
إما تعيش في معشر نذل تعيش في محبين

* — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر .

٣٢ - قُمْ بِنَا

قُمْ بِنَا يَا أَيُّهَا الرَّبُّ حَيْثُ تَرَعَى الْعُشْبَ أَسْرَابَ الطُّيَا
قُمْ بِنَا إِنِّي نَعِشْتُكَ الدُّنَى بَعْدَ أَنْ عَاوَدَنِي عَهْدُ الصَّبَا
قُمْ بِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْشَأَنَا عَادِيَاتِ الدَّهْرِ أَوْحَدَ الظُّبَى
لَا أَحَالُ الْعَمْرَ إِلَّا لِحِظَةٍ ثُمَّ تَمْضِي حَيْثُ نَمْضِي إِرْبَا

★ ★ ★

فَلَمَنْ تَبَسُّمُ خُودِ نَاهِدٍ وَلَمَنْ تَعْطَى وَصَالاً طِيَا
وَلَمَنْ يَصْدَحُ طَيْرُ فَارْحٍ إِنْ نَأَى مِنْ يَسْتَسِغِ الطُّرْبَا
وَلَمَنْ تَعْرِفُ أَزْهَارَ الرَّبِّ وَيَفُوحُ الْعَطَرُ مِنْهَا عَجْبَا
وَلَمَنْ يَمْلَأُ كَأْسَ بِالطَّلَا أَوْ لَسْنَا مِنْ عَشَقْنَا الْحَبَا
قُمْ بِنَا نَسْرِقُ أَوْيَاقَاتِ الصَّفَا قَدْ لَقِينَا مِنْ دَنَانَا نَصْبَا

★ ★ ★

قُمْ بِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْصِفَ بِي خَاطِرُ لَا أَبَ لِي إِمَّا حَبَا
قُمْ بِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَابَنِي هَاجِسُ يُوغِرُ نَفْسِي غَضْبَا
فَبِلَادِي فِي أَسَى مُحْتَدِمٍ لَيْتَنِي أَدْفَعُ عَنْهَا الْكَرْبَا
وَبِلَادِي فِي جَحِيمٍ مُطَبَّقٍ تَصْطَلِي النَّارُ وَتَلْقَى الثُّوْبَا

فمتى يأتيك يوم مشرق بالأماني وتسال الأربا
قم بنا نلعب ونطرب ساعة فصفاء الدهر يمشي حبيبا

* — نقلاً عن مخطوطة .

** — ألقيت في فندق الحديدية بدمشق على جماعة من أصدقائه وهو يستعد لمعاودة النضال بالعودة إلى فلسطين، كما يقول مروان الطاهر . وقد روى لي بعض أبحاثها أبو يوسف الكافي في بيروت في مارس — آذار / ١٩٨٢ .

٣٣ - أحاجي (في ذكرى وعد بلفور)

زعموا أن بخيلاً لم يجد
عاش في الناس غصوباً حقهم
جاءه الشحاذ يوماً سائلاً
فأراه معوزاً ذا كسرة
وهب الشحاذ ما ليس له
لا أسميه فمن يحزّره
كلكم يحزّره فهو غداً

في حياة لفقير بنقير
ورما هم بخراب وثبور
بعض ما يملك من مال وفير
قال: خذها منه من فضلي وخيري
يا لطيف النفس والقلب الكبير!!
إن من أعني هنا جدّ شهير
غلماً للكذب عنواناً لزور



وانشئ الشحاذ فيما ذكروا
يطلب النصرة من سيّده
حبذا الكسرة لكني أرى
صاحب الكسرة لا يسخر بها
هاتالي منه إني عاجز
فانبرى الظالم يُدنيها له
من هو الشحاذ؟ ما أوقعه
كلكم يعرفه، فهو غداً

عندما عزّت على فيه الأماني
قائلاً: مالي بما شئت يدان
نيلها إمّا أحاول غير دان
لسواه. ذو حفاظ مُبتغان
أن أعاني في مُراذي ما أعاني
وهو لم ينفك يدي غير وان
لا يرى أوقع منه الثقلان
مثلاً للدّل، رمزاً للهوان



طفق المظلوم يشكو أمره
 قال: فالكسرة حقي ردها
 يرحم القوة أو يرهبها
 قسم الظالم، من علمه
 قال للشحاذ: خذ نصفاً وخذ
 وحكى الشحاذ: بل لي كلها
 فبكى المظلوم كي يرحمه
 ما الذي يجدي إذن في مثله
 ذاك سرُّ فاكتموه عنكم

★ ★ ★

زعموا الشحاذ نال الميتى
 طمّع لما يزل من آدم
 مدّ عينيه لأقصى ما يرى
 قال للسيد أجهزلي على
 لا أرى الكسرة تحلولي إذا
 رده السيد عن هذا ولم
 قال: يا شحاذ نقصيه إلى
 قال: هذا نصف حلي خاطيء
 منطق أعوج من يفهمه؟
 من ترى يعرف ذا الرأي الذي
 هكذا الوجدان إمّا يشتري

★ ★ ★

وروؤا أن كسيحاً مقعداً
 فرأى الشحاذ في بيته
 رام أن تدعّمه يوماً دعامه
 فتمنى لو شفاه وأقامه

قال يا شحاذ أقرضني يداً
غنني صوتاً وساعدني أقم
ولك الدنيا وما تبغي إذا
وحكى الشحاذ: لخذ عكازتي
فانبرى المقعد يهذي كلماً
هل عرفتم من تُرى أعني؟ نعم!!
إن يُرد فليقطعن من داره



ذكر الراوي وطالت قصة
نسي الشحاذ والكفر به
نسي المعروف من أسباده
ورد البئر صدى حتى ارتوى
كان كالذئب تغذى حلباً
أعمل الخلب في سيده
من ترى يعرف ما أعني؟ نعم!!
إنها أحجية مكشوفة



ومشى الخروم في روض المنى
كلما مدّ يداً يجني انثنت
قال: فلاصعد على هامتي فتى
فامتطى ذاك الفتى أكتافه
واستطاب القعدة العليا ولم
قال: فانزل أنت لم تجن جنى
لا أرى لي فيك جدوى إنما

واشتى لو نال من بعض الثمار
يده ملاءى بغرم وخسار
يقرب القاصي ويحمي لي ذماري
واستوى مثل مليك في اغترار
يجن شيئاً غير صيت واشتار
ولقد طال اضطباري وانتظاري
أنت مضاع كلام وفخار

فأبى الراكب أن ينزل عن
من ترى يعرف هذا؟ كلكم
يحكم الأمة من يخدمها
أيها القوم وهذي قصة
فسروها مثلما شئتم ولا
عرشه وهو كما تعلم هار
عالم بعض الذي أعني وداري
حسب ما تأمر يمشي ويجاري
وبها وجه لفكر واعتبار
تسألوني وأقبلوا مني اعتذاري.

★ ★ ★

غير أنني قبل تركي سائل
حينما أبصره كوهين لم
كان يرجو بسواه دولة
إن نشأ نجعله سيفاً صارماً
نبته لما تزل ريانة
كلما زدنا به زيتاً يزد
من ترى يعرف ما أعني؟ نعم!!
عن ضياء لاح في حلك الدياجي
يَهْنُ عيشاً فهو منه غير ناجي
وغدا لما رآه غير راجي
يذبح العمة والكرب المفاجي
انتجت خير ثمار ونتاج
نوره الوهاج نوراً كالسراج
إنكم تدرّون تفسير الأحاجي.

* — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** — ألفت القصيدة في فندق فلسطين بمناسبة ذكرى وعد بلفور. ويعتقد مروان الطاهر أنها قُلت عام ١٩٤٧.

*** — يرمز الشاعر إلى: الانكليز — اليهود — روزفلت — رئيس حزب العمال البريطاني — الزعماء الفاسدين — صندوق الأمة .. إلخ.

٣٤ — تَبَسُّمٌ

« من رسالة إلى صديق عبوس »

إِنَّ تَجِدَ بَابَ الْأَمَانِي مَغْلَقًا لَا تَكْثُرْ وَتُلَمَّ مِنْ سَكْرَةٍ
إِنَّ بَوَابَ الْأَمَانِي مَرَحٌ يَغْضُ الْيَأْسُ وَيَحْشَى الْكَثْرَةَ
تَبَسُّمٌ يَا عَزِيزِي

يَا عَزِيزِي، هَلْ تَرَى الْكَثْرَةَ قَدْ أَرْجَعَتْ مِنْ فَائِتٍ بَعْدَ فَوَاتٍ
بَيْنَا الْبِسْمَةُ أَذْنَتْ قَاصِيًا أَوْ مَا حَرَبَتْ سِحْرَ الْبِسْمَاتِ ؟
تَبَسُّمٌ

إِنَّ دُنْيَاكَ رِيَاضٌ خَيْرٌ مَا تَتَجَلَّى فِي ثَغْوَرٍ تَتَضَاهَكَ
لَا يَكُنْ ثَغْرَكَ ثَغْرًا زَمَهُ مَا تَلَاقَى مِنْ [الْأَقِ] فَمَا سَكَ
وَتَبَسُّمٌ يَا عَزِيزِي

فَلْيَغْضُ وَجْهَكَ بِشْرًا [مُدْعَى] كَرِهَ النَّاسُ عَلَى الدَّهْرِ الْعَبُوسَا
هَلْ تَرَى التَّقْطِيبَ حَلَى مُرَّةً أَمْ تَرَاهُ رَفَّهَ الْعَيْشِ الْبَيْسَا
تَبَسُّمٌ

قَدْ كَفَّتْ أَهْلُ الْوَرَى أَشْجَانَهُمْ لَا تَزْدْهُمْ شَجْنًا فَوْقَ شَجْنٍ
شَارَكَ النَّاسَ ضَحُوكًا ضَحْكُهُ وَنَأَوْا لَمْ يَشْرُكُوا أَهْلَ الْحَزْنِ
تَبَسُّمٌ يَا عَزِيزِي

وَالْمُنَى كَالطُّفْلِ لَا يَقْرُبُ مِنْ ذِي عَبُوسٍ مَتَادٍ فِي دَلَالٍ
وَذَوُو الْفَنِّ قَدِيمًا جَعَلُوا فَاتِنَ الْبِسْمَةِ سَرًّا فِي الْجَمَالِ
تَبَسُّمٌ يَا عَزِيزِي

إِنَّ لِلْعِيشِ طَرِيقَيْنِ ، هُمَا الْجَدُّ فِي ضَحْكِ وَجَدٍّ فِي بَكَاءِ
لَا تُقَلُّ أُجْرَتُ فِي شَرْهُمَا فَلَكَ الْخَيْرَ وَأَخْتَرُ مَا تَشَاءُ

يا عزيزي

ثُمَّ : مَا سَاءَكَ مِنْ هَذَا الدُّنَا مَا الَّذِي رَدَّ لَكَ الطَّرْفَ كَلِيلًا ؟
إِنَّ دُنْيَاكَ .. الَّتِي تَصْنَعُهَا فَسِّرِ الْأَشْيَاءَ تَفْسِيرًا جَمِيلًا

فتبسم يا عزيزي

إِنْ يَكُنْ سَاءَكَ ظَلَمٌ فَادْخُ كَمْ جَهَوْلٍ ظَالِمٌ لَا يَعْلَمُ
يَتَقَاوَى كَيْ تَرَى قُوَّتَهُ نَيْسَ إِلَّا .. فَهُوَ جَهْلًا يَظْلَمُ

فتبسم

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ خَلٌّ فِي هَوَى وَتَذَوَّقْتَ مَرِيرًا غَدْرَهُ
فَهُوَ أَغْفَاكَ وَأَخْلَى عَامِدًا شَقَّةٌ فِي الْقَلْبِ أَسْكَنَ غَيْرَهُ

وتبسم ، يا عزيزي

إِنْ يَكُنْ رَاعَكَ قَصْرٌ نَقَصَهُ فَهُوَ قَدْ أَنْقَصَ كَيْلًا يَنْهَدِمُ
أَوْ يَكُنْ رَاعَكَ وَجَّةٌ قَبَحُهُ فَهُوَ مَشْرُوعٌ لَوَجْهِ لَمْ يَتِمَّ

فتبسم يا عزيزي

فِي كِفَاحِ النَّاسِ لَا تَغِبْ فَمَا آبَ بِالْعُتْمِ عُبُوسٌ فِي كِفَاحِ
رَبِّمَا فَسِرَتْ الْبِسْمَةُ إِنْ تَبَسَّمَ لِلْفَوْزِ أَوْ حُبِّ الصَّلَاحِ

فتبسم

أَرَأَيْتَ الْمَوْتَ فِي شِدَّتِهِ كَمْ بِأَنْظَارِ الْوَرَى قَدْ قَبَحَا
حِينَ تَلْقَاهُ تَبَسَّمَ كَيْفَ لَا وَهُوَ مَجْهُولٌ وَسِرٌّ فُضِّحَا

فتبسم يا عزيزي

تُشَبِّهُ الْبِسْمَةَ تَكْثِيرًا وَقَدْ خَافَ كُلُّ النَّاسِ تَكْثِيرَ الْأَسَدِ
فَتَبَسَّمَ عَلَّ بَغِيَا يَرْعَوِي وَتَبَسَّمَ عَلَّ ظَلَامًا يُرَدُّ

وتبسم يا عزيزي

- * — راجعنا النص على ثلاث نسخ:
- ١ — الأولى: بخط يد الشاعر.. وهي لا تحتوي الفقرة رقم — ٢ — في ترتيب النص.
- ٢ — الثانية: صورة لنسخة أخرى بخط يد الشاعر، احتوت على الفقرة رقم — ٢ — من النص. وهي تخلو من الفقرة رقم — ٣ — في ترتيب النص.. والفقرة رقم — ٤ — والفقرة رقم — ٥ — والفقرة رقم — ٩ —.
- ٣ — النسخة الثالثة: أنظر: مجلة «المهماز» — عدد ٣٧ بتاريخ ٢٢/كانون أول/ ١٩٤٦ — حيفا، فلسطين. وهي ناقصة، لأنها تخلو من الفقرات: ٢ — ٣ — ٤ — ٦ — ٧ — ١٢.
- ٤ — إن وجد خلاف في بعض الكلمات لجأنا إلى خَلَيْنَ:
- ١ — اعتماد النسخة الأولى أي التي بخط يد الشاعر وتفضيلها.
- ٢ — كلما وجدت الكلمة مرتين في النسخ الثلاث فضلناها على الرواية الثالثة.
- ٥ — وقع هذا الخلاف في الآيات التالية:
- ١ — الشطرة الأولى من البيت الأول في الفقرة الثامنة: «ثم ما ساءك من هذي الدنى» وردت في النسخة الأولى والثانية.. بينما وردت في نسخة المهماز على النحو التالي: «ما الذي أشجك من هذي الدنا».
- فقمنا بتفضيل الصيغة الأولى لسببين: لأنها وردت في النسخة الأولى بخط يد الشاعر. وثانياً: لورودها مرة أخرى في النسخة رقم — ٢ — وهي صورة عن نسخة ثانية بخط يد الشاعر.
- ٢ — في الشطرة الأولى من البيت الأول من الفقرة رقم — ١٠ — نجد: «إن يكن خانك خلّ في هوى» موجودة في النسخة الأولى ونسخة المهماز أيضاً. بينما وجدت في النسخة الثانية المصورة: «إن يكن خانك إلف في هوى».
- ٣ — في الشطرة الأولى من البيت الأول من الفقرة رقم — ١١ — نجد: «إن يكن راعك قصر نقصه» في النسخة الأصلية الأولى.. كذلك نسخة المهماز. بينما نجد في النسخة الثانية: «إن يكن ساءك...».
- ٤ — في الفقرة الأخيرة من القصيدة: «خاف كل الناس تكثير الأسد» موجودة في النسخة الأولى الأصلية.. كذلك في النسخة الثانية المصورة.. بينما نجد في نسخة المهماز: «خاف أهل الأرض تكثير الأسد».
- ٦ — في نسخة المهماز مقدمة نثرية كتبها الشاعر عن مناسبة القصيدة.. وهي مقدمة طويلة أثّرنا تلخيصها.. والرواية تتلخص في أن الشاعر ذهب مع صديق له وقريته (يعتقد أنه الدكتور أحمد كمال) إلى تل أبيب لكي يشتري الصديق كتاباً علمياً من إحدى المكتبات. وكان الشاعر يرتدي لباساً عربياً في أيام العطلة بدلاً من الملابس الإفريقية.

فدخل الصديق وفريقته في المكتبة أولاً وأخيراً صاحب المكتبة أن الشاعر «نشال يلاحقهما من يافا». ثم دخل الشاعر بلباسه العربي وأخذ بقنب الكتب الانجليزية. وصاحب المكتبة يراقبه حذراً ولم يكن الشاعر على علم بمقلب صديقه. فتقدم صاحب المكتبة من الشاعر وأمره بالخروج وإلا فسيتدعي قوات الأمن. فانتبه الشاعر لمقلب صديقه وكان بين يديه كتاب شعري لأحد الشعراء الانكليز المعارضين «فقلت لصاحب المكتبة: هل تقرأ العربية وتفهمها؟! قال: نعم.. قلت: والانكليزية؟! قال نعم.. قلت: إذا أترجم لك بعض ما جاء في هذه القصيدة الانكليزية إلى العربية شعراً.. فما صدّق.. فترجعت له بعض أبياتها. فصعق لساعته!! وأخذ يعتذر لي. أما صاحبي الظريف فقد سحب فريقته الفاضلة ورائه راكضاً خوفاً من تعريض صاحب المكتبة».

٣٥ - بديع الشعر

بديع الشعر أروع خيالا
 وليس أعز صوغاً من قواف
 ومن فضل الجميل عليك ألا
 فمهما قلت قال الناس : حق
 وما الشيخ الكريم سوى معين
 تسريل بالتقى والعلم حتى
 فإن إن لم يسلم في مدحيه شعري
 وحيثني به فضل أطري
 شباب مثل زهر الروض نضر
 وقلب بين جنيه كبير
 فلو مثلت في الدنيا مثالا
 تجمعت القلوب على هواه
 وشاهد حب أقوام لمرء
 وما حب الوري إلا دليل
 وأن الشيخ من دون القضاة الثلاثة صاحب البشري فبالا
 ومن يشهد له الأقوام حقت
 أطل الشيخ في نابلس بدرأ
 وأقربه إلى صدق مقالا
 معانين تفتعل أفعالا
 تضيق به لدى مدح مجالا
 وإن الحق أجدر أن يقالا
 لفضل لذ علا وانتها
 تهيب منه شيطاني جلالات
 فذلك أنه معنى تعالى
 به وجه الوسامة أم خلالات
 وعقل في النهى اكتمل اكتمالات
 على الايمان يشتمل اشتمالات
 لكل فضيلة كان المثالات
 فلم تُرد القلوب له زوالا
 تفجّعهم إذا رام ارتحالا
 على أن الحبيب زكا فعالات
 أطل الله مدته أطلالات
 تماماً لم أقل قمرأ هلالا

فلا عجب إذا ما غاب يوماً لأن البدر يَطْلُبُ الكمالاً
فَدَارَتْهُ هَنَالِكُ وهو فيها يلوح لنا غداً أبهى جمالا
وإنَّ به لما يجدي بلاداً وإنَّ به لما يهدي ضلالا
نودعه وفي المرغوب ألا نودعه ولكن لا ملالا

* — يُعتقد أنها قيلت في: الشيخ محمود حنون — أحد علماء نابلس.

** — صورة عن نسخة بخط يد الشاعر.

٣٦ - أخاف من العيد

أخاف من العيد روعي به
وأبكي به من مآسي الحياة
به يرتدي الناس ثوب الرياء
فهذا يُغشي وفي لحنه
وذاك تهلّل عن بسمه
وذلك راضٍ بمقدوره
وذاك أطمأن إلى يومه
وكلهمو كتمت نفسه
وكلهمو في حناياه نار
ولكننا نحن أهل الشعور
فصدّق، إذا قلت - لا فارح



وماذا هناك؟؟ هناك جياغ
وماذا هناك؟ هناك العيد
هناك الثكالي فكم والبد
هناك القلوب التي حطمت
هناك، هناك الألى يرهبون
هناك الدموع هناك الأنين
أفي العيد شيء يسرّ النفوس
وإن كان... ما نعمة لا نعلم

لقد شبّ فيهم شعار الجند
يضحون تحت ثقل الصقند
دهاء الزمان بشكل الولد
على صخرة من جفاء وصد
غداً أن يجيء وأقرب بغدا!!
هناك القنوط هناك الكمد...
ويأتي إليها بما قد تؤد؟
فتوري نار القلا والحسد؟

وما فرحةٌ مثلُ ومضِ البروقِ وليست تدوم دوام الأبدِ

★ ★ ★

إذا رَقَّ إحساسنا في الوجودِ	وأضحَّت نفوسُ لنا شاعره
إذا هدأتْ نزواتُ الحياةِ	التي في جِبَلَتِنا ثائره
إذا اتلفَتْ في طريقِ المحبةِ	أرواحنا التَّكْرُةُ النافره
إذا ما صهرنا قيودَ العييدِ	بنارٍ من القوةِ القاهره
إذا الذئبُ عَفَّ وألقى الأمانَ	على الشاةِ من فتكةِ غادره
إذا ما نعمنا بلبقيا المنى	وقوتِ رَغَابٍ لنا حائره
إذا أطعمتْ من لذيقِ الكرى	عيونَ على رُغْمِها ساهره
إذا نحنُ لم نذكرِ المحزناتِ	بفقدِ التذكرِ والذاكره
إذا كانَ هذا فُتْمَةَ عيدِ	وتلكَ مظاهره الساحره
وثمهَ يَحْسُنُ وجهُ الحياةِ	فتصبحُ فتانةُ ناصره
وتجملُ دنيا زهدنا بها	وإلا.. فموعدنا الآخرة

* — أديعت هذه القصيدة من دار الإذاعة الفلسطينية بالقدس بتاريخ — ٢٦ / ١٠ / ١٩٤٧ م. وقد

أذاعها الشاعر بنفسه.

** — نقلاً عن نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة (حديثة جداً) تعود للثلاثينات.

*** — في البيت الثامن والعشرين ورد ما يلي: «إذا لم نَحُنْ نذكرِ المحزناتِ». والأصح هو: «إذا نحنُ لم نذكرِ المحزناتِ».

**** — في البيت الثاني والعشرين ورد ما يلي: «التي في جيلنا...». والأصح: «جيلنا نكبي يستقيم الوزن».

٣٧ — بعض اللزوميات : أفكار في « لزوم ما لا يلزم »

١ — مُدَّعى الشرف :

عجبتُ لمدَّعٍ شرفاً رفيعاً وفيه سبّة الشرف الرفيع
يَضُرُّ كما أضُرَّ له جدودُ ويفخر، نَعَمَ مفخرة النفيح
يُشْفَعُ أصله المذموم جهلاً وليس سوى الخامد من شفيح

٢ — هكذا قَسَمَ الإله !؟

بَغَى في قسمة الأرزاق ناسٌ وقالوا: هكذا قسم الإله
وقالوا: إن أحبَّ الله عبداً برزقه المُقَدَّرَة ابتلاه
دعونا إن يكن هذا صحيحاً ير الفقراء معبوداً خلاه
رأيتُ القلبَ إما ضاقَ صبراً بحبوسٍ حرمانٍ سلاه
لقد وصفوا الإله بشرٍ ظلم بما كذبوا. تَنَزَّهَ في علاه

٣ — نحنُ إلى الجُرءاء بحاجة :

نحاجينا أخو جبنٍ بقول ولو عَرَفَ الجرءاءَ لَمْ يُحاج
يخاف فلا يبين ونحن قومٌ إلى الجرءاءِ في حقٍ يحاج
فدعنا نلّه عنك بحلٍ قيدٍ وعالج أنت خويصة الأحاجي

٤ - أنصفني فأنا أخوك :

أتينا للحياة فلي نصيب
فلم تعدو وتفصني حقوق
أعدلك قال أن أسعى وتجنبي
فأنصفني ولا تُجحف فإني

كما لك أنت في الدنيا نصيب
وتطلب أن يُسالمك العصب
وأطلب المعاش فلا أصيب
أخوك إذا دهى الخطب العصب

٥ - غريب بين الناس :

ألي من هادم جسمي فأتا
فيعبكي بهذا الناس، إلي
فإنهم رأوا ورأيث شيئاً
كأن من روايتهم «نشار»

فجاءل طيتي فمعيد سبكي؟
غريب بينهم، ويجيد عبكي
فراحوا يضحكون ورُحْتُ أبكي
سها الراوي فلم يخفل بحبكي

٦ - سأفلق قلب الظلم :

لغير فؤادي بآنة الكرم سكرة
وما سكري إلا دم الظلم مُهدراً
ولم يكن الظل الدليل بمقعد
سأفلق قلب الظلم أبغي طريقة
يُحاول تفريقي عن الحق مُبطل
سأطلب حقي لا أكمل مجاهداً

وسلوى، وغيري هام في غطر الريق
ومن لحمه نُفلي وفي القحف إبريقي
لنفسى، ولكن عتير الحرب مشريقي
إلى الحق كيما يسلك الناس تطريقي
وَحَقِّكَ لَنْ يَسْطِيعَ ذُو الْحَوْلِ تَفْرِيقِي
ولو كان تمزيقي هناك وتخرقي

٧ - النضال شيء يُحب لذاته :

جعلت نضالي الظلم همّاً ودَيْدناً
فأُحِبُّهُ حبي الحياة بفضلِهِ
فواعجبا، إن نلت غاية مطلبي
وإن وصلت أرضي رغبتي مُطِيعَةً

لأني به حلت لدي المعاضل
عليّ، ولا تُنسى لدي المفاضل
غداً، فيم ألقاني أعود أناضل؟
فهل لسمائي عن وصالي عاضل؟

٨ - أُمِّ تَبَاع !!

رَأَيْتُ الظَّالِمِينَ سَبَّاحَ غَدْرٍ
سَبَّاحُ الْوَحْشِ قَدْ تَعَدُّوْا جِيعاً
وَقَدْ مَنَعُوا الرِّقِيقَ عَلَى خَدَاغٍ

لَعَمْرِكَ دُونَهُمْ غَدْرًا سَبَّاحُ
وَهُمْ أَكَلُوا الْحَرَامَ وَهُمْ شَبَّاحُ
فَدُونُكَ هَذِهِ أُمِّ تَبَّاحُ

٩ - هل هذا كلام؟ :

وَقَالَ الظَّالِمُونَ وَقَدْ تَمَادَوْا
وَأَمَّا رَامٌ وَضَعَ السِّنْرَ عَبْدٌ
وَقَالُوا: ثَائِرٌ يَغِيْهِ اهْتِدَاماً
فَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ بِاحْتِقَارٍ

بَظَلَمِ النَّاسِ: بَغَيْتَا السَّلَامُ !!
وَفَكَتْ قِيودهَ غَضَبُوا وَلَا مُوَا
لَعَالِهِمْ، فَهَلْ هَذَا كَلَامُ؟
وَإِنْ نَحَقْدَ عَلَيْهِمْ هَلْ نَلَامُ؟

١٠ - مُضَلَّل !!

عَذِيرِي مِنْ جَرِيحِ رَاحٍ يَشْفِي
يَرَى لُجْعَ الْبَلَاْسِ لِاسْتِفَاءٍ
يَطْبُ لِدَائِهِ لَسْمًا وَيَغْضِي
إِذَا لَمْ تَضْطَرْبْ فِي أَخْذِ حَقٍّ

جَرَاحَاتٍ تَسْرَتْ بِالطَّلَاْسِ
وَيُعْرَضُ لَيْسَ تُعْجِبُهُ الْبَلَاْسِ
عَلَى خُسْفٍ يَمُرُّ لَدَى الْمَلَاْسِ
إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ فَالْعَارُ لَا سِمَ

١١ - يَا رَاحِمَ الْحَيَوَانِ :

«عرفته كريماً على الحيوان، نجياً على الإنسان . وهو يكرز دائماً للرفق بالقطط وينهر السائل ويدعُ التيم» .

يَا رَاحِمَ الْحَيَوَانِ مِنْ آلَامِهِ
قَاسَمْتُ قِطْعَكَ فِي رَخَاكِ أَلَمْ يَكُنْ
يَشْقَى بِبَخْلِكَ غُرْبٌ دَارِكٌ ، لَمْ يَذُقْ
أَسْفَى عَلَى مَنْ يَغْسِلُونَ بِدَمْعِهِمْ

هَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْغَنَاءِ أَخَاكَ
أَوَّلَى ابْنِ آدَمَ فِي اقْتِسَامِ رَخَاكَ
إِلَّا الْقِطَاطُ الْعُجْمُ طَعْمَ سَخَاكَ
عَنْ طِلْسَانِكَ إِنْ صَخِيَتْ صَخَاكَ

تَلْخِي بَآيَاتِ التَّرَاحُمِ كَاذِباً
فَيُؤْمِنُونَ عَلَى كَذُوبٍ لَخَاكَ

١٢ - آفة الشعب الرئاسة :

فيقتلني التأسف والرثاء
تأؤفه أخو ظلم، غناء
أما للشر يأنس أنفشاء

أرى شعباً تنوء به الرزايا
كأنّ شبابه الرّيان لَمّا
وأفقه الزعامة وهي شرّ

١٣ - الشعور الرقيق يعذب :

ورقٌ لكي يعذبني شعوري؟
مشاهدٌ ناكثاتٌ بي نُعوري
من التشجّاتِ لَيْسَتْ بالدّعورِ
وأنفسهم نجون من الوّعورِ

لماذا فظّ هذا الناسُ قلباً
يرون فلا تهيّجُ لهم دماءُ
ولي أذنٌ دَعُورٌ، ليت أذني
رَمَتْ نفسي سهالتها بكربِ

١٤ - مشكلة القوافي....!

وإن أنظمه يصبح غير وافي
بقاياها بأسنان القوافي
ولم تعبْ وعَبَّتْ في عوافي
تحرر بي لصحراء السوافي
كما عَشَرَ الحجيحُ على طواف??
يوافينا الحقوق على توافِ

أرى المعنى بقلبي جد وافي
فأبحث عن بقاياها فألقى
فواتعها، تُعَوِّفُ المعاني
وإما كنت في جنات عدنٍ
أتعشرنا القوافي في قصيدٍ
فهل من شارعٍ شرعاً صحيحاً

١٥ - بلاء النصوص بالتفسير :

وبلاء النصوص بالتفسير
وبقاء الكثير في تخسير
ونفوس باتت على تحسير
والضعيف الضعيف في تُعسير

جعلوا حجة الأمور نصوصاً
أي نصر يقول في ربح قُلْ
ونفوس قد نُؤَلَّتْ شهواتٍ
ما نصوصٌ تيسرها لقويّ

١٦ — جاهل يتعالم :

« في جاهل قال العناد : إن الحق صائر إلى الفناء »

تعالَمَ كي يقال له عليم ورأسك ، ليس حرفاً من عليم
تَبَأْ أَنْ حقاً سوف يَفْنَى أتلك نبوءة العقل السليم ؟
جنونك قد أضلَّكَ لا ملامَ إذا ما شكَّ في عقل المَليم
وليس بضائق عن طيش طفلٍ ولا عن هَذَرِه صدرُ الحليم

١٧ — اشتهرَ بتمر :

يُقال : البصرة اشتهرَ بِتَمَرٍ سَلُوا ، هل يملك الفقراء ثَمرةً
هناك على جناح العزِّ ناسٌ وناسٌ من معاوِزهم بِعُمرةٍ
فهل أمرُ الزوج له مَعادٌ ! وكَم شيءٍ . كرهتُ خِمدتُ أمره

١٨ — رؤوس تَمَكَّنَ منها العنكبوت :

أحاول أن أصلح الفاسدينَ فألقى محاولتي كَالْعَبَثِ
تأصَّلَ فيهم خبيثُ الفسادِ ، ولن تستطيع جلاء الخَبَثِ
فكيف ودون الذي تبتغيه سمومُ التفريقِ فيهم تُبَثُّ
فكم ذا تَشَبَّثْتُ كي تصلح الرأسَ لكنْ تَمَكَّنَ فيها الشَبَثُ
تسير على نَبَثِ الظالمينَ وليست تحيد عمى عن نَبَثِ

١٩ — الحقيقة الضالة :

حقيقتنا على أرضٍ ولكنْ دهينا نبتغيها في السماءِ
كما سَمَكٌ له عيشٌ بماءٍ يحاول أن يعيش بغير ماءٍ
ولم تسق السماء لنا غميراً فيطفئ غلة القوم الظماءِ
سينكشف الغشاش الزيف عنها ويبلغها القميء على قماءِ

٢٠ — الوضعُ الجائرُ جَلَادٌ :

أجالدُ وضِعاً قام في الناس واقفاً على أُم رأس الخير وقفةً جَلَادِ

وأهتك سِتْرًا عن بشاعة سُنَّة
وإن لم أُنْدَلْ فيه سَوَى بضدها
حوى البغي مَقْلَاد المعاش ظالماً
وشرعة بُطِّل لا ترى الحق مِصْلَاد
فكيف اعتذاري أن تُلَوِّم أولادي ؟
وضربك وجه البغي أَوْقَع مَقْلَاد

٢١ — إن التظاهر بالتقي شرك...!!

يحاول أن تدين له رقاب
يصلي الخمس يُبْعِها انتفالاً
فليس يَعِفَّ عن مال اليتامى
بنفس، في قباحت، ودين
وديني، إنها شرك وديني
ولا عن عرس ذي الفقر المدين
وهدي للأصاحي بالبدين
أخو ظلم فيندم أو يديني
ويستدن المصل غير أن آلفضائل دونها صفق السدين

٢٢ — برمت بهذا الناس :

برمت بهذا الناس حتى كأنني
وزهدني فيهم قلوب حقيرة
ولي نفس حر لا ترى العيش لذة
أقمت مُقامي فيهمو بين حيَّات
حُشِين بأهواء وأخبث نِيات
بخلطة أخلاط ودنيا دَيَّيات
لأوجههم، ثم انعزلت بأبياتي
لنفس علي أولعت بعليات
هناك بأجواء الخيالات ملجأ

* — دققنا نصوص اللزوميات على ثلاث نسخ :

النسخة الأولى :

صورة طبق الأصل عن خط يد الشاعر وهي مكونة من أربع صفحات في الأصل، لكن الصفحة الثانية ناقصة. وتحتوي النسخة كلها على ١٢ لزوميه كما يبدو من ترقيم الشاعر. أما الصفحة الثانية الناقصة فتحتوي على الأرقام: ٤-٥-٦ كما في الأصل. ويبقى منها: تسع لزوميات هي: مدعي الشرف — هكذا قسم الإله — نحن إلى الجُراء بحاجة — مضلل — هل هذا كلام — أم تباع — الشعور الرقيق يعذب — غريب بين الناس — أفة الشعب الرئاسة. وجميعها بعنوان « بعض اللزوميات ».

والملاحظة الثانية هي أن الشاعر كتب بخطه على اللزومية: « غريب بين الناس »

وعلى الزومية: «هكذا قسم الإله» ما يلي: نشرت بمجلة «الغد» — عدد ٣٧ — السنة الثانية — في ٢١/ شباط/ ١٩٤٧.

النسخة الثانية:

١ — أنظر: مجلة «الغد» — العدد ٣٧ بتاريخ ٢١/ شباط/ ١٩٤٧: أفكار في لزوم ما لا يلزم للشاعر الحر عبد الرحيم محمود. وعنوان فرعي: «من مجموعة: لو كنت ذا مال لطبعتها» وهي تشمل أربع لزوميات: هكذا قسم الإله — غريب بين الناس — النضال شيء يجب — مشكلة القوافي.

٢ — أنظر: مجلة «الغد» — بتاريخ ١٦/ نوفمبر — تشرين الثاني/ ١٩٤٥. حيفا — فلسطين: في رياض الشعر: عبد الرحيم محمود. وقد نشرت ثلاث لزوميات هي: أنصفني فأنا أخوك — سأفلق قلب الظلم — يا راحم الحيوان.. ويبدو أن عنوان «في رياض الشعر» عنوان من المجلة وليس من الشاعر.

النسخة الثالثة:

نسخة حديثة العهد مكتوبة على الآلة الكاتبة وتشتمل على عشرين لزومية لكن رقم — ٢٠ — ناقصه وهي «يا راحم الحيوان» فقد احتوت على بيتين. وهذه النسخة تشمل نفس اللزوميات في النسختين السابقتين. ولكن هذه النسخة أضافت اللزوميات التالية: بلاء النصوص بالتفسير — جاهل يتعلم — اختبرته بمره — رؤوس تمكّن منها العنكبوت — الحقيقة الضالة — الوضع الجائر جلاد — برمت بهذا الناس.

كذلك لا بد أن نشر إلى أن لزومية «آفة الشعب الرئاسة» موجودة في النسخة الأولى بخط يد الشاعر بدون عنوان. بينما أخذنا العنوان من النسخة الثالثة وهو مكتوب بخط يد السيد مروان راضي الطاهر.

ويبقى أن نقول إن النسخة الأولى والثانية هي الأكثر وثوقاً. بينما نعتمد في النسخة الثالثة المكتوبة على الآلة الكاتبة والتي تصيف ٦ لزوميات، نعتمد على ثقةنا بالسيد مروان راضي الطاهر باعتباره أحد أصدقاء الشاعر أو كما أسميناه «اليد الفلسطينية الأمانة».

** — استبدلنا في اللزومية رقم — ١ — كلمة «المذموم» بكلمة الذموم ما دام المعنى نفسه في الكلمتين وثانياً: في لزومية «أهم تباع» وردت الشطرة الأولى من البيت الثالث على وجهين بخط يد الشاعر: «وقد منعوا الرقيق لِمَا خداع» وشرحها الشاعر بنفسه بالقول إن «ما» زائدة. أما الوجه الثاني فهو «وقد منعوا الرقيق على خداع» وهي أيضاً بخط الشاعر. وأتينا استخدام الوجه الثاني. وثالثاً: في لزومية «سأفلق قلب الظلم»: ورد في الشطرة الثانية من البيت الأول التالي: «وسلوى، وغيري هام في عطر الرقيق» وقد وردت في نسخة «الغد» مطبوعة وفي النسخة الثالثة. ثم وجدنا في طبعة «مكتبة بلدية نابلس العامة» — ١٩٧٥ أن كلمة «الرقيق» استبدلت بكلمة «الرمق» وهذا الاستبدال خاطيء تماماً لأنه يخالف إيقاع اللزومية.

ورابعاً : ورد في لزومية « هل هذا كلام » ، في الشطرة الأولى من البيت الأخير كلمة « بامتكار » .
وقد استبدلناها بكلمة « باحتقار » بدلاً من الكلمة الأولى التي وردت بخط يد الشاعر .
وخامساً : ورد في لزومية « رؤوس تمكن منها العنكبوت » — في النسخة الثالثة — في الشطرة الأولى
من البيت الثالث « وكيف دون الذي تنغيه » . وقد صححناها على النحو التالي : « فكيف ودون
الذي تنغيه » .

سادساً : لاحظنا ضعفاً في صياغة الشطرة الأولى من البيت الثاني من لزومية « بلاء النصوص
بالفسر » . ومع هذا أبقيناه كما هو .

*** — يوجد في النسخ الثلاث شروح لمعاني بعض المفردات . ومع أننا ضد إقتال النص بالشروح إلا أننا
رأينا إثبات الشروح التي وضعها الشاعر بنفسه فقط .

١ — المذموم : المذموم . ٢ — نحاجنا : يحزّرنّا . ٣ — خريصة : حل . ٤ — النقل : ما يؤكل مع الشرب .
٥ — القحف : عظمة الدماغ . ٦ — العير : غبار الحرب . ٧ — المشرق : المكان الذي يحلّس فيه في
الشتاء لمواجهة الشمس . ٨ — التفريق : الفصل . ٩ — التفريق (في لزومية سألقل قلب الظلم :
البيت الخامس : الشطرة الثانية) بمعنى : الإخافة . ١٠ — صخي صخاً اتسخ . ١١ — يلخي لحاً :
يريد في الكلام الباطل . ١٢ — الطلاسم : السحر والشعوذات . ١٣ — لُسما : حجلأً وعيأً .
١٤ — الملاسم : المذاقات . ١٥ — لاسم : لازم . ١٦ — الجرح النعور : الذي ينزف بكثرة .
١٧ — الذعور : التي تُذعر لسماع القيح . ١٨ — الشجات : البكاء بصوت . ١٩ — بَعْلِكُ :
يخلط . ٢٠ — الحبك : هو تساوق القصة وانسجامها كما يقول فن القصص . ٢١ — الثبُثُ :
العنكبوت . ٢٢ — الثبُثُ : الأثر . ٢٣ — تعوفت : تعبدت . ٢٤ — تعثرنا : تأخذ العثر .
٢٥ — تواف : تام . ٢٦ — الغشاش : السحاب المرتفع . ٢٧ — القميء : الصغير الحقير .
٢٨ — مصلاد : الناقة لا حليب لها ينتفع به . ٢٩ — مقلاد : مفتاح . ٣٠ — يستدن : يحرس .
والسدين : السر الكفيف الضيق .

**** — لزومية « النضال أُمُرٌ يُحِبُّ لِدْأته » : وجدنا كلمة « لِدْأته » في العنوان في نسخة قصيدة
« تبسم » مكتوبة بخط يد الشاعر بشكل منفصل عن القصيدة . بينما نشرت في نسخة مجلة « الغد »
بعنوان « النضال شيء يحب » . وفضلنا استخدام العنوان الأول لأنه بخط يد الشاعر .

**** * — لزومية « برمت بهذا الناس » بخط أحد أقرباء الشاعر .

٣٨ — كتاب أضاء... ---

كتاب أضاء دياجي الظلم
أشاع الجمال بقبح الحياة
وسل السخائم من أكبد
وألقي السلام على العالمين
أناعيم لما شداها الشداة
وصحى النيام، نيام القلوب
أقال غنار الخصال الملاح
معين الفضائل للناهلين
كتاب حكيم فمن فيضه
ومن يمتلىء حكمة قلبه
أقام السيوف بوجه البغاة
وقلّم أظفار شرّس الذئاب
وقاد الرعاة، رعاة الشياه
كتاب تركاه يا حسرتا
وهنا على الناس من بعده
وقد كان يبعث فينا الحفاظ
وقد كان يجمع منا القلوب
فخارث عزائم من بعده
وكانت لنا عزّة المؤمنين
فلنطم منا عزاز الحدود

ودلّ الأنعام لأهدى أم
وأفشى الحياة ببالي الرمم
غلاط وبیض منها السخم
فذاقوا حلاوة طعم السلم
أصاخ الزمان لحسن النغم
فقام الأذان وخرّ الصنم
ورسخ للمكرمات القدم
فأما يخوضوا يخوضوا الخضم
على العالمين لأهل الحكم
أصاب من الخير شيئاً عظم
فلما أنابوا أقام القلم
فلم تحش بطش الذئاب النغم
فصار الرعاة، رعاة الأمم
فصرنا نعض بَنان الندم
فعرض أبيح وأهريق دم
ويبعث فينا القوى والهمم
فأيان من بعده الملتئم
وصرنا سلاب الوغى نفتسم
فصرنا العبيد وصرنا الخدم
وندعو بخير لمن قد لطم!!!

وكنّا الرّغام لأنف العداة
وكنّا الأباة فلا نحتذى
حيننا بغير الكتاب الحميد
وما رغبة الحرّ من عيشة
إذا لم تكن ذا زئير يدوي
وإن رمت تشكو الذي قد أصابك
تيقظ ويكفيك هذا الرقاد
ويكفي تشكي العذاب الأليم
يسنّ التألّم حدّ النفوس
إذا لم تراحم ليل الحياة
وإن لم تكن راحاً في الطيوب
تدجج سلاحاً فحولك ناس
وخير السلاح كلام الإله
فإما اتبعت أزال الكروب
وقال لنا اعتصموا يا عباد
وقال تأخروا أيّا مؤمنون
وقال لنا وأعدّوا لهم
بما قد عصينا كلام الإله
فيا قوم عودوا إليه يُعَدّ
كتاب منيرٌ فمن نوره
وداؤوا بما فيه أسقامكم
كلام العظيم عظيم الكلام

فصارت أنوف لنا تُرتغم
فأين الإباء وأين الشمم؟!
حياةً وأفضل منها العدم
هضم الحقوق مباح الحرم
ففيك بأذن الأعادي صمم
قالوا تجنى وقالوا ظلّم
فمن رام نيل العلى لم يتم
فقلب المعذب ما إن رحم
فهل سنّ نفسك هذا الألم؟
أصبت فناءك في المزدحم
تنشك غداة الصراع الرحم
تدجج من رأسه للقدم
فجلّ الإله وعزّ الكلم
وإما تلوت أزاح الغمم
وليس سوى حبله معتصم
ولكننا قد قطعنا الرحم
فماذا ادخرتم لما قد ألم؟
جيننا السُّبّات وسوء الندم
إلينا الفخار ومجد القمم
أنثروا غياهب هذي الظلّم
ففيه دواء يزيل السقم
فعزّ العظيم وعزّ الكلم

* — نقلاً عن مخطوطة .

** — ألفت في احتفال كلية النجاح (العام الدراسي ١٩٤٣ — ١٩٤٤) بحفلة ختم القرآن .

٣٩ — « ليلة ذات فجرين »

ليلة هبت بها ريح الخزامى فسرت راحاً بأرواح الندامى
نقلت بشرى بفجر طالما قد تمتته اندياجير القدامى
حلم لايت عليه أنفس ملئت جهلاً وظلماً وظلاما
كم تنهاده الحيارى في الدجى وتناهى ضعاف ويتامى

راقبوا الصحراء تأتيهم به بلسم الجرح، شفاء وسلاما
من رأى أمية قد علمت كل هذا الناس عدلاً وذماما
علمتهم إنما الحسنى هي الروح، ما الحسنى شرباً وطعاما
ليس بالخبز حياة وحده لا وليس المجد في الدنيا خطاما
هذه الصحراء في إعجازها عزت الصحراء فعلاً وكلاما
لا تعجب !! فهي نبع الروح كم أنبعت عزاً وأمجادا
حملت طه فلما ولدت أطرق الكون جلالاً واحتراما
ولد الآس فطابت أنفس قد تنزين جراحاً وسقاما
هل والدنيا جحيم قاتل يحرق الفضل ثيباً واضطراما
جاء طه والليالي حلك فبدا في ميسم الدنيا ابتساما
وذ ماض قر لو يشهده والغد الوامق لو كسر أماما
سؤد العرف. وأعلى رحمة وأقال العقل من كبو فقاما

واليد الأخرى بها هزّ الحساما	حمل القرآن نوراً في يد
في الذي يصبر لكن.. يتعامى	والحسام العصب أجدى حيلة
من سخيمات هباباً وسخاما	هل فارتاحت قلوب شغفت
وجلا عن أنفـس قـم قـتـامـا	فمحا عن أوجه قـمـرتـها
أذؤب ترقب للشاء	وأشاع العدل لا شاء ولا
بين أخراك ودينـاك قوامـا	قال: يا إنسان لا تزهـد وكن
إن من يغدر بهم يلق إثامـا	وأحب الناس لا تغدر بهم
أنفس تردى وهام تترامى	شرعة لو وردت ما
ذات فجرين ينيران الظلاما	من رأى من قبل هـذي ليلة
الخصب إذا اشتدت أواما	من رأى الصحراء يروي ماؤها
عن أزاهير يزین الكماما	من رآها فقـتـ أكـامـها
حاد عن قصد سبيل فاستقاما	من رأى الصحراء تهدي تائها

* — نقلاً عن مخطوطة.

** — يحتمل أن تكون قد نشرت في حريدة «الدفاع». وقد قلت بمناسبة عيد الميلاد النبوي.

*** — يقول راضي الطاهر: هناك صدر بيت ضاع عجزه وبأني تربيته بعد البيت الرابع عشر. يقول صدر البيت: «ودموع تفرق الروح أسى....».

٤٠ - لَمَّا اكْفَهَرَتْ أَوْجُهُ اللَّيَالِي

وساد في الناس عمى الضلال	لَمَّا اكْفَهَرَتْ أَوْجُهُ اللَّيَالِي
حكومةً ليست على مثال	وحكم القيصر في البرايا
ينوشهم بمخلب	وراح كسرى بربير الأواني
وسادة تظلم ولا تبالي	وقسم الناس إلى مطايا
وأجر العقل على العقل	وانعدم الضمير في البرايا
نقره بقطعة العدل	واشبهه العدل فلا جرىء
أحقر من قتل ومن قتل	واقتل الناس على خطام
والله ذو الرحمة بالعيال	رأهم الله وهم عيال
يهدونهم لأوضح الدلال	فقيض العرب لهم دليلاً
رسل من الرحمان ذي الجلال	والعرب خير الناس منذ كانوا
حمل رسالات الهدى الثقال	كلّفهم وهو بهم عليم
حواله الأسياف والعوالي	إن يستجر حقّ بهم يكونوا
فما له عنهم غنى بحال	قد نبعوا والحق من معين
بين أعاجيم الورى الرذال	ألا تراه ضائعاً مضاعاً
وإن خذلنا صيباً بالخذال	نحن نحق الحق إن نصرنا

★ ★ ★

وقام طه داعياً إليه	يبب بالنساء والرجال
دعا لإطلاق النبی وكانت	مغلولة الأطراف بالأغلال

دعاهم لما استوت لديهم
فعبدوا الأصنام عن ضلال
دعاهم إلى الذي يحيمهم
فلم يجب غير قليل نزر
ففاضل الناس على اعتقاد
لم يكفه نصح لهم وقول
يا سَنَّةَ شرَّها فعول
محارة وصادق اللالي
كذا تكون غفلة الجهال
من فاخر الحصال والخلال
قد تغلب الكثرة بالقلال
والعز والمنعة بالنضال
فالقصد لا يدرك بالمقال
فاعتبروا يا ماضغي الأقوال



يا أسفاً يرى الفتى شراراً
يرى شراراً ضيعوا بلاداً
فَيُغَضُّ الطرفُ على أذاهم
إن عشت في الخير وكان غيري
كممهل لخارق سفيناً
يسأله كي يرعوي سؤالاً
لا يرعوي السفه من عتاب
تذكروا الجلاء وهو موث
فصاؤلو فيما ترون حقاً
ولترأبوا صدوعكم للقيا
لا يرأب الصدع قلوب هوج
عوامرٌ بالكذب والدنايا
موحلة إذا تبق جفت
تريد ذلك الصريح وهو راس
ظلت صروحاً شخاً وأوهى
آلوا بنا لأسوأ المآل
وحللوا ما ليس بالخلال
يقول: دعهم ما هم ومالي
يسدر في الشر فلم أبالي!
يهوى بها لأهوال المهال
واللطف والرقعة بالسؤال
بل يرعوي بالصفع بالنعال
طاحت حظوظ المستكين الحال
لا يمنع الحق سوى الصيال
ما خبأت في رحها الليالي
تغلي بها مراحل التغالي
عوامر من التقى خوالي
وانفرجت عن أقدر الأحوال
ماذا يُلقَى ناظح الجبال
قرئيه فيها أحق الأروال



حارب طه أهله حروباً
يا مثلاً يضربه قويماً
إنّ الأئى وأبوك أهل قرى
وأى أهل طغمة سفال
نقرضهم ألسنة رقاقاً
ونسلق المحسن وهو أخرى
يايى من الذبيح كيف راءى
شابت لها مفارق الأطفال
والدين، أحلى الدين في الأفعال
ليس الألى عادوك بالأهالي
باعوا الحمى وأهله بمال
وهم نذير الشؤم والوبال
بالمدح والتبجيل والإجلال
ذابحه لم يحتقره يايى

★ ★ ★

يا قوم أيان أراكم قوماً
يقوم بياع بكم خطيباً
يشتم أذبالاً لكم طهاراً
فتتقب الأيدي له اصطفاً
والعامل الصامت ليس بحزى
والعابث اللاهي يريد دنيا
تقلونه لقالة هذاها
غرقان في الحمأة راح يغلو
يا خبر لم يروه رواة
يا ناحث الأثلاث وهي طهر
أبو الحصين سب قطفاً لما
لو قسم الإخلاص في ثياب
في بلد سارت به ركبان
يكيل نفس الكيل للكيال
يخطبكم في منطق الأطفال
وذيله من أنحس الأذبال
ويخرق الأذن الهتاف العالي
يعيش فيكم عيشة الغزال
ينال منكم أجمل النوال
وهو أحق الناس بالإنزال
يلفتكم عن نفسه كالآل
ليست سراة الناس كالسفال
ما أنت من مفاخر الأثال
راه صعب الأخذ والمنال
لنلت منها هلهل الأسمال
أغنية ومضرب الأمثال

★ ★ ★

وظل طه داعياً صبوراً
وكم حسا من غيهم ثقالاً
يهدى غواة القوم غير آل
وعلقم الأكوس في الثفال

من يحمل العظام احتساباً
 حتى إذا ما أياسوه صبراً
 هاجر كي يرجع في جيوشه
 إن الذي قد صم عن كلام
 هم أضرمو عليه نار حرب
 ومن كطه أسداً هصوراً
 ومن كأصحاب له شداد
 ضحوا له أرواحهم رخاصاً
 ففطرت دماؤهم وهاداً
 كم عقدوا عندهم سماء
 وانكشفت حقائق حسان
 إن رعاة الشاء والجمال
 وأمة أمانة تصدّت
 نعرف من بحر كتاب فيه



والتفت تحسدهم يهود
 ونقموا أن أرسلوا وري
 وكان لا بد من احتكام
 عداوة لما نزل تنزي
 وعادت الحرب لنا عواناً
 أهل الخنا والذل والختال
 أعلم من أجدر بالإرسال
 والسيف أمل خيره الأمالي
 تورثها الأجيال للأجيال
 يا للشداد البأس والأبطال



فريضة عادت لكم فعودوا
 وخير قامت لكم فذكوا
 قد حسبو الغاب غدا مباحاً
 وأثمه من الأسود خاني
 وارجعوا أيامها الخوالي
 ولا تقيموا دارس الأطلال

فاتلوا عليهم سَوْراً صعباً تظل تلى عبرةً للتالي
قد مات فرعون ولم نرثه غير سياط مرة النكال
نعملها في أظهر ذلالٍ كأظهر الحمير والبغال

★ ★ ★

طافوا على الدنيا وما استراحوا ولم يسفهم من فلاحها فالي
عَقَّوا فعاشوا في الورى نفايا كذاك عقى منكري الأفضال
حتى إذا ضاقت بهم رحابٌ ودوفعوا كمبغض الصلال
عادوا لنا وقعتهم سوداءً وعاد سنحاريب حزقيال

★ ★ ★

يا قوم في هجرة طه ذكرى لأعجد الأمجاد في الأولي
فهاجروا من مكّة الأقوال ليثرب الأخلاق والأعمال
وهاجروا من بطلات سؤلٍ وبئس داراً دارة الإبطال
يا قوم ليس الحق في هندامٍ ولا بقطع الأرقب الخوالي
ولا بتشتام الألى تادوا للمة الأبداد والأفلال
ولا بتهويش ولا خطابٍ الحق كل الحق في الفعال
فكم مريبٍ حلي ادعاءً ولن تدوم دولة التحالي
الحق سلطانٌ له دوامٌ وسلطة الباطل للزوال
وجاهدوا في معشر أندالٍ باعوا الحمى للمعشر الأندال
وقدّموا الأموال، لا كلاماً أمامه ما قيمة الأموال!!

* — نقلًا عن مخطوطة .

** — ألفت في قاعة بلدية نابلس في ذكرى الهجرة النبوية .

كتاب لا يفیه المدح

كتاب لا يفیه المدح قول
ولو سلك الكواكب في قصيد
خصيب النثر إن باراه خذب
تنزل والضلال له خيام
ليل حالك الجلاب جون
قضى في الأرض بطش واعتساف
يصال على الضعاف ولا يرعى
وضاع الحق في الدنيا فروج
وسار الناس في صحراء شر
ودارت أعين الضلال حيرى
يضمون الأكف على صدور
وهل محمد معه كتاب
فقرت أعين وارتاح بال
وطب الآي فاندملت جراح
وأشربت النفوس ثقي وكانت
وحق الحق في شاء وذنب
فلا حل يخرمهُ قوي
ترسم نهجه ناس فعزوا
أطاعوا أمره فعلوا علوا
وطاف به على الآفاق عروب

وذكر من قوافينا أجل
بذاك النسيج جانبه، يقل
وبحر الشعر إن جاره ضحل
أناخ الناس فيها واستظلوا
إذا نقلت به قدم تزل
وحكم في أمور الخلق جهل
بمضعف هوى ذم وإل
تسل بريئة ودم يطل
وتاهوا في المسير وما استدلو
على نجم به أمل يطل
بلا ما قد حوت سخم وغل
فيا للنور من نور عيل
وطابت أنفس والتّم شمل
بغير الآي ليس هنّ دمل
هواها قبله بغى وبطل
ورفرف في سماء الأرض عدل
بقوته ولا خرم يحل
وكان لهم بشوب المجد رقل
ومن يعمل بأمر الله يعمل
هو للخير والإيمان رسل

فما إن صدَّهم بحرٌ خَضَمَ
 إذا قُسمت رسالاتٌ بخلقِ
 هم القُضْبُ المواضي مُعمداً
 تُسَلُّ على أبالسةٍ سفاراً
 وسادوا الناس ما شَدَّوا عليهم
 لهم بالله والقرآن حبلٌ
 وكانوا المورد الصافي لعطشى
 وجاءوا بالروائع من عقولٍ
 وجاء وراءهم نسل أضاعوا
 تنافرت القلوب فلا وداذ
 وهانوا لا تعزَّ لهم قناةٌ
 وناموا لا تفيقُهُم خطوبٌ
 يدوس حرامهم طيرٌ بُغاتٍ
 عجبٌ لمعشر فيهم كتابٌ
 تباع بلادهم وهُم عليها
 أعد لهم أعاديهم سلاحاً
 فأين حدائد تزجى ونار
 وأين الناس؟ قد صاروا لسوءٍ
 إلى القرآن عودوا يا حيارى
 تُدُلُّ إلى المِحْجَةِ فاتبعوها
 هو القرآن ليس يفیه قولٌ

وما إن رَدَّهم حَزَنٌ وسهلٌ
 تحمَّل قوم أحمد ما يَجْلُلُ
 وإما حاقت الجُلَى تُسَلُّ
 سفاراً لا تُكِلُّ ولا تُفْلُ
 ولا تاهوا بعزَّتهم وذُلُّوا
 به اعتصموا ولا يحكيه حبلٌ
 لهم من عَذْبِهِ نَهْلٌ وَعَسَلٌ
 وبالأيات ليس لهن مثلٌ
 جنى أُنْعابهم فلبسَ نسلٌ
 وفَرَّق شملهم بَدَدًا فذُلُّوا
 على الأعداء، فانكسروا وغُلُّوا
 ولا نبأ الجِلاد المضمحلُ
 ويقهرهم من الأَقْوام سفلُ
 به طرق الهداية كيف ضلُّوا
 وأيديهم بها شُخَّ ويُحْلُلُ
 وعدَّتْهم لها تُحْطَبُ وقولُ
 وأين عرمرم لجبٌ وخيلُ
 ولا بأسٌ ولا حَوْلٌ وَطَوْلُ
 ففي طَيَّاتِهِ عِبَرٌ تُدُلُّ
 تفكوا رِنَقَةَ العاني وتغلُّوا
 جليلٌ من قوافينا أَجَلُ

* — النص: نقلاً عن مخطوطة.

** — أُلْقِيَتْ هذه القصيدة في مهرجان ختم القرآن في كلية الجراح الوطنية في نابلس.

٤٢ — «وأعدوا..» لم يقلها ربكم عبثاً

يوم مجّد فات ما أجمل ذكره
فيه أن الحق بان حصنه
فيه أن الفعل أجدى للفتى
فيه أن المال والأهل إذا
فيه إن هم فتى فليقتحم
شرعة علمناها المصطفى
فيحل السيف ما عقده
ليس مثل البطش في الدنيا فكن
ضئع المضعوف لا ظفر له
ودموع الذل مارق له
قوة المرء له حجتـــــــــــــــــه
«وأعدوا..» لم يقلها ربكم
لم تكن هجرة طه فرة
كانقباض الليث ينوي وثبة
ورمى في السوح أبطالهم
وانجلي العثير عن هاماتهم
نصروا الله فلم يخذلهمو
فمشوا في الناس نوراً وهدى
ركزوا أرماحهم فوق الغلا
وأتيننا نحن من بعدهمو

فيه لو نفطن آيات وعبرة
قوة لم يستطع ذو البطل هذرة
من كلام. ما حمدنا قط أمره
لم يجودا ضحيا من أجل فكره
لا يخف ضحضاح ما ينوي وغمره
ليتنا نمشي على الشرعة إثره
غادر بيت للأوطان غدره
باطشاً يهرب أهل الأرض شره
ونجا المضعوف لو طول ظفره
قلب ظلم، إن قلب الظلم صخره
وهي إن يظلم تقف في الناس غدره
عبثاً. فلتحسنوا في الذكر نظره
إنما كانت على التحقيق كره
وانقباض الليث في الوثبة سوره
فوق سوح الموت تمزاج وخطره
كللت بالغار من مجد وفخره
بل جزاهم ربهم فوزاً ونصره
وبدوا فوق جبين الدهر غره
وحدا الحادي بهم عزاً وشهده
وأضعنا ما جنوا طيشاً وغره

يُتَغَرُّ السور علينا ونرى
ونرى الماكر في أمجادنا
ونرى حَذَّ حمانا ناقصاً
ولنا في كل يوم قالة
لا يصون الحذَّ إلا جدّة
ومذاق الموت أحلى في الوغى
ونفوس الخلق أعلاها التي
لا تقولوا ما لنا من قدرة
إن فيكم لبقايا طيبة
فانهجوا نهجاً قويماً واعملوا
ما أضرَّ الشعب كاليأس فإن
هكذا نقضي ولم تبدر لنا
ولنا ثأر على الناس وما
هاجر الهادي إلى رجعى فإن
قد خرجنا أفس من أندلس
وإذا نحن خرجنا في غدٍ
لا يخاف الناس إلا ظالمًا
ليس يحمي الحق إلا فتكّة

ثم لا نرتق بالأفعال ثغره
ثم لا نفسد للشقرة مكره
كل يوم شطرة من بعد شطره
فأرونا فعلة في العمر مرّه
ويذيب القيد إلا نار ثوره
من حياة ضنكة في القيد مرّه
إن تعش عاشت وماتت وهي حُرّه
إن تريدوا ينخلق عزم وقدره
لم يزل في الدّم مجراها وخيره
واعملوا لا تبخسوا مثقال ذره
ينس الشعب يكون اليأس قبره
غضبة في حقنا أية بدره
نام من يطلب أن يدرك ثأره
نحن هاجرنا فماذا بعد هجره
ودخلنا بعد في نيران حسره
هل يمينُ الناس للأقصى يزوره
فاظلموا ، كونوا ذوي بأس ومِرّه
ويعيد الحق فينا غير قسره

* — نقلًا عن نسخة بخط يد الشاعر .

** — ألفت في جامع النصر بتاريخ — ١٤ / ١١ / ١٩٤٧ . بمناسبة اتحاد جميع الأحزاب في يوم الهجرة .
وتحمل القصيدة — أصلاً — عنوان « ذكرى الهجرة » . ولكن بسبب تشابه هذا العنوان مع قصائد
أخرى ، فنحن نقترح عنوانين : العنوان الأول هو المذكور أعلاه . والعنوان الثاني هو « نار ثورة » .
وكلاهما مشتق من قصيدة الشاعر .

٤٣ - الفلاح

وتنادوا لفلاح ثلّسوا
لا تلاعوا كالزعامات التي
وأقيموا حجة الإخلاص في
كل أقوال بلا فعل وإن
ظلت الآمال تثرى دائماً
بين كلم وكلام نسب
وقرب من خطوب خطب



فلنكن نذرتم ديناً لها
ومول الخير فيكم شيمة
عزت القرية هل تغرس في
قدمت للوطن الغالي الأضاحي
سبقت بالبذل من سابقها
وإذا نادى المنادي أقدمت
هي سيف فله الضرب وقد
كم بغى الباغون إذلالاً لها
ورسّ كالطود ما رَغَزَها
أثم منها فروع يُنَعّ
فاطلبوا عيش الكرامات ولا

تقتل النذرة والشر الفضيلة
والطباغ المستطابث أصيله
النفس إلا كل أغراس جميله
كانت لدى الجلى نخيله
من رآها في الورى غير بذوله
ومشّت في الناس للردع دليله
يشتكي السيف من كبر فلوله
فأبث لم ترض أن تحيا ذليله
جلل الخطب فعاشت من قليله
وقديماً أشبه الفرع أصوله
تركوا في نيل مرجأهم وسيله

إنما العاجز لا قول له وأخو الهَمَّات لا يُعَدِّمُ حيله
بورك الـررزق إذا كان التقى معه ، لا كان رزقُ في رذيله
ليس للإنسان إلا ما سعى وليكن عين التقى ما تستعي له

★ ★ ★

ضاق عنه الحظ في قريته فانشى يطلبه في المُدُنِ
وأقَى يسعى وفيه قوة تبني صِرْحَ العُلا إذ تَبَنَّى
وليكن مُغْتَرِباً في سعيه فالقُرى والمُدُنُ بعضُ الوطنِ
وله كالطير حق أن يرى شادياً عن فَنَنِ في فَنَنِ
وبلاءُ العُربِ أوطانٌ له من ذُرى طوروس حتى اليمنِ
حقُّه هذا وما مِنْ مِثْلِهِ إنه يرفضُ حمل المِئينِ
روضه هذا فمن حرمه وأباح المعتدي الروض الجني
لم يحىء مستجدياً بل معطياً فهو من روح ومن عزم غني
وإذا غُرُّ الأُماني رَجَعَتْ طَفَقَتْ تشد رحب السكينِ

★ ★ ★

أيها السامعُ مني كَلِمِي لا ثَقُلْ للناسِ إني مُغْتَرِبُ
هذه دارك فاعمرها ولا تَبرِمنْ ولتلقَ فيها ما تحبُ
وَحُضْ الدنيا على أهوالها وَأَسعَ في نيل المعالي واضطربْ
وإذا صاح بك الداعي إلى نصرة الأوطان يوماً فاستجبْ
إبقِ أسباب الهوى موصولةً أبداً لا تقطعن منها السببِ
فهناك القوم كالقوم هنا وإذا شَطَطَ نواهم فاقترِبْ
كن رسولَ الأهل للأهل وَخُذْ بيد المَغْلُوب منهم إنْ غَلِبْ
لا تكن كالبدْر رَجَّتْهُ القُرى للهدى ثم ثَوَّارِ واحتجبْ
جَدِّ الذكري إذا رَثَتْ ولا يطمس الهجران منها ما كُتِبْ
يسعدُ الإنسان في شقوته بأذكارِاتِ التصابي واللسبِ

وإذا لُقِيَ حظاً زاده
قد رأيت الطير إن لاحت له
ورأيت الشبل إن ريع الحمى
وذميم بالفتى نسيانه
من نعيم ذكر أيام النصب
ذكريات العش غنى وطرب
وبه شب تأبى وغضب
منه تروى وشرب

★ ★ ★

أيها السامع مني قالتني
لم تلك الندوة كي تعزلكم
عن بلاد أنتم أجنادها
عن قطع طامع في عطفكم
بل لكي تدخلكم في مغرك
لم يفكر من بناها عشا
بل رأى الأيام تزجي للوغى
فيضيعون رخاصاً ما اهتمدوا
والمنى حلم بعيد إن تسر
والذي يرنو بعينه إلى
إن من يطلب الحق ولم

استمع لحن القرى عن مقولي
وتعيشوا عيشة في معزل
وبكم تبلغ حلو الأمل
معوز منكم لخير العمل
خاسر فيه مهول المدخل
لا ولم يبتها كي يعتلي
بشباب لم يعتدوا غزل
للعلا أو توهوا في السبل
للمنى غير الطريق الأمثل
مثل فليذر مآق المثل
يرتشد يقض ولمّا يصل

★ ★ ★

لا تلك الندوة حزباً همّه
مثل أحزاب لنا قاصرة
ذاهبات بقوانا بذراً
أنتم الإبريز طيتم معدناً
قوموا الأنفس فيها عوج
إلا دعاءات البوالي الفارغه
ساقطات بدمانا والغه
عالكات لكلام ماضغه
فاجعلوا الندوة هذي صائغه
وأصبحوا من ميول زائغه

★ ★ ★

هذه الندوة معنى اسمها في الملمات التداعي والتادي

لا تكن آذانكم مغلقة
 كل تشكيك بلا جدوى إذا
 نحن لا يقتلنا مثل الألى
 ركبوا الشعب وقد أطمعهم
 تؤهونا عن سداد، مَنْ فتى
 غير من أوحش داراً نأيه
 أرجع الله لنا أيامه
 إن يصيح فيكم غداً داعي الجهاد
 لم يكن مستهدفاً خير البلاد
 ظهوروا فينا على هام العباد
 فتبادوا أنه سلس القياد
 منهم ذل إلى هذي السداد؟
 وهو الحاضر في كل فؤاد
 وابتلى بالقطع أسباب العباد



هذه الندوة عنوان القرى
 ولتكن ملقى البطولات بكم
 ولتكونوا مثلاً في عزّة
 ينظر الناس إليكم أملاً
 اعرفوا الدرب وسيروا إنه
 سدّد الله خطاكم ووقى
 فاجعلوا عنوانها خير العمل
 ولتكونوا كلكم ذاك البطل
 غلّه أن يحتذى ذاك المثل
 لا يحب منكم للمهوف أمل
 كل من سار على الدرب وصل
 أعمالكم مهوى الزلزل

* — نقلًا عن مخطوطة بخط يد مروان راضي الطاهر .

** — ألفت في الندوة القروية في حيفا . ولا يعرف تاريخها .

٤٤ — حوشوا النبات من الشوارع

حُوشُوا النَّبَاتِ مِنَ الشَّوَارِعِ
فَبِنَائِكُمْ مَوَائِعُ
تِلْكَ الْكَثَافَةُ لَا يَلِيقُ ..
حَتْمًا يُرَيَّلُ مِنْ يَرَاهَا
إِنْ يَكْشِفُ الْعَسَلُ الْمُصْفَى ..
(يَا لَيْلِ) مِنْ لُبْسِ الْخَرِيرِ
(يَا عَيْنِ) مِنْ هَزِّ التَّهْوِدِ ..
تَمْشِي الْفَتَاةُ فَتَشِي
بَرَزَتْ لَمِيدَانِ الْغَرَامِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا الْحُسَامُ
أَوْ لَمْ تَهْزُ مِنَ الرَّمَاكِ ..
أَوْ لَمْ تُصَارِعْ بِالْيَنْدِينَ
مَا يَبْنِي مُعْتَرِكِ الْحَاجِرِ
يَا قَوْمُ وَيَحْكُمُ — كَفَى
تِلْكَ الْكَوَاكِبُ لَا يَجُوزُ
مَشْيُ النَّبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ
وَيَزِيدُهُنَّ مَطَامِعًا
وَلَرُبَّمَا غَلَبَ الْغَرَامُ ..
يَا بَنْتُ فَلْتَحْجِي
لَا تَتْرَكِي سِفْرَ الْجَمَالِ

أَوْ — حَتَمُوا لُبْسَ الْبِرَاقِعِ
وَشَبَابِكُمْ وَاللَّهِ مَا يَبْعُ
بِأَنْ تُمْرَ أَمَامَ جَائِعٍ
أَوْ يَمُدَّ لَهَا الْأَصَابِعُ
فَالذُّبَابُ عَلَيْهِ وَقَعَ
يَشْفُ عَنْ عَدَدِ الْأَضَالِعِ
وَمِثْلَةِ الْجِيدِ الْمُطَاوِعِ
كَالْعَصْفِ تَشِيهِ الزَّوَابِعِ
وَلَمْ تَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَبْعُ
فَطَرَفُهَا الْمَاضِي مُصَارِعُ (١)
فَحَصَرُهَا فِي الْهَزِّ بَارِعِ
فَلَحْظُهَا السَّاهِي يُصَارِعُ
وَالْقُلُوبُ لَنَا مُصَارِعُ
مَا فِي الْبِلَادِ مِنَ الْفَطَائِعِ
بِأَنْ تَبْنِي عَنْ الْمَطَالِعِ
يَزِيدُنَا فِيهَا مَطَامِعُ
فِينَا، وَهَذَا الْأَمْرُ وَقَعَ
عَلَى الْعُقَافِ فَبَاتَ ضَائِعُ
كَمْ فِي حَجَابِكَ مِنْ مَنَافِعِ
لِكُلِّ ذِي عَيْنٍ يُطَالِعُ

عَرَضُ الْبَضَائِعِ فِي الْأَنَامِ مُسَبَّبُ رُحْصِ الْبَضَائِعِ وَالْحُنْ خَيْرُ بَضَاعَةٍ فَلْتَحْفَظِيهِ عَنِ الشَّوَارِعِ

- * — نقلاً عن طبعة مركز إحياء التراث — الطبعة المثلث — ١٩٨٥ ، تحقيق حنا أبو حنا :
من قصائده المبكرة ، نظمها في ٢٤ / كانون الثاني / ١٩٣١ ، وكان طالباً في « كلية النجاح » في
نابلس ، في سنة تخرجه ، وفيها الكثير من الدُّعابة ومرح الشباب .
- ١ — مضارع : مثابه ، ويقصد مضارع للحسام ، ولا بد من الإشارة إلى براعة التورية في كلمة
« مضارع » في وقوعها بعد الماضي ، مما جعل في الماضي أيضاً تورية .

٤٥ - قطر الندى !!

ووجنتاك ورود الروض بللها قطر الندى من لَمالك العذب فانفتحت
لهفي على قبلة أظفي بها ظمأي ما ضرَّ فاطمة لو أنها فتحت !!

* — نقلًا عن مخطوطة .

** — قلت بمناسبة زيارة (فاطمة رشدي . الممثلة المصرية) لنابلس عام ١٩٣٠

٤٦ — نجوى المحتضرة

دنا الموت مني «أبا جعفر»
 سأقضي غداً فالوداع الوداع
 وأعبر برزخ هذي الحياة
 لك الله! سَعَرَتْ نار الهوى
 فكنت أنادي الحريق الحريق
 وما كنت تعطف عطف العشي
 تعذبت في الحب من في الهوى
 وغاض الجمال وزاغ البصر
 وداع الفراق وداع العمر
 وكل عناء له مستقر
 بقلبي وجانبك حين استعر
 وناديت: يا نار كوني آخر
 وتخنو خنر الحبيب الأبر
 تذوق الذي ذُقت؟ مَنْ في البشر؟



أهنت عزيزي وأسلمت نفسي
 وخالفت أهلي وعاديتهم
 وحاذرت منك النوى والصدود
 وها أنت قد بنت واحسرتاه
 ولم يبق منك سوى ذكريات
 فيها أنت في الدير تشكو الهوى
 وها أنت تبكي بكاء الرضيع
 وأرمي بنفسي على ساعدك
 تدغدغ نهدي يا للغرام
 وها أنذا في فراش الممات
 إليك لتَرْضَى ألا تذكر
 وهم مثلما قد علمت الغير
 ولم يُغن عني شديد الحذر
 وغادرتني لعذارى آخر
 ولم يبق لي منك إلا صور
 ومن ألم البعد لا تحصر
 فأمتص من مقلتك العبر
 فترفق بالخصر لا ينكر
 ويا للزمان تقضى ومَر
 أسمع نجوى التي تحتضر؟

يقولون بي خفقاءً الفؤاد
بعيني رأيت فؤادي الكسير
فأتبعته زفرات الحزين
يرف حواليك رف الأجاج
وقد كذب القائلون الخبر
من الصدر خف إذا طرت فر
وشيعته بدموعي الهُمُر
ويحميك من كل عاد وشر
★ ★ ★

عجبت لقلبي يصون العهود
فليتك يا قلب لما غلقت
لقد قدتني لسيل العثار
ويوفي العهود لمن قد غدر
به صرعتك أيادي القدر
ومن كان هاديه أعمى عثر
★ ★ ★

لِمَ الذَّلْ يا ربة الكرياء
ستقضين عما قريب فما
تناسيه لا يزديه العرور
لإذلالك النفس إحدى الكبر
يمك من هجر من قد هجر
فيشمت قلب له كالحجر
★ ★ ★

أموت وتهوى من الغيد غيري
أبعدي تهون على من تحب!!
لهذا من الموت عندي أمر
لي الله! غائرة تستعر
★ ★ ★

وذدت لو أنك بين اليدين
وألف لف الأفاعي عليك
ويجمعنا ميتين السرير
وتقضي ويقضين حزناً عليك
أضمتك للصدر ضمّاً عسير
وأنظر سُمِّي فيك انتشر
ويا طالما جمعتا السرور
ولم يقض منك سواي الوطر
★ ★ ★

ولكن لماذا؟ بل أبقي إبراهيم
وخذ في هوى الغيد بعدي وذر

سأصبر باقي هذي الحياة وأني الأجابة مثلي صبر
ولكن تعال وقف فوق رأسي وقبل معين اللّمي والحوّز
وبلّل مصوّخ ورد الحدود بمدمك الساجم المنهمر
أموت «أبا جعفر» فالوداع وداع الفراق فراق العُمر

* — المختصره: يقصد (ماري الصفوري) حبيبة الشاعر ابراهيم طوقان.

** — «أبا جعفر»: إبراهيم طوقان.

*** — نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨. أنظر: مجلة «الأنبياء». السنة الأولى، العدد ١١، عام ١٩٣٨.

٤٧ — بيني وبين قلبي

قَلْتُ لقلبي إنها كافرَةٌ تعبدُ يا قلبُ صليبَ المسيحِ
في حَمَأةٍ من شرِّها سادرَةٌ تطيع من ضلِّ وتعصي النصيحِ
وقلبها كالريشة الحائرَةٌ تنأى على ربحٍ وتدنو برحِ
تبيع للسائح كالناجرةِ وتنشي تطلب بيعَ الريحِ
فقال هذي حجةٌ قاصرةٌ ليس بها يُنفي المغنى الجريحِ
بل هي عندي زهرةٌ ناضرةٌ وكل ما فيها جميلٌ مريحِ

لم يبتد القلب ولم يسمع

قَلْتُ: ولكن زهرةً شَمَّها قلبك يا قلبُ كثيرُ العدَدِ
يا ربَّ ذي وَجْدٍ لَقَدْ ضَمَّها فارتاح بالضمَّةِ مما وَجَدِ
أولت له في صورةِ جسمها ونِلْتُ ما لم يُنَوَّلَ أَحَدِ
حتى إذا ما أفرغت سَمَّها تُرْكُهُ يشقى شقاءَ الأبدِ
شيطانةٌ قد شابهت أمَّها يابست الأمُ وبسَّ الولدِ
قال وإن هَوَّلْتُ لي ذمَّها «فَحَسَنٌ في العين ما قد نَوَّدُ» (*)

لم يبتد القلب ولم يسمع

* — حَسَنٌ في كل عين ما نَوَّدُ: عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة
** — نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ أنظر مجلد «الأمل» . السنة الأولى . العدد ٨ ، عام ١٩٣٨

٤٨ - سلمى ارحمىني

سلمى ارحمىني وارفقي	بي يا حياة .. دخيل ربك
لم أدر قبلك ما البكا	ء وما التذل قبل حُبك
لو تعلمين فتى الحروب	أنا ولكن ليس حربك
بي للعداة مصارع	ومصارعي غمزات هديك
ليلى أسرت فأحسني	وأري الأسير حنان قلبك

- * — تروى «ليلى» بدلاً من «سلمى» في بعض الروايات . كما يستبدل البعض «دخيل ربك» وهو تعبير شعبي بـ «بحق ربك» . وقد فضلنا التعبير الشعبي لما له من حيوية .
- ** — النص : نقلاً عن مخطوطة .

٤٩ — راح الذي بيننا

روحي فقد راح الذي بيننا كالبارح السالف ما إن يعود
 روحي ولا تأسي على حالتي وأنسي مواليقي وخوفي العهود
 لا تحملي من عهد ذكر الهوى إن الهوى صعب وحمل يؤود
 روحي فقد راح الذي بيننا
 دمعي الذي أذلت كفكفته أواه كم أذلت لي من دموع
 وجرح هذا القلب للمثـه وأطفئ المـحرق بين الضلوع
 وعقلي الهائم أرجعـه ولم أكن أمل منه الرجوع
 روحي فقد راح الذي بيننا
 روحي فما الإشارك من مذهبي ولست أرضى في حبيبي الشريك
 أنا أناني ولم أرض أن أرى على قلبك غيري مليك
 أبوك لو أوليته نظرة كرهت دنياي ودنيا أبيك
 روحي فقد راح الذي بيننا
 خلعت من قلبي نبات الهوى وتحت أقدامي لقد دسـه
 وخفت من قلبي ضلال الهدى ورجعة الماضي فحطـه
 إن عاد قلبي للذي قد مضى أتيت بالنار وأحرقـه
 روحي فقد راح الذي بيننا
 إذا تلاقينا فلا تنظري أرى وميض العـدر في ناظريك
 ولا تشيري ولا تومـي وددت لو تقطع كلتا يديك

روحي فقد راح الذي بيننا ولعنةُ الحبِّ وقلبي عليك
روحي فقد راح الذي بيننا
روحي — شبابي — أنت أياسته من أمل زاك رجاءُ الشباب
لا تذكرني الماضي ماذا به؟ هل ذقت في حُبِّك إلا العذاب
كتابُ ماضيك أسيَّ كلُّهُ لا تقرأي فيه بلِ إطوي الكتاب
روحي فقد راح الذي بيننا

* — نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر مجلة « الأمل » . السنة الأولى ، العدد ٣ . عام ١٩٣٨ .

** — كما روجعت أيضا على :

أ — مخطوطة بخط يد الشاعر . ب — نسخة منشورة في مجلة « المنتدى » ، العدد ٤٩ ، المجلد ١ — بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٤٧ م . وقد كتبت مقدمة نثرية من الشاعر تقول : « أحببت وأخلصت وغدرت ثم عادت تسترجعني بعد أن عذبتني فهل أعود ؟ » . لا ، « ومقدمة أخرى ربما من الشاعر — تقول : « إني علينا الشاعر نشر صورته لئلا يتورط في غزل آخر » كما قالت « المنتدى » . كذلك : نشرت صورة شخصية لفاتة جميلة إلى جانب القصيدة دون ذكر اسمها . ويؤكد لي السيد الطاهر أن صاحبة الصورة هي « سلمى القرّة » التي كتب عبد الرحيم محمود كل أشعاره الغزلية .

٥٠ — نون النسوة

أهكذا تهون	يا نون يا حزين
وأنت منه دون	يعلمو عليك واو
دواؤه السكون	ذو علة وداء
عليك قل يا نون	ما ثورة الغواني
مشيه يشين	هل شاب منك شعر
زمائك الخوون	أو خان منك مالاً
موطد مكين	فذك فيك عرش
وقل من يصون	ولم يصن جيل
تحمي به العيون	أيام كنت قوساً
بسرّها الجين	ورقية محفوظ
ترهى بها الذقون	ونقطة الأمان
لا عاش من يخون	هل خنت قدس عهد
أنت به ظيّن	فداع سرّ خاف
تعان لا تعين	ظنن فيك عيأ
قوائمه الظنون	إن لمن كونا
أكثرها ميون	إن الظنون كانت

★ ★ ★

عنهن لا تبين	كنت لهن زيرا
وغمة تريّن	فشيمن فيك ثقلاً

وَطَبَعْنَ فاعِلَمْ	تَغَيَّرَ عَجِزُ
تَقَلَّبَ وَقَلْبُ	فِي رَأْيِنِ دِيْنُ
فَمَا يَزِينُ يَوْمًا	فِي الْغَدِ لَا يَزِينُ
وَمَا عَرَفْنَ رَوْمًا	مَذْمُومُهُنَّ
كَمْ مِلْنِ نَحْوِ قَاسِرٍ	وَعَفْنُ مِنْ يَلِينِ
وَكَمْ وَصَلْنَ عَيًّا	وَضَاعَ مِنْ يُبِينِ
وَكَمْ حَرَمْنَ حَقًّا	قَلْبًا بِهِ قَمِينُ
يَا نُونُ أَنْتَ أَدْرَى	مَنْ مَيَّ مَا الدَّفِينُ
فَإِنْ تَشَأْ تَمَاسَكَ	لَا تُرِدْكَ الشَّجُونُ
قَبْلَكَ نَاسٌ صُدُّوا	وَعُذِّبُوا وَعَوْنُوا
مَنْ لَمْ يَصْبِهِ مَنَا	مَنْ أَمْرَهُنْ هُونُ؟
وِظْلَمَهُنْ حَلَوُ	لَوْ أَنَّهُ الْوَزِينُ
فَعَشَ بِذِكْرِيَاتِ	حَتَّى يَحِينُ حِينُ

★ ★ ★

يَا نُونُ فِي «عَطْفُنْ»	مَاذَا حَوَاهُ النُّونُ
كَأَنَّهُ خَضَمُ	وَالنَّقْطَةُ السَّفِينُ
تَحْمِلُ وَحْيَ شَعْرِ	فَاضَتْ بِهِ الْفَنُونُ
نَائِي لَهُ حَتِينُ	يَا حَبْذَا الْحَنِينُ
وَالْوَاوُ فِي «تَفَانُونَا»	قَدْ مَسَّهُ جَنُونُ
لَهُ دَوِّي رَعْدِ	مُبْعَضٌ خَشِينُ
وَقَامَ فِيهِ رَمَحُ	قَلْبِي بِهِ طَعِينُ
وَالْمِيمُ فِي «قَسْوَتُمْ»	بَشَرُهُ أَذِيْنُ
لَا مِيمَتِ الْغَوَايِ	وَلَا الْعَيُونِ الْعَيْنُ
فَانْهَاشَعْرِي	وَلِلْهَوَى مَعِينُ

★ ★ ★

أَحْسَنُ مِمَّا كَانَ يَا نَاسُ لَا يَكُونُ
لَمْ تُفْتَنُوا عَمَّا ثَوَى بِهِ الْفَتُونُ؟
تَسْتَبْدِلُونَ غَنَاءً بِمَا هُوَ السَّيِّئُ

* — نقلًا عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** — قالها بمناسبة انعقاد المؤتمر النسائي العربي الثاني في القاهرة عام ١٩٤٤ ، برئاسة هدى شعراوي .
ويحتمل أن تكون القصيدة قد نشرت في اليوم الأول من مطلع عام ١٩٤٥ في جريدة « فلسطين » .
أما مروان الطاهر فيقول : جاء في مقدمة القصيدة لدى نشرها في جريدة فلسطين المقدمة النثرية
التالية : « قرر المؤتمر النسوي في القاهرة حذف نون النسوة مساواةً بالرجل » .

٥١ — مخلوقة أنتِ فلا تكبري

خالتني الميت من صدها والعائش الدهر مُعنى عليل
 قالت: قتيلي أنت قلت اعلمي أن قد صحا الساهي وحي القليل
 ملت إلى غيري وإني امرؤ إن مالت الروح فعنها أميل
 قالت: فسحري لم يزل فاعلاً قلت: فهاتي لي عليه دليل
 مخلوقة أنتِ فلا تكبري مثلك بين الناس ألفا مثيل

— مخلوقة أنتِ فلا تكبري —

قالت إذا رحّ فلا عودة إما تشكيت الثوى والصدود
 قلت: ومن يخلص من قيده أيتشي يطلب ذل القيود؟
 نجوت من نارٍ فلا تحسبي أني إلى النار — حياتي — أعود
 قالت: أتسى قلت لم لا وقد نسي ميثاقى وحنيت العهد؟
 غداً أرى غيرك لي وافيأ وأبدل الحب بحب جديد

— مخلوقة أنتِ فلا تكبري —

أخلصتك الودّ وجازيتني بالقدّر ما أظلم هذا الجزاء
 وإذ بأحلامي التي شدّتها تنهار من فوق وتغدو هباء
 لكن سألنيها فلا تشمتي!! نعم سألنيها وأعلي البناء
 مثلي كما قلت رجاء ولا يدركهم حصّر. كذاك النساء
 سأنتقي من بينهن التي أهوى فأوليا شديداً الوفاء

— مخلوقة أنتِ فلا تكبري —

قالت: ألا لا تقطعن حبلنا فتحرق الروح بنار الندم

قلت : دعي هذا فأني غداً أنسى بأحضان سواك الألم
 قالت : وإن عدت لنا صاغراً من بعدها — قلت : فهذا قسم !!
 قالت : وتهوى بعدنا غيرنا قلت : نعم أهوى ، وأهوى .. نعم
 فطمت قلبي عن هواك الذي أرضعته قدماً وعنه أنفطمت
 — مخلوقة أنت فلا تكيري —

-
- * — نشرت هذه القصيدة سنة ١٩٣٨ . أنظر : مجلة « الأمازي » ، السنة الأولى ، العدد ٦ ، عام ١٩٣٨ .
 ** — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر .
 *** — البيت الأول (العجز) : سأنفق العمر مُعْتَى عليل ... في رواية أخرى .

٥٢ — جيش الحباب

حَيَّ الطَّبَاءَ الْبَادِيَاتِ كَوَاكِبا الْمَوْرَثَاتِ الْعَاشِقِينَ مَصَانِيبَا
الْمَحْرَقَاتِ بِنَاهُنَّ قُلُوبُنَا وَالْأَخَذَاتِ مِنَ اللَّحَاطِ قَوَاضِيبَا
وَالسَّارِقَاتِ مِنَ الرِّيَاضِ لُذَاتِهَا وَرُضَابِهَا وَشِدَا الْوُرُودِ السَّكَاكِيبَا

★ ★ ★

أَقْبِلْنَ أَسْرَاباً كَأَسْرَابِ الْمَهَا مَتَقَسَّمَاتٍ لِلْقَتَالِ كِتَابَا
وَأَعِدْنَ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ ضَفَائِرَ الشَّ عَرِ الْجَنِيلِ (١) لَقِيدِنَا وَذَوَائِبَا
وَتَخَذْنَ فِي حَرْبِ الرِّجَالِ سِلَاحَهُنَّ مِنْ خَدَا الْجَا (٢) وَرَوَادِفَا وَحَوَاجِبَا

★ ★ ★

لَيْسَ الرِّجَالُ مِنَ الْحَدِيدِ وَلَيْسَهُنَّ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِيبَا
وَمِنَ الْغَرِيبِ إِذَا رَمَيْنَ أَصْبُنَا وَإِذَا رَمِينَا كَانَ سُهْمًا خَائِبَا
رَجَزَ الْفَوَارِسُ فِي الْحُرُوبِ الْقِصَائِدَا وَرَجَزْنَ فِي الْعُنْجِ الْمَذِيبِ عَجَائِبَا

★ ★ ★

اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ قَسَمَنْ صَفُوفَهُ مِنْ طَوَالِهَا وَأَوَاسِطِهَا وَجَوَانِبَا
وَرَمَحْنِ خَطَّةَ كَرِهْنِ وَمَا فِطْ مِنْ لِفْرِهْنِ وَمَا أَحْذَرْنَ عَوَاقِبَا
اللَّهُ هَا سُمِرَ الْقَنَا مَالَتْ وَأَضْ حَى الْقَلْبِ فِي تَقِيلِهِنَّ الرَّاغِبَا

ومددت عنقي للقواضب كي تُحرَّ
وفتحت في الهيجاء قلبي للوا
رَ ولست فيها خائفاً أو راهبا
حظ مُطلقات فيه سهماً صائبا

★ ★ ★

رحماك يا جيش الحبايب قد رفع
لم تنظر العينان جُنْداً مثل جد
سُت الراية البيضاء وجئتكَ تائباً
سلك من رأى جنْداً مهاً وكواعبا
أواه لؤلؤي مثل جيشك كنت أف
تتح البلاد مشارقاً ومغاربا

★ ★ ★

-
- ١ - الجليل : الكثير الملتف .
 - ٢ - خدام : أي ثمنلة السابق .
 - ٣ - نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر : مجلة « الأمالي » ، السنة الأولى ، العدد ٩ ، عام ١٩٣٨ .

٥٣ — كبرياء الحب

إسمعي يا من لقد خُنتِ الهوى ونسيتِ أو تناسيتِ الودادا
إن قلباً بالجوى أحرقته سوف أذروه بعينيك رمادا
وخضوعاً كان بي فيما مضى سيصير الآن كبراً وعنادا
وإذا حن فؤادي للقفا فسأجتث من الصدر الفؤادا

★ ★ ★

إسمعي لا تذكرى الماضي فلا رجع الماضي ولا البارح عادا
ودعي لا تقرئي في صفحة قد جعلنا أبيض الماضي سوادا
لا الأزاهير تبسمن لنا وتشاذين ولا الميأد مادا
وطيور الروض لا غنت ولا ستر الليل علينا حين سادا
لا تعانقنا غراماً مرة وتراشقنا من الريق الشهادا

★ ★ ★

أغضضي أو صغري حدك لي وخذي غيري عشاقاً جدادا
واهجريني وابعدي عني فلا أرهب المهجر ولا أخشى البعادا
وتناسي كيف شلنا غشنا قد هدمنا ما بنى الحب وشادا
وسأنساك ولا أترك في ذكرياتي لك ذكراً مُستعادا

★ ★ ★

* — نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر : مجلة « الأمازي » ، السنة الأولى ، العدد ١٠ ، عام ١٩٣٨ .

٥٤ — إليها

دعيني فقد أيقظت بي كامن الأمل
غدرت وجئت الآن تستغفريني
دعيني فلا قلبي عليك بعاطف
لقد ضل عقلي فيك حيناً وها أنا
ربيت على روحي نعم وعلى دمي
فبالبتي من قبل صدقت غدلي
بنيث وأعليث الأمانى ضلّة
طمست على قلبي فلا اسمك فرقة
وقلبك هذا يا لقلبك غادراً
فأذوق الذي قد ذقت أنت ظلمتي

وهيجت جرح الحب في قلبي الدامي
لنقصك عهد الحب من بعد إبرام
حنانا ولا دمعي لدى فرقة هامي
عرفت سبيل الحب من بعد تهيامي
ولكن . سدى ضاعت بحبيك أيامي
وطاوعت في بدء الملامة لؤامي
فهدمت لي بالغدر شامخ أحلامي
نقيش ولا زهر الهوى فوقه نام
سأسحقه — ثاراً لقلبي — بأقدامي
بحبي وآمالي ولست بظلام

* — نشرت في جريدة « فلسطين » — ١٨ : أيلول : ١٩٣٥ .

** — النص : (نقلاً عن مخطوطة) .

٥٥ - السكر شغلي

قالوا سيقـتلك الغـرا	م فقلت مالكمو وقتلي
إن كنت أرضى الموت في	حيي دعوا لومي وعذلي
قالوا ألا تصحو لنفـ	سك قلت: إن السكر شغلي
نشوان من ريق الحـيـ	ب وسحر الحاظ ودل
هم يا حبيبي يتغـو	ن فراقنا تفديك أهلي
لقد اعتصمت بحبل حـب	لك فاعتصم حبا بحبلي

٥٦ - لعبه

لعبه تُهدى للعبه	من فتى يكتُم حُبّه
أنت لو ترضين شيئاً	غيرها أعطاك قلبه
فاذكريه فهو قد أشـ	غل في ذكراك لبّه
قابلي الحسنى بعطف	هكذا تقضي المحبّه
ربما ساءك ما قلتُ	فجاوبت بعظّمه
إن تشائي فهو صدق	أو تشائي فهو كذبّه

* — نشرت عام ١٩٣٨ . أنظر : مجلة « الأمانى » . السنة الأولى . العدد ١ . عام ١٩٣٨ .

٥٧ - يا لائمي في الحب

لقد أغلقوا العالم في وجهه	وارحمنا للعاشق المستهام
فقطَّع القلب إذا لَمَّه	عادوا فخلوه كسراً حُطام
لم يتركوا المسكين في همِّه	بل حمَّله كل عبء الملام
يا لائمي في الحب دعني فقد	يزداد بالحب سعيُّ الغرام
تريد أن تطفئ نار الجوى	فتغرق الصب الدموغ السحام
«سلمى» ^(*) لقد تهتُّ فهذي يدي	«سلمى» - فقوديني غبر الظلام
أنت بصيصُ النور في ناظري	والخافقُ التائرُ بين العظام

* - سلمى : هي سلمى القرّة . ممرضة لبانية كانت تعمل في مستشفى نائلس . ويقال إن كل قصائد الحب كتب من أجلها .

٥٨ - يا حياتي

أنظري لي واجعلي العطف	ف يسيل من نظراتك
واغمزيني فلقصد طا	ل انتظاري غمزاتك
وابسمي لي يا حيا	تي فالن في بمساتك
ودعي صدّي فما كالصّد	لّد باللعشاق فاتك
لا تناسيني فأنتي	بالهوى من ذكرىساتك

★ ★ ★

افرضيني آدمًا أخطأ	ث لكنني أتوب
قد تعذبني فأنا	ن لفردوس أؤوب
أو ترضين لقابي	يتقلبي ويلوب
وشبابي بهامي	فيك يذوي ويلوب

★ ★ ★

أنظري لي واتركيني	أجتلى سرّ الفنون
يا عينيك ويالي	بهما جنّ جنوني
فيهما ما لم يكن هارو	ث يدري من فنون
أنظري لي واغرزي الأهدا	ب في قلبي الطمعين
اذبحيني بلحاض	وادفيني في الجفون

٥٩ — يا غزالاً

يا غزالاً صَدَّني ما أَجَلَّكَ	مُبْدَغُ الأَكْوانِ رَبِّي عَذْلَكَ
فِيكَ مَعْنَى كُلِّ حَسَنِ رَائِعٍ	عَرَفَ الْجَنَّةَ مِنْ قَدْ قَبْلَكَ
هَذِهِ الرِّيمُ فَسَلْها هَلْ لَها	مُقَلُّ حِوراءَ تَحْكِي مُقَلَّكَ
هي مِنْ جَنَسِكَ طَبْعاً إِنَّمَا	كُحِّلْها لَيْسَ يَضاهي كَحَلَّكَ

* — نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر : مجلة « الأمازي » . السنة الأولى . العدد ٧ . عام ١٩٣٨ .

٦٠ — مَنْ سَوَانَا مُخْلِصٌ فِي حَبِّهِ ؟!!

إِنْسِي أَنْتَ وَإِنْ فَرَّقَنِي	يَا حَبِيبِي عَنْكَ ، تَصْرِيفُ الزَّمَنِ
نَحْنُ رَوْحٌ وَاحِدٌ فَاعْلَمْ وَإِنْ	سَكَنَ الرُّوحُ بِأَشْتَاتِ الْبَدَنِ
أَنَا لَنْ أُنْسَاكَ وَالْحُبُّ الَّذِي	أَلْفَ الْقَلْبَيْنِ لَنْ أُنْسَاكَ ، لَنْ
مَنْ سَوَانَا مُخْلِصٌ فِي حَبِّهِ	مَنْ سَوَانَا شَأْنُهُ الْإِخْلَاصُ ، مَنْ ؟!!

* — النص : نقلا عن مخطوطة .

** — كتبها — الأبيات — على صورة له . أرسلها إلى صديقه وزميله في كلية النجاح « سعيد الستريسي » .

٦١ - عيبر

وَبُشِّرَ «سَيْفٌ» بِالْأُنْثَى وَلَكِنْ
وَلَمْ يَسْوَدَّ لِلْبُشْرَى، وَمِنْهُمْ
وَسَيْفٌ رَبُّ إِحْسَاسٍ وَلُطْفٍ
يَرَى فِي الشَّيْءِ مَا يُوحِي الْقَوَافِي
وَهَلْ أَدْعَى لَشَعْرِ مَنْ «عَبِيرٌ»
وَكَمْ شَعْرٌ سَوَّجِيهِ عَيْرٌ
سَتَلَهُمْ «طَيِّباً» أَحْلَى الْمَعَانِي
و«طَيِّبٌ» يَا أَخِي حَرٌّ أَبِي
وَمَنْ أَحَرَى بِحَبِّ مَنْ عَبِيرٌ
سَلِيلَةُ مَعْشَرٍ عَزُّوا
فَعَبَدَ الْقَادِرَ الْعَالِي أَبُوهَا
جَرَتْ فِي ذِكْرِكُمْ يَا آلَ زَيْدٍ
وَفِي بَغْدَادٍ لِي مِنْكُمْ عَشِيرٌ
يَقِيمُ عَلَى وَلائِي يَا حَنِيسِي
عَسَاكَ عَيْرٌ أَنْ تَأْتِيَ بِخَيْرٍ
فَتَنْسِي السَّيْفَ سَيْفَكَ أَبْنِيَاتٍ
وَيَنْسِي «شَوَكَتَ» دَرْساً عَسِيراً

«أَبُو الْوَضَّاحِ» أَجْزَلُ لِلْبُشْرِ
يَرَى الْبُشْرَى بِأُنْثَى كَالنَّذِيرِ
وَسَيْفُ الدِّينِ ذُو قَلْبٍ كَبِيرٍ
وَيَلْهَمُ شَاعِراً حَسَنَ الشُّعُورِ
تَفَقَّطَ عَنْهُ أَكْثَرُ الزُّهُورِ
إِلَى الشُّعْرَاءِ كَالطَّبِيِّ الْغَرِيبِ
إِذَا عَاشَا بِمَجْلَاهَا النُّضِيرِ
يَعِيْمُ بِحُبِّ أَشْبَاهِ الْبَدُورِ
وَمَنْ أَوْلَى بِشَعْرِ مَنْ عَبِيرٌ
بِتَقْوَى صَاحِبِي فَضْلٍ غَزِيرِ
أَبُوهَا صَاحِبُ الصِّيتِ الشَّهِيرِ
بِمَا يَحْلُو أَحَادِيثُ الدَّهْورِ
لَهُ رَسَمٌ عَلَى قَلْبِي الْكَمْرِ
لَمْ يَنْسَ مِثَاقَ الْعَشِيرِ
وَكَمْ أَنْثَى أَتَتْ فِي كُلِّ خَيْرٍ
مَلَكْنَ عَلَيْهِ انْجَاءَ الضَّمِيرِ
وَشَوَكَتُ ضَاقَ بِالدَّرْسِ الْعَسِيرِ

يخوض بحور علم وهو طفلٌ ولم يعتد على خوض البحور
عساها يا «أبا الوضاح» شكوى فتنى جدها «بنْتُ» المشير

* — عبر: ابنة سيف الدين زيد الكيلاني (أبو الوضاح). طَب: الطَّب عبد الرحيم محمود مواليد سنة ١٩٤٣. شوكت: خال — المولودة «عبر» — من نابلس. عبد القادر: عبد القادر الجيلاني — أحد أعلام الصوفية.

** — أمدني بهذه القصيدة — الضابط: يوسف أبو ريا — من حركة فتح — في أبريل — نيسان / ١٩٨٢ في بيروت. وهي منشورة سابقاً.

*** — البيت رقم ١٩: فُتني الهمُّ في الظروف العسير (في رواية أخرى).

**** — العشر (البيت رقم ١٤) = المقصود به — رشيد عالي الكيلاني.

٦٢ - جرحان

قد رمى الدهر فأصمى مرتين
 بأبي جعفر لُوعَتْ وهما
 زهرتا دوحه مجد وثقى
 صبر الدهر فلما كانتا
 راض عن قوس الرزايا أسهما
 لهف قلب الفضل إما يصطفى
 يا أخي جل الأسى فيك وقد
 والتأسي عز لا أدركه
 لا أرى قبلك مرزوداً به
 بُردئي دين وعقل راجح

يا الجرحين بقلبي دامين
 قد غدوث الآن أشكو لوعتين
 عبقث ريحهما في المشرقين
 ملء قلب، ملء سمع، ملء عين
 فأطاحت أسهم بالزهريتين
 جُنْدُهُ يودي الردى بالمصطفين
 عقل الرزء دموع المقلتين
 أين من يحكيك يا داوود أين؟
 قد تهادى خاطراً في بُردئين
 حبذا دين وعقل زينتين

★ ★ ★

إن يكن زين معروف فتى
 من ترى بَعْدَكَ للأيتام في
 من لحافين لقد عودتهم
 من لدور العلم يُعلَى صرحها
 من لخلائق لقد أوردتهم
 من لجود لم يعكزه أذى المن
 أنت للمعروف والإحسان زين
 زمن نال اليتامى منه أين؟
 أن يروا منك لدى الجلى يدين
 ويدين الجهل ديناً، أي دين
 منك خُلُقاً طاب كالماء اللجين
 من للصدق لم يكدر بمين

من ثرى للعمل الصامت والناس كسلى، كسلاً ذا شفيتين

★ ★ ★

يا أخي عزّ التأسّي من فتى	قبل قد نزة عن عيب وشين
قد فقدناك وخيراً زاحراً	فإذا نبكي بكينا فقدتين
وإذا الشاكل لم يلق غزاً	في الذي يبقى، يعيش في حمرةين
اسأل الله الذي أحزننا	بك، أن تحطى بأخرى الجنّين

* — نقلاً عن مخطوطة. وألقيت القصيدة في أربعين دارود طوقان.

** — العنوان «جرحان» — من (عندنا) مشتق من القصيدة.

*** — أبو جعفر: إبراهيم طوقان (الشاعر)

٦٣ — هكذا الأزهار تذوي

زهرة من طاهر الأخلاق بالثبل تفوح
قد ذوت عند صباها واختفى العرف المليح
هكذا الأزهار تذوي وهي رَيّا يا «نصوح»
فيظل القلب هيمان لدى الذكر ينوح.

* — نقلاً عن مخطوطة.

** — في رثاء «نصوح أسعد الطاهر». وكتب الأبيات على القبر.

٦٤ — بكى دما

أرى الدمع في عيني أليك لآلئاً	ولكن قلبي إن بكاك بكى دما
لقد كنت أرجو أن أراك ممتعاً	بعمرك، لكن احتضارك حتماً
فبت كفصن فص غص شبا به	وأسكن قبراً في القلاة مردماً
ولم أتزود منك نظرة وامي	أيا ابن أخي يتل من بردها الظما
هشام ذوى كالزهر في ميعه الصبا	فلله كيف الحُسن والتُّبل هُشما

* — نقلاً عن مخطوطة .

** — في رثاء « هشام فائق العارف » .

٦٥ — كنعان من زيتونه أهدى لها

مرّت على روض الحمام غادة تختال في حُسن لها قَتان
النور في وجناتها والسحر في بسماتها وبطرفها النعمان
سألت حمامة أختها ما سرّ ذا فأجابت الأخرى بخير بيان
كنعان من زيتونه أهدى لها هذا البها سلمت يدا كنعان

* — نقلاً عن صورة لإحدى جزارات الجرائد . نقلاً عن مخطوطة بخط يد علي فارس (من مخيم برج
البراحنة) في بيروت .

** — في صورة الصحيفة : البيت الرابع : كنعان من صابونه أهدى لها . وقد جاءت الأبيات دعاية
لصابون الحمامين بابلس (صابون كنعان) .

*** — زيتونه — كما في مخطوطة علي فارس .. ولا تناقض في المعنى .

٦٦ — نشيد : أنت للعرب

أنت للعرب أمين ربنا يحميك
أنت للجسم وتين كلنا نفديك
★ ★ ★

أنت عز للديار وهناء وسرور
أنت للظالم نار أنت للأوطان نور
★ ★ ★

أنت نجم قد أطل في سماوات الأمل
أنت سيف لا يُفل أنت في الدنيا مثل
★ ★ ★

رَجعت فيك الأُماني وصفا قلب الزمن
وعلا لحن التهاني فيك في أرض الوطن
★ ★ ★

نحن آساد القتال سِرُّ بنا نحو النضال
وأُتِر حُلُك الليالي بالمواضي والتّصال

* — نقلاً عن طبعة مركز إحياء التراث، المثلث، ١٩٨٥، تحقيق: حنا أبو حنا.
أنشدته فرقة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس سنة ١٩٤٤ م. ثم قامت الفرقة بإحياء حفل في
مدرسة النجاح، أنشدت فيه هذا النشيد، الذي أصبح يردده جميع تلاميذ المدارس.

٦٧ — أنشودة التجذيف

هيا بنا هيا هيا يا إخوان
نطوي الفلا طيا هذي هي الأوطان

★ ★ ★

بلادنا بانت بالأفق كالجنات
وأرضها ازدانت بالأهل والخلان

هيا بنا

شدوا فعن قريب ترسو على الشيطان
ونجلى الحبيب وطلعة الأخوان

هيا بنا هيا

شدوا فكم محبوب في الانتظار الآن
فيه المنى المطلوب والري للظمان

هيا بنا هيا

* — أنشدت في المهرجان السادس لكلية النجاح الوطنية في نابلس في عام ١٩٤٥ .. أو ١٩٤٦ ، وقام

بتلحينها عبد الودود رمضان .. أستاذ الرياضة البدنية في كلية النجاح .

** — بخط يد السيد مروان راضي الطاهر (صديق الشاعر) .

٦٨ - الشباب

أحب الشباب وما فيه من قوى ساحقات تَهْدُ الجبل
وأكره فيه انقياد القلوب لحكم الجمال وسحر المقل
ونسيانه أننا قد [أُنْظُنَا] بتلك القلوب لذيد الأمل
تريد لها أن ترى عارماتٍ بغير الغرام وغير الغزل
تريد لها أن ترى عارماتٍ بحب البلاد وحب العمل
أحب الشباب.. الشباب هيب تلاًلاً منه الشَّعْل
تضيء الطريق على مدلج وتهدى الذي تاه عنها وضل

* — بخط يد السيد مروان راضي الطاهر.

** — [أُنْظُنَا]: رصناها كما في الأصل.

٦٩ — أبيات متفرقة

١ — نَحْنُ نَفْدِيكَ

قصيدة أخرى مفقودة، لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات :
قَدْ نَثَرْنَا عَلَى ثَرَى الْوَطَنِ الْعَالِي قُلُوباً تَسْتَعِذُّ الْأَهْوَلا
يَا ثَرَابَ الْجُدُودِ صَبْرًا فَلَنْ نَهْدَأَ حَتَّى نَعْمَلَ الْأَخْوَلا
نَحْنُ نَفْدِيكَ يَا بِلَادِي فَلَسْطَيْنُ، نِسَاءً وَفَتَيَةً وَرِجَالَا

٢ — هِيَاثَ لِمَا تَدْعُونَ

من قصيدة مفقودة، يذكر الرواة هذين البيتين :
يَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ كَمْ مَرَّةً طَلَبْتُمُ الرِّصْلَ وَكَمْ تَطْلُبُونَ
نُقْطَعُكُمْ وَغَدَاً وَلَكِنَّمَا هِيَاثَ هِيَاثَ لِمَا تُوعِدُونَ!

٣ — رَسُولُ هَارُوثَ

وبيتان آخران من قصيدة أخرى مفقودة :
أَوْدَى بِقَلْبِي خُذْكَ الْمَتَوَرَّدُ وَسِهَامٌ لَحِظٌ لِلْقُلُوبِ تُسَدِّدُ
هَارُوثُ — أَنْتَ رَسُولُهُ لِعِبَادِهِ وَرِسَالَةُ الْعَيْنَيْنِ لَيْسَتْ تُجَحِّدُ

* — نقلًا عن : طبعة مركز التراث — تحقيق حنا أبو حنا ، الطيبة ، المثلث ، ١٩٨٥ . أنظر : ص ٣٢٦ و ٣٢٨ .

II

عبد الرحيم محمود
المقالات النقدية

ليس دفاعاً عن ابراهيم طوقان(*)

ولمحت له أن يبعد عن الاستشهاد بأمر يثير في الناس أشياء يجب أن تظل هادئة مستكنة .

سقت له كل هذا وعلمته إياه ولم أسأله رأيه لأنني في غنى عن رأيه ، ولقد مات غنى من علمني ولم يبق لي حاجة لعلم أمثاله . وإني لأرجو أن يكون السيد بطرس قد أقاد مما سقت له ، وأن يكون قد حفظ ما قرضه من مقالي في جيبه حتى يظل يتذكر وقد تنفع الذكرى المؤمنين وغير المؤمنين .

○ مصطفى الدباغ

ولا أريد أن أقول إن الأستاذ مصطفى الدباغ مثل كمال بطرس ولا أن أعامله المعاملة نفسها ، لأنني أجد فيه شخصاً آخر يحاول أن يثبت ما يقول بما يعتقد أنه الحق . ولست أزعم أنه يصدر عن سخيمة وإن كان لدي ما يثبت ذلك !! وإبانتة قد تكلفني تعباً ولست أزعم أنه مبطل كما أبطل كمال بطرس لأنه يدعي عكس ذلك .

ومصطفى الدباغ رجل جريء . ومن جرأته هذا الهجوم الكاسح الكبير على الشعر الفلسطيني والشعراء الفلسطينيين ومن جرأته ادعاؤه أن لكل قطر أدباً وشعراً ونحن نقول بالوحدة ، وحدة البلاد ونبنى ذلك على وحدة اللغة ووحدة أدبها . وأنه لمن الانفصالية بمكان ، والانفصالية بنت الاستعمار ، أن ندعو إلى الاعتقاد أن لكل بلاد أدباً خاصاً . فأبو نواس البغدادي أو البصري هو ملك لكل بلاد العرب ، وشوقي المصري ملك لكل العرب وإنتاجه تراث العرب كلهم ليس لمصري فيه نصيب أكثر

من كويتي ولا حضرموتي ولا عسيري بله سورياً أو عراقياً .

والأستاذ الدباغ جريء جداً لأنه يهاجم جيش الشعراء أوحدياً ويلوي بهم أياً الواء كما يقول عنترة كأن ليس له شعر وكأن شعره ، إن ظفر به مثلي ، بمنجاة من ما يرمي به شعر الآخرين من الخواء والاسفاف .

والأستاذ الدباغ جريء لأنه ، أول ما تناول شاعراً علماً بين شعراء العربية . وحينما حاول الهدم بدأ بالكبير وثنى بغيره فمن يليه ولا اخاله مبقياً كبيراً ولا صغيراً حتى لا يبقى في الميدان غيره .

وهو جريء أيضاً لأنه تناول في مقاله أديباً كبيراً جداً ألا وهو السكاكيني وأراد أن يرد إليه قوله في ابراهيم الذي نشره في مجلة « الأديب » . وجريء جداً (وهنا النقطة الحساسة) لأنه أقدم على المعركة وهو لا يحمل السلاح ، ولم يتزود لها بما يضمن له الانتصار والفوز .

○ آراء غريبة

ومن الغريب أن الأستاذ الدباغ حين يريد أن يستشهد ، يلجأ إلى أضعف شعر الشاعر ، أو ما يخاله كذلك ولا يزال يرى الضعف ويهوله ويكبره حتى يصل إلى ما يصبو إليه من إملاء رأي وإحقاق باطل .

فهو يتغاضى عن كل قصيد للشاعر يجمع القوة والمتانة والمعنى الرائع . ويجاوزه إلى غير ذلك ، وهو يحكم على قصيدة كاملة بيت منها كمن يحكم على القصر الفخم بحجر واحد منه ولا يراعي انسجاماً ولا وحدة ولا ينتظر النظرة الإجمالية إلى المعاني والأغراض .

○ الحق

والحق في النقد الأدبي أن يؤخذ كل أدب أولاً إجمالاً والحق والمعروف بين النقاد الفاضلين أن يحكم للأديب أو للشاعر بأحسن ما عنده لا بأسوأ ما عنده .

ومن الجرأة التي ذكرناها أن يسلك الأستاذ الدباغ مسلك غير النقاد الفاضلين الفاهمين لأصول النقد الأدبي .

الحق في النقد الأدبي أن يؤتى بأجل ما في الشيء ، ويهون ويرى ما فيه من نقص وبحكم . فهل فعل الأستاذ الدباغ ذلك ، هل جاء بعجائب الشاعر الكبير طوقان ووزنها؟؟ هل نظر إجمالاً إلى انسجام القصيدة عنده ، هل فعل الأستاذ الدباغ ذلك أو بعض ذلك؟؟ الجواب عن ذلك « لا » إذن ما قيمة النقد؟ وما أهمية الحكم؟

لقد راجعت نفسي مراراً قبل أن أكتب هذا الرد لأنني حزنت لمفهوم الأستاذ من النقد . ولمفهومه من استجمال الأدب . وقلت إن من العبث هداية من يصر على أن يضل الهدى .

○ مع هذا

ومع هذا دعنا نفهم معه ، إن أراد ، النقص الذي في الآيات التي أوردها .

قال ابراهيم :

عرف الناس والمنابر والأقلام أفضالكم فهاتوا سواها
كان أولى لكم لو ان مع القو ل فعلاً محمودة عقابها

○ رأي الدباغ

رأي الدباغ في هذين البيتين اللذين انتزعا انتزاعاً خفيفاً من القصيدة أن ليس فيهما ما يؤثر . وأن فيهما كلاماً عامياً . أو ما يقارب العامية من اللفظ .

○ رأيي ورأي أصول النقد

ولكن رأيي أن انتزاع هذين البيتين المسكينين من قطيعهما تجني وظلم . كمن ينزع الابتسامة من فم « الجوكندة » ويقول أنظر ما أبشع فم الصورة !!! وكمن ينزع المسيح من حضن أمه في الصورة ويقول أنظر ما أنقص الصورة !!! وكمن يستر جميع رأس الحسنة بما فيه الوجه إلا عذرة فيقول ما أبشعها . وإلا فما التساوق والانسجام إلا

تكملة جزء الجزء وإتمام جمال جزئي لجمال كلي .

إن الشاعر ابراهيم حينما قال هذا كان يألم لحالة ناس يحبون الظهور ولو على جثث الناس وينذرون لذلك بالمبابر والأقلام والتهويش ويمنون على الناس ذلك ويرعمون أنهم قاموا بجليل من العمل . آلمه ذلك فقال يخاطبهم بقصيدة منها هذان البيتان . إنه أي تهوين ، وأي إنقاص لا يمكن أن يصل إليهما بما أراد الناقد من إيذاء . حتى إن قطع هذين البيتين عن اخوانهما لم يذهب بقوتهما ولم يذهب بمعناهما فهما متأسكان ولو إنفراداً أمام هجمته الشعواء العشواء .

وإني لأجد أن أجمل ما في البيت الأول كلمة «أفضالكم» هذه الكلمة التي في محلها ولا يمكنك ولا يمكن أي إنسان أن يأتي بغيرها في محلها . فهي تحمل معنى السخرية والهزاء والزراية ، وكل ما أراد الشاعر الكبير أن يعبر عنه من الاستخفاف بما قام به هؤلاء المتظاهرون من جليل مدعى وعمل «إيجائي» مزعوم .

البيت الثاني

كان أولى لكم لو ان مع القو ل فعلاً محموداً عقباها

ولقد كان هذا البيت نتيجة ، كان نصيحة وموعظة .

والشعر إن لم يكن ذكرى وموعظة وعبرة فهو تقطيع ... كما قال شوقي . إن الشاعر ابراهيم بعد أن سخف أقوالهم غير المجدية أراد أن يدلهم على العمل . وهل ضيعنا يا ناقد الا أننا نقول ولا نفعل . وهل أضاعنا الا أننا نكثر من الأقوال ونقل ، بل لا نعنى بالأفعال . « كبر مقتاً عند الله أن يقولوا مالا يفعلون » صدق الله العظيم .

إذاً فالمعنى عارم ملآن . وإذن فالفكرة قائمة واضحة غير مبهمه في البيت والمنهى؟؟ المبنى يأخذ الأستاذ الدباغ فيه كلمة «أولى لكم» . ويقول عنها إنها من كلام العوام دارجة في لغتهم وعلى فرض هذا ، فماذا يبقى للشعراء إن أرادوا أن يتحاشوا ذكر كلمة مما ينطق به العامة . إذن فلنبحث عن لغة غير لغتنا ، ولتكن لغة دباغية ، إن شئت . وما العامية إلا الفصحى محورة . وما العامة إلا بعض العرب يتكلمون بلسان العرب وما

قولك هذا إلا عكازة ضعيف أرباً بك وأنت الأديب الكبير أن تقع في شططه وتهافته .
ثم لو أنك كلفت نفسك النظر في القرآن كما كان يفعل ابراهيم الشاعر الكبير لما
وجدت في كلمة «أولى لكم» عيباً فهي من كلمه وذكرت في أكثر من موضع فيه .
فقد قال الله تعالى في سورة محمد ﷺ ، حتى أدلك ، « فأولى لهم طاعة وقول
معروف » وقال : «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» صدق الله العظيم وأنت لو تبصرت في
ذلك لشهدت في ابراهيم غير ما شهدت ولفتشت لك عن حجة أخرى وباب للطعن
تلجه يسعك ولا يضيق عنك وبحشر حشراً يشمت بك الذين يعلمون أكثر مما تعلم .

البيت الثالث

وجاء الأستاذ الدباغ ببيت ثالث وظن أنه أصاب مجزأً بجيئه . وادعى أنه أفهم مردداً
له بما نقل عن البحري . والعارف للكلام يرى الفرق البعيد بين ما أراد البحري وما أراد
أخوه ابراهيم (وابراهيم في رأبي أخو البحري في مقدرته على إنتقاء الألفاظ ذات
الجرس) ولا أريد أن أفسر له ما أراد البحري وما أراد ابراهيم لأني أعتقد أنه لا يعني ما
قال من أن ابراهيم سرق ذلك من البحري .

وقصة الصدف واللؤلؤ ، قصة طويلة في الأدب العربي وتشبيه مشاع لكل شاعر
طرقه إذا كان يحتذى القرآن وهو قدوة الناطقين بالعربية . وكيف لا يكون هذا التشبيه
مشاعاً وكل إنسان يعرفه والقرآن أشاعه بقوله «أمثال اللؤلؤ المكنون» . وابراهيم حين
قال بيته :

والحور لؤلؤة في أثر لؤلؤة شكلن من غرف في القصر أصدافا

التفت إلى اللؤلؤ المقصور في الصدف ، «و حور مقصورات» تعبير قرآني ، ومن
أبلغ من القرآن ؟؟ وأراني أقول للأستاذ وأنصح له بعد هذا أن يردد طرفه في كتاب الله
ففيه عون على ما يريد من صقل لغته وإعلاء كعبه في اللغة لأنه لن يصل إنسان مهما
سما خيلاً وقوي مادة فكر أن يجيد صناعة الأدب إن لم يأخذ من لغة القرآن بطرف .
ولعلي سقت هذا النصح إلى السيد كمال بطرس ناصر الذي ادعى ما ادعى الأستاذ
الدباغ من عدم متانة ابراهيم في اللغة واللفظ . وإني لأسوقه إلى كل متأدب وخاصة

الذين يلجؤون إلى أدب النقد ويمسكون بناحية اللفظ والتركيب في انتقاداتهم .

○ ثم؟؟

ثم يدعي الأستاذ الكبير الدباغ أن ابراهيم لم ينظم بشتى الأغراض . فهل هذا صحيح؟؟
على فرض الصحة ، فعدم نظم شاعر شتى الاغراض ليس دليلاً على ضعف الشاعرية .
وإننا لنجد في الشعراء ، وفي مقدمي الشعراء من اختص بغرض واحد . فزهير مثلاً
مختص بالحكمة والمدح ، والأعشى بالهجاء والمدح ، وعمر بن أبي ربيعة بالغزل ولكن كل
هذا لم يزر بشاعرياتهم جميعاً ولم يقل إنسان إنهم غير شعراء . بل أخذ ما قالوا كعنوان
لما حواه الغرض من أقوال فيه .

○ ومع هذا

ومع هذا فابراهيم لم يكن مجدباً بناحية من النواحي الشعرية فلديه الوصف
و « الحبشي الذبيح » والراعي . وغيرهما دليل قاطع مانع أنه كان وصافاً ووصافاً
ماهراً . ومع هذا أيضاً فإنك لا تقدر أن تدعي ذلك حقاً لأن الشعر ذاته والشعر كله
وصف حسب أصول النقد . فالغزل حين يتغزل وصاف ، والهاجي حين يهجو
وصاف ، والمادح حين يمدح وصاف وكل ضروب الشعر وصف إن لم يكن لمادة
فلمعنى ، وإن لم يكن لجسم فلروح وهل الألم والحزن في الشعر وهل الوطنية والحماسة
إلا وصف لإحساس وغريزة؟

لكننا هو التحامل ولكننا هو الجدل الذي لم يقصد به وجه الله والحق والأدب .

○ عود على بدء

أعود فأقول إن من الظلم ألا يستشهد على قوة شاعر أو على ضعفه إلا بيتين أو
ثلاثة وهو ذو آلاف كما أنه من الاجحاف بالحق أن نحكم على إنسان إلا بخير ما عنده
من ناحية الأدب . ورب قصيدة واحدة في ضرب واحد تجبر النقدة أن يعلنوا صاحبها .
وهذا ليس جديداً فالقدماء حكموا لأصحاب المعلقات بمعلقاتهم ومن بعدهم حكموا

المبوصيري بميمته ولشوقي ببائته . ولن تعدم في شعر ابراهيم قصيدة واحدة تحكم له بها
في الشاعرية العظيمة والسبق والخلود إلا إذا كنت لا تريد ذلك ولن تضيره لأنه لا تعدم
الحسناء من عائب .

١- ما جبران؟

هذا المقال كتبه فناة ترى شخصيتها بارزة فيما
كتب مع أنها أرادت أن تسر عن القراء نصف اسمها ،
ويعجبك من هذا المقال صراحة قل أن يتصف بها الناس
وذوق لا تراه عند كثيرين وجزالة يقصر عنها نفر من
الفحول .
« الأمالي »

إن لقراءتي أدب جبران قصةً طويلة تحتاج إلى مقال خاص . فيه وصف للحياة
التعليمية ولعقليات بعض المعلمات اللاتي يجعلن من المدرسة ميدان شغب وكفاح
وتفاخر فارغ . وإن لها لحديثاً إذا قصصته على القاريء حزن كثيراً وضحك كثيراً وألم
ولو بعض الألام بما بين مريبات النشء الفاضل . من غيرة وتحاسد ، و « مناورات »
عدائية تُخرج المدرسة عن كونها دار تهذيب للنزعات غير الفاضلة وعن كونها مكاناً
تُلطف فيه غرائز القتال وحب السيطرة والظهور .

ملخص القصة أني تزاحمت أنا وأخت لي على تعليم الأدب في المدرسة وكان
ذلك في أول سنة لممارستي التعليم . وحين أبيت تدريس الرياضة ورفضت اقتراح المديرية
المضالعة مع مزاحمتي ؛ كان لا بد من وقفة تفاخر . فراح « فلانة » تقول إنها تحيد
تعليم الأدب أكثر مني وأنها قرأت أدب الفرنجة وحفظت للحريري من مقاماته ودرست
لفلان وفلان وفلان وجبران قلت لها : « إني لا أنكر عليك رسوخ قدمك في الأدب
بعد إذ عددت ما عددت من أعلام ولكنك نسيت شيئاً مهماً . نسيت القرآن
والحديث !! » .

وكانت لنا زميلة ورعة مسلمة أعجبتها قولي فردّدت . نعم . نعم . القرآن والحديث .
إن من لا تعرف هذين لا تعرف اللغة ولا تعرف من اللغة .

الحاصل ... قضي الأمر وكان ما أردت لكن علماً من الأعلام التي عدّتها صاحبتني
ظلاً في خاطري . قلت : إن تقرأ فلانة أدب الفرنجة شيء حسن ؛ وإن تحفظ للحريري
هذيانه خير من ألا تحفظ له وإن تدرس فلاناً الكاتب وفلاناً الشاعر لا بأس به ولكن
ما جبران ؟؟ لقد كنت أسمع هذا الاسم وقرأت له مرة أو مرتين ولكنه لم يقع عندي
موقعاً ، وقلت : يا مريم !! هذا من لبنان ، كبره اللبنانيون عاداتهم في تكبير أنفسهم
فنفتت سوقه ؛ فما أغناك عن أن تضيعي وقتك به . جبران ؟؟ إن الاسم لا يبدو لي
رائقاً — It does not appeal to me .

جبران ؟؟ !! أية صيغة هذه ؟؟ اسم ممنوع من الصرف !!

ومضت الأيام : وأنا لفي قصة شاعر بائس مظلوم ، وإذا بمشاغبة من مشاغبات
الطالبات ترفع لإصبعها ...

— ما لك ؟ لماذا تقاطعيني كثيراً . قلت لك دائماً اكتبني سؤالك كيلا تنسيه أجبك
عليه في آخر الحصّة .

— يا معلمتي ... هذه مناسبة ... إن ما حدث للشاعر من ظلم ذكرني بما حدث
« لمي » .

وهنا ظهرت علائم الحزن على الوجوه ، كأنما ذكّرتن بموتاهن . وهنا كنت لا أقدر
أن أدير دفّة الصف . تلك تنهد . وتلك تُهز قبضتها . وتلك تتأفف .

وقالت لي نفسي : يا مريم أحسن ما تعملين أن تتكلمسي عن « مي » ... كوني
لبقة !!

قلت : نعم . نعم ... الشيء بالشيء يُذكر . وإن الظلم ، الذي جعل من شاعرنا
مبدعاً للمعاني ، خالقاً للأخيلة الجميلة . هو الذي سيجعل من « ماري » شاعرة
خالقة مُبدعة ، وفيلسوفة موفقة النظرة ... ودخلت المديرية في أثناء ذلك . وقام لها
الطالبات تحية وجلسن . واستأنفت أنا كلامي : وإني لأعتقد أنها ستزيد صفحة حزينه

ملؤها الشعاعية المظلومة ، فترفع بذلك من قدر الإنتاج الأدبي في لبنان خاصة والعالم العربي عامة .

وأردت أن أكمل فقاطعتني المديرية ... ودخلت في بحث عن لبنان لا طعم له ولا مناسبة . وخلعت على هذا البلد ألقاب المدح ... لبنان عبقر ... لبنان الجمال والنبوغ ... منه اليازجيان ومنه فلان وفلان وجبران . جبران الشاعر ، الرسام ، الفيلسوف ، المظلوم .

قالت فتاة : وما ظلامته .

قالت المديرية : عدم التقدير . (وهي تقصد بذلك الفخر وترجع إلى مشادة بيني وبينها أو بينهن تناولت أدباء النصارى . أو أدب النصرانية العربي ، أنكرت فيها أن يكون لهم كبير شأن ولذلك حديث خاص سأجته في نقله إلى القراء إن شاء الله » .

قلت أنا : نعم ... إن أعظم ظلم يقع بأديب ألا يُقدَّر أدبه ولكن ...

قالت تلميذة : ولكن ماذا ، يا معلمتي .

قلت : إن الأديب العظيم يظهره إنتاجه ويرفعه ما يقدم من الأعمال الخالدة . والإنتاج الأدبي كالإنتاج التجاري يكثر عليه الطلب إن كان ذا ميزات طيبة ، وهو إن كسد يوماً فلا بد من أن تريح تجارته عند رجوع الناس إليه مُستقبلاً . أما إذا كان الإنتاج من النوع الرخيص ، فهو لا بد كاسد مهما أثّرت حوله من « الدعايات » والإعلانات . « أمّا الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

قالت التلميذة المشاعبة المستخدمة للشغب عليّ : إذن تكلمي لنا عن جبران ، جبران المظلوم ، ما دمنّا في قصة الظلم منذ الساعة .

قالت المديرية : نعم ، تكلمي لهّن . وخرجت .

ماذا أقول؟؟ إني لا أعرف جبران ولا شيئاً عن جبران . فأخذت أصف لبنان وما يمكن أن يوحى من المعاني ، وما يمكن أن يخلق من أدباء ، وصفت الطبيعة وموثراتها ؛ قارنت المشرق بالمغرب وفارقت بين أدب الأندلس والمشاركة . وانتهت الحصّة وخرجت

وظنت التلميذات أن ما قلت كانت مقدمة للبحث عن جبران ولم يدر بأخلاذهن أن ذلك كان تخلصاً... خرجت وأنا أتمثل بقول هنيقة مع حفظ الفارق، طبعاً:

الله نجاني ونجى البقرة من جاحظ العينين تحت الشجرة



رحتُ إلى المكاتب أبحث عن مؤلفات جبران واشتريت وريقاتٍ عليها شعر سماها جبران «المواكب» وخلوت بهذه الوريقات أقرأها وبدأت بالمقدمة فإذا هي تنص: «أيها القارئ العزيز . أتعلم من هو جبران . جبران خليل جبران وكفى بهذا الاسم فخراً للناطقين بالضاد» .

قلت لنفسي : يا لي شقية . جبران فخر الناطقين بالضاد ولا أعرف عنه شيئاً؟؟ هذا جهل .

ومضى المقدم يطري ويمدح . حتى قال : « لا أخطيء إذا قلت ويقول معي كثيرون إن جبران قد أصبح أمير الكتاب والشعراء بلا استثناء» .

قلت : يا مريم !! هكذا أضعت السنين بين كتب الأدب ولم تقرئي لأمر الكتاب والشعراء بلا استثناء؟؟ إنك إذن لجاهلة .

قالت مريم : لماذا هذا اللوم . إنه لو كان جديراً بإمارة الكتابة والشعر لبايعه الكتاب والشعراء بدل شوقي ، خصوصاً والكتاب منشور منذ ١٩٢٣ .

قلت يا مريم هكذا يقول نقولا عريضة ..

وقلبت صفحات . وإذا بمقدمة أخرى ، تقدم الشعر ، تقدم الأدب نفسه ، لا الشاعر ، ولا الأديب . مثال ذلك أن يزرع فلاح قمحاً فيزكو ويؤتي أكله فيأخذه إلى السوق ، إلى البائع يبيعه له . فيمسك البائع بذراع الفلاح ويقدمه للناس السائمين ، قائلاً : هذه العضلات المفتولة أنتجت القمح ، هذه العضلات القوية لا تنتج إلا ما يروق وما يحسن . هذه العضلات ..» .

ثم يقوم البائع ، أو شريكه ويحفن حفنة من القمح ويقول هذا هو القمح ، القمح

الصافي ، القمح الذي من صفته كذا وكذا . وهذه طريقة طبعاً ، للإعلان يجيدها اللبنانيون كثيراً لما فيهم من طبيعة التجارة . أما البائع الآخر ... فهو نسيب عريضة !!! هو قريب نقولاً ، ربما ، أو شريكه ، فهما شركة .. سلعتها جبران !!

مقدمة نسيب عريضة محاولة لتفهم القارئ مغزى الشعر في المواكب . وهو يقول إن الشعر في المواكب مقاطع يقول كل مقطع واحد يحمل فلسفة تخالف فلسفة الثاني . يقول المقطع الأول شيخ اختمر تجربة ويقول الثاني شاب بسيط لم تدخله « ميكروبات الاختمار » . الأول يعيب تعقيدات الحياة ، والآخر يردُّ عليه ويدعو إلى حياة البساطة . (هكذا يقول السيد نسيب) يستعرض الشيخ مظاهر هذا العالم فيشبع كل مظهر تمحيصاً ونعتاً . ويظهر وجه البشاعة في هذا المظهر ومن هنا جاءت تسمية الكتاب « بالمواكب » .

وقبل المرور على هذه المقدمة أريد أن أفهم القارئ أن السيد نسيب عريضة يقول إن كل فكرة تتربك من مقطعين المقطع الأول للشيخ والمقطع الثاني للشاب كما مرّ ، والاثنان كما يقول السيد نسيب مختلفان . يعني أن الشيخ يقول شيئاً والشاب يُدحضه ويدعو إلى غيره . هذا ...

لندخل الآن إلى المتن . لنقرأ النص الشعري .

اقرئي يا بنت ... قرأت ... ففهمتُ من المقطع الأول والمقطع الثاني نفس الفكرة . في المقطع الأول :

فافضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر
يعني أن الناس يسوقهم بعضهم .
في المقطع الثاني :

خلق الناس عييداً للذي يأبى الخضوع
فإذا ما هبَّ يوماً سائراً سار الجميع
يعني أن يسوقهم بعضهم .

فالمقطعان متشابهان إذن . وليس هنالك نقض وردّ كما زعم السيد نسيب عريضة
لهذا فأنا أضرب بزعمه الأرض والحائط معاً ولن أحاول أن أفهم إلا ما أفهمه أنا نفسي لا
ما يريدني أن أفهم .

وهناك مقطع يتركب من بيتين يتلو هذين المقطعين ، لا قيمة له في البحث لأنه
عبارة عن تصفية موسيقية لا تمت إلى النغم بصلّة . لكنها تصفية يريد أن يחדش بها
الشاعر إذن السامع . تصفية ما أشبهها بكلمة « هه . هه » في أغنية أطفال الشارع :

يا كرمسطو ... هه . هه هزي وسطو ... هه . هه

يعلم الله أنني إذا قرأت الكتاب لم أفكر بقراءته للنقد .. قرأته لأستفيد . ولكن يا
خبية الظن !!

لم أجد في المواكب شيئاً جديداً . لم أجد استعراضاً شائقاً . وجدت باباً من
الفكر ... من الفكر المسموعة كثيراً .

لغة المواكب ... أية لغة هذه ؟؟

في الواقع ، إني لا أحب العنف في الأشياء كلها ، ولا أحب النقد الذي يراد به
الهدم لا العمران . في اعتقادي ، إن العالم محتاج إلى بناء ، محتاج إلى اصلاح ونفسي لا
ترضى عن اصلاح عنيف ... قصر عال ... مهما كانت هندسته ، سبّة في التعمير ،
فإني لا أطيق أن يوضع تحته البارود وينسف دفعة واحدة . لكني أريد ، أحب أن يُنْقَضَ
حجراً حجراً . قرأت للدكتور عمر فروخ مقالاته عن جبران ، وكنت أقرأها على مسمع
وبصوت عالٍ أمام الفاحرات المتطاولات ، فيسكتن فأتمثل بقول الراجز :

مالك لا تبيع يا كلب الدؤم قد كنت نباحاً فمالك اليوم

لكن مع هذا كله ولتوافقنا كثيراً في فكرتنا عن الرجل ، كنت أرى من العنف
الابتداء من حيث الإنتهاء .

ذلك إن أول مقالات الدكتور عمر فروخ كانت الإنكار ثم دّلل لماذا يُنكر . وهي
طريقة في الرياضة مشهورة ، طريقة فرض المسألة محلولة ؛ ثم البرهان . وهي أيضاً طريقة

في التربية تسمى الطريقة النازلة إلى العقل وهي إعطاء النتيجة والقاعدة أولاً ثم تثبيتها .
إلا أن الذي لا يعلم ذلك يعد هذا النوع من النقد تحاملاً ، وهذا الإصلاح هدماً .
ويعتذر الدكتور ، على ما أظن ، بأنه لا يكتب إلا للذين يفهمون ويريدون أن يعلموا .
والفلاسفة الأدباء ، أو الأدباء الذين تخرجوا في الفلسفة لا « يوارسون » ولا يلتوون
بأحكامهم فيقولون للكاذب : كاذب ولا يلففون من ذلك فيقولون للكاذب : لم تقل
الحقيقة ولم ترافق الصدق .

إن النواة الهابطة في معارج الخلود التي لا تمر ما هبطت بمن يُدعى جبران ، صورة
عظيمة وخيال ولكنها عنيفة في البدء .

سألتك الله ، ونحن في عصر الديمقراطية ، ألا يحق ويجب أن تعرف الناظرين إلى
القصر العالي على النقص فيه ، وأن تشير إلى سوء الهندسة قبل أن تنسفه .
إن المحكمة قبل أن تدين شخصاً تقول له « الحشيات » ثم تقول إنه مجرم وأن عقابه
كذا من أنواع العقاب .

لكن عذر الدكتور أن الحق لا يُستحيى منه . وعذره أن لا التواء ولا مدهانة ، ولا رقة
مع اخطيء . وهذه ، طبعاً ، خلة أراها كثيراً في الرجال ، الذين لا يطبقون إلا الصراحة
وقول ما في النفس كاملاً وغير منقوص كيفما اتفق .

إن من مقالات الدكتور الأولى مقالة عن شعر جبران ولقد انتقى مثلي مواكبه ولم يجد
الدكتور فيها كبير شأن ، ولا ما يحوج إلى المقام عندها فمضى عنها بعد قليل من
الكلام ، أرانا به قيمة هذا الشعر باختصار .

لكن أنا سأحاول أن أقف طويلاً قدر ما أستطيع استعرض مواكب جبران لأرى
وأري أنه لم يكن مظلوماً . وأنه قدر تقديرًا كبيراً ربما كان أكثر مما يستحق .

○ لغة المواكب

اللغة ، مفرداتها وتراكيبها ، ركن وطيد في إبراز الصورة جميلة ، وإن امرءاً يريد أن

يصف جميلاً وهو لا يُحسنُ أن يجد هذا الجمال كلماتٍ ومباني تسعه نسكين عني
وفي المواكب صُور من هذا العي وعدم المقدرة على ضبط ما سهل من قواعد اللغة،
مفرداتٍ وتراكيب .

وإنك ليطالعك في أول صفحة من المواكب غلط لغوي وعروضي فهو يقول :

فلا تقولنَّ هذا عالم علمم ولا تقولنَّ ذاك السيد الوقُرُ
فأفضل الناس قطعان يسر بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثرُ

والواجب في « يندثر » أن تكون مجزومة لأنها جواب للشرط وإن حركت حاز أن
تحرك بالكسر وإذا حركت بالكسر كان الاقواء هو عيب من عيوب العروض . إلا أن
جبران الشاعر يجوز له ما لا يجوز لغيره فليرفع ولينصب كما شاء .

إني لأعجب للناس كيف يميزون للشاعر خطأ ويأخذون ذلك على الناثر . وإني
لأعده ضعفاً في الشاعر أن يتجاوز كثيراً فينصب ما حقه أن يرفع ويرفع ما حقه أن
يجزم . والملاحظ في مواكب جبران أنه لا يقيم لـ « مَنْ » الشرطية وزناً ولا يُعملها أبداً
كأنها لم تُرو عاملة عن وضعوا اللغة . وهو غير ما سبق يقول :

فمن يعانق في أحلامه سحراً يبقى ومن نام كل الليل يندثرُ
ومن يلازم ترواً حال يقظته يعانق التراب حتى تخمد الزهرُ

لقد نظر جبران في أفعال الشرط وأجوبتها ووجد أنه إذا جزم خرج عن البحر واختل
الوزن فلم يجد خيراً من أن يتجاهل وجود « مَنْ » المسكينة ، أو هو جاهل لها . من
يدري ؟؟؟ ثم ماذا ؟؟ أنظر قواعد اللغة كيف تُوثق وتُهدم . اسمع :

فسارق الزهر مذموم ومختصر وسارق الحقل يدعى الباسل الخطرُ

أنظر كيف رفع الباسل ، في حين أنها واجبة النصب لأنها مفعول يُدعى ، التي صار
مفعولها الأول نائب الفاعل وظل مفعولها الثاني مفعولاً . وعلى هذا فالخطأ لا يبقى عند
« الباسل » فقط بل يتعداه إلى « الخطر » التي يجب نصبها لأنها نعت لمنسوب .

وجبران يتجاهل حرف الألف بعض الأحيان لأن في قراءته وإعطائه حقه من فتح

الفكين ما يذهب بوزن الشعر :

أمسلاً وهو الأمل
إحدى هاتيك العلل

وبما السعي يغاب
إنما العيش رجاء

فألف إحدى ضاعت ويجب أن تضع لأنه بغير ضياعها لا يستقيم تقطيع البيت
بتفعيلاته وقس على ألف إحدى ألف ماذا في قوله :

فإن لقيت مُجِباً هائماً كَلَفاً في جوعه شَبَعٌ في ورده الصَدْرُ
والناس قالوا هو المجنون ماذا عسى يغني من الحب أو يرجو قِصْطَبُرُ

و «الشرقي» وسكون يائها المضغفة أمر عجب في قوله :

فما طوت شمأل أذيال عاقلةٍ إلا ومَرَّ بها الفرقني فتشتر

وسكون فاء « جففات » في قوله :

هل جلست الغضْر مثلي بين جففات العنسب

أمر أعجب إذ القاعدة أن تحرك عين فَعَلَات إن لم تكن علة .

ثم أنظر إلى همزة الوصل التي تُقَطَّع إبقاء على الوزن في قوله :

والظرف في الناس قويه ، وأبغضهُ ظَرْفُ الأُولَى في فنون الاقتدا مهروا

مع أن الأصل في همزة الخماس أن تكون همزة وصل . ولكن عذيري ... والوزن
يريد هذا . وغير ذلك من أغلاط نحوية وصرفية كثيرة لو أرادت مبتدئة ممن أعلمهن أن
تجد كثيراً منها لو وجدت . كالغَدَّ المشددة في قوله :

فهو النبي وبرد الغد يحجبه عن أمة برداء الأمس تأثُرُ

والغَدَّ بالشدة لم يعرف ولكنه عرف على أصله الواوي وما كان أجدره باستعمال
الغَدَّو إذا كان لا بُد من ذلك . لأنه ورد بلغتهم وأمثالهم . غير أنه من يقول لنا إن

جيران كان يعرف ذلك؟؟ «وان مع اليوم أخاه غدوا» .

أما المفردات ، واستعمالها استعمالاً يدل على عدم معرفة مَعْنِيَاتِهَا فحدث عنه ولا حرج وإنه لكثير كثرة لا تطاق في مواكب جيران . وإني لناقله لك بعض هذه الأخطاء الكبيرة فهو يقول ، وعمر السامع يطول ، وصبره أيضاً ...

ليس في الغابات عدل
فإذا الفـزـلان جئت إذ ترى وجه المغيب
لا يقول النمر (واهاً) إن ذا شيء عجيب
إنما العاقل يدعى عندنا الأثر الغريب

« فواهاً » هذه كلمة تستعمل للتفجيع نادراً ، وللتعجب من الطيب دائماً والعرب قالوا :

واهاً بك وواهاً لك ؛ يعنون ما أطيبك وليس في « واهاً » معنى الاستهجان والمذمة كما يفهم القارىء . من شعر جيران بعد إذ سبقها العذل وتلاها ما يفيد ذلك .
«وَعَلْبَةٌ أَوْ غَلْبَةٌ» بمعنى الانكسار لا وجود له في اللغة إلا أن يكون ذلك في لغة العوام . إن جيران يقول :

ففي انتصارات هذا غلبة خفيت وفي انكسارات هذا الفوز والظفر
إن هنالك « غلباً » قال تعالى : غَلِبْتُ الرُّومَ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
سَيَغْلِبُونَ في بضع سنين . ثم أنظر إلى صيغة غير واردة أيضاً ، اسمع !!
من أمل بعم الخلد مُبْتَشِر ومن جهول يخاف النار تُسْتَعْرِ .

لاحظ «مُبْتَشِر» وخذ معجمات اللغة كلها وإنك لن تجدها . وبشرت الخشب فابتشر والخشب مُبْتَشِر غير مُسْتَبَشِر . وزيادة الهمزة والتاء التي يقصد بها المطاوعة . لا تدخل على اللازم .

قد يعرف جيران هذا ولكنه يريد أن يزيد صيغة جديدة إلى هذه اللغة الفقيرة .

ولكن ... ماذا تعمل بالوزن إنه يجر ما تجره القافية ، وإنه يُعقب ما أعقبه السجع
القاضي « قم » حين أراد قاضي قضاة بغداد أن يشكر له هدية فأحوجه السجع
والجناس إلى أن يكتب : أيها القاضي بقم ، قد عزلناك قمم . ثم ؟؟

وقل في الأرض من يرضى الحياة كما تأتيه عفو ولم يحكم به الضجر .

إن « عفو » هذه استعملت كما استعملها جبران الخط إلى تعبير العامة . والعرب
لم يستعملوها هكذا ؛ إنه يريد أن يقول : كما تأتيه كيفما اتفق وقدر . فجاء بما ينبغي به
من لا يعرف من العربية طرق الإبانة عن نفسه .

وهناك استعمال غريب أيضاً غير ما مر بنا ذلك قوله :

فإن تحرّز من أبناء بجدة يظلّ عبداً لمن يهوى ويفتكر

ولست أدري أنا ولا القارئ الملم بلغته ماذا عنى جبران بأبناء بجدة . إنه لا شك
يعني أبناء جنسه ويفهم هذا من القرينة والسياق .

ويقول العرب ذوو العربية إن فلاناً ابن بجدة وهم يعنون أن فلاناً العالم المتقن لأمر
ما . وبجدة الأمر داخله وباطنه وليس ثمت من معاني البجدة الجنس أو النوع . كما أراد
المرحوم جبران ولكن ماذا يعمل . إن هذا البحر من العروض يستلزم « أبناء بجدة »
هذه كي لا تتور أمواجه ، ويطغى .

هذه مأخذ نحوية ولغوية أخذتها للغته فقط ولو حاول غيري أن يجد غيرها لما أعياه
ذلك لأنها كثر في مواكب جبران ، التي بدت بأغلاطها كأنها مواكب مآثم حزن ، لا
مواكب مآثم الفرح والسرور . والفقيد المحزون عليه لغته مسكينة ، مسكينة جداً ؛
أما معاني المواكب ، فهي أعجب من لغتها ، شوهاء شوه اللغة التي في المواكب ،
سقيمة ، مسروقة . لها بحث خاص إن شاء الله .

« مريم ... »

2- ما جبران؟؟

بقلم مريم ...

قال لي أبي وهو يعظني : أي بنية !! إياك وحب الظهور فإنه دليل على النقص .
والساعي له صدقة تلفظها اللجة لتوهم الناس ، ولا تنى تلمع حتى يُلَقَّأها من يكسرهما
لاعناً فيها الآل الخداع والبارق الخلب .

أي بنية !! واللؤلؤة الفريدة مكنونة ، في ظلمات اليم مخدورة ؛ خفاؤها يحمل الناس
على إخفائها ولو ظهرت كالصدقة لصدفت عنها النفوس .

«ومحب الظهور وراء وليس كالزباء يذهب الأجر ويبطل العمل الصالح» .

ودخل أبي في صلاة قرأ فيها : « ولا تركوا أنفسكم » وظلت أنتظر حتى
أتم صلاته أبطأ ما يكون وقد يستبطن العجلان . ولما انفتل من صلاته قلت : وما دعا
إلى النصيحة هذه يا أبة ؟!

قال : تقدمت تقدمت ما استأذنتني لكتابته عن جبران ، (وهو يعني ما أولانيه أخني
الدكتور عمر فروخ من مدح توج به مقالي) .

قلت : يا أبت !! أتمنع الناس أن يشكروا الحسن إذا تراءى لهم ذلك؟؟ ثم ما
ذنبي؟؟

قال : كأني بك راضية عن ذلك ... انكن معاشر النساء لكذلك . ورحم الله شوقياً ...

قلت : لا يغرنى ثناء .

قال : ولا تعلمي لذلك !!! إياك !!!

وانطلق يسعى يميز العيال وطفقت أفكر فيما قال .



حب الظهور؟؟ هذا طبيعة في الأناسي . مظهر من مظاهر التسلط والرغبة فيه . والرغبة في السيطرة سنة ينتظم بها الكون ؛ وتنظم أحياءه كلها . فلم نعيب حب الظهور؟؟ وهو حب الحياة . ولم يحظر علي والدي أن أذبل ما أكتب باسمي كاملاً؟؟ إنه يقول لي دائماً : « الشهرة أحييل تعرقل فتحاشيها وابقى مغمورة خير لك وأبقى . في الظهور تعب والموج المتعب أكثر ما يكون على السطح الظاهر والإنسان لا يزال في تعب ما دام ظاهراً على ظاهرها فإن توارى طيها فقد استراح » .



حب الظهور غريزة مالكة ، أو بطانة لغريزة مالكة . وما حيلتنا بما خالط الدم في العرق ، إذن؟؟ لكننا هو العقل ، يعقل حراك النزعات ، خلق لذلك . فلو عاش الناس بغرائزهم وحدها على هنواتها لأكل قويمهم ضعيفهم كالسبع . ولو أراد كل محب للظهور أن يصل إلى بغيته ويهتدي على ضالته بدون قيد لتخريش كتاب العالم .

الدين — وهو العقل — في كل أمره جاء ليلطف الغريزة العارمة . ألا ترى حب الامتلاك قاد إلى السرقة وقطع الدين يد السارق حداً . وحب الاقتناء قاد إلى البخل — فالبخل غريزة — ودأوى الدين ذلك بالزكاة فرضاً . ألا ترى إلى تأمين الحياة Security of life الغريزة الأساسية كيف خفف غلواءها بارخاص النفس في جهاد وتفاني من أجل مبدأ .

العقل — وهو الدين — تُخلق ليعقل رجلي الغريزة فلا تمشيان إلا بقدر . ولا تخطوان

إلا بمقدار .

والرياء ، وهو حب الظهور ، أبطل الأجر وذهب بالثواب وهو عدم الظهور . ويكفي المرء خزيًا أن يقال له يا مرأي . فكأن المتشاهر ما تطاول إلا لينغمر ، وما علا إلا لينحط فيآليته ما تشاهر وما علا .

لكن الناس غير ديتين بالطبع لأن الشر أصل فيهم . فهل غير إبطال العمل والذهاب بالأجر دواء للمتكالبين على الظهور ؟

لعل حبَّ الناس كلهم للشهرة والسيطرة دواء لهذه النزعة ، « كما يتداوى شارب الخمر بالخمر » وكما يتداوى بجرثومة الحمى من الحمى . فإن اشتهر « زيد » غمره « عمرو » وإن تعالى عمرو حظه زيد والحرب بين زيد وعمرو عوان ، من قديم العصر وسالف الزمان ، وربما كان تضاربهما الطويل الذي لم يود بأحدهما بعد في النحو من أجل هذا .

زيد يرى في عمرو زيادة تجلب الشهرة فتجعله بدعاً في الاعلام ، وزيد كلما رأى هذه الواو أكلته نار الحسد فينشد يضرب . وعمرو يرى في معنى زيد زيادة يريدها لنفسه فوق ما عنده فيجعل يدس ويشغب . والحرب بينهما لا يبرحان ، حتى تتواري واو عمرو وتنقص زيادة زيد .

قال الناس وافتنوا في البحث عن أصل عداوة هذين . فقالوا إن الخصام من أجل داود الذي سلبه عمرو واو ، وقالوا غير ذلك . غير أن زيدا عربي ابن عربي وداود يهودي فليس من العقل والنقل في شيء أن يحارب زيداً عمراً هذه الحرب الضروس التي لم تضع أوزارها ولن ... من أجل يهودي ، إلا أن يكون زيد هذا أحد سكان بيت المقدس الذي بورك حوله .

أيها الباحثون . خلوا عنكم !! حب الشهرة هو الذي أفسد ما بين أخويكم فأصلحوا ذات البين . وإن بغى أحدهما فقاتلوا الذي يبغى حتى يفيء ... » .

أيها الباحثون !! عصي الشيطان ربه وغوى وأغوى من أجل الشهرة التي نازعه إياها آدم أو رأى أنه ينازعه عليها .

أيها الباحثون !! فأيا مخلوقين دقا بينهما عطر منشم فحب الظهور سبب . وأيما مخلوقين آخر نبعا لينباعا فحب الظهور أصل ؛ فتعلموا !!!



وحب الظهور بين جنسي الأوامم مختلف جداً . فهو بين الذكور يؤدي إلى سفك دم وإزهاق روح وطمس حقيقة ، غالباً . والتاريخ شاهد . وهو بين الإناث إسفاف وسخف . ويكفي أن تعرف أن إحدانا لتلبس ثوباً جديداً فتدور تريبه الناس فلا تترك طريقاً إلا سلكته ولا مزدحماً إلا خاضته . ويضيق العالم الذي يسع الناس كلهم فلا يكون إلا ثوبها الذي يسعها . وإن إحدانا لتتزين بخريصة فلا تفتأ تحكي عن غلاء الحلبي التي منها خريصيتها وتفني الحلبي إلا الخريصيات . وإن إحدانا لتتختم بمحيدة — الواحدة من الحديد — فلا تبرح تعرض إصبعها بمناسبة وغير مناسبة حتى لكأن جسمها كله تقلص إلى إصبع وتقمصت الأصبع في خاتم .

هذا الظهور السخيف لا خوف منه على بشرية . فهو من المحرم لذاته — كما في أصول التشريع — واكتفي بالهبي عنه — في الأحزاب — وتغريب الأهل من أجناسه « كذى العر يكوي غيره وهو راع » ومحبو الشهرة كذابون . لأن ذلك يستلزم التدليس والإدعاء .

ومحبو الشهرة سراقون صفات ليست لهم ويلبسون جلد غيرهم .

هذا غر لا يكاد يحسن قولاً ؛ يسمع بالشعر ويسمع أن له أوزاناً ، فينطلق ينظم ، ويقول هذا شعر !! فتقولين له : ولكنه غير موزون . فيقول : أعياني وزنه ، ولم أدر كيف يوزن ، وعز الميزان فقسته قياساً بالأسطرة وجعلت كل شطر طول الآخر وكل شطرين طول آخرين وما الفرق ؟؟ الوزن أخو القياس .

وهذا غر لا يكاد يفقه شيئاً يسمع بالقصة ويسمع أنها تعقب شهرة فبحيك قصة كيفما اتفق له . وجين تقولين له أين الحوادث ؟ وأين وأين ؟ فيقول أرى كأن نومي وقيامي وأكلي وما يجري لي غير حوادث ؟؟ ولقد ذكرت كل ذلك في القصة وحبيته حبكة مقتدر مقلد .

وهذا غر؛ يسمع أن هنالك منطقاً وفلسفة وأن أناساً يرحلون لهما إلى ألمانيا والناتيات ويتخرجون فيهما؛ فيغدو إلى أهله يهرف ويخرف. وحين تقولين إنك لا تفهمين ما يقول يجيبك إنها الفلسفة لا يعلمها إلا القليل.

وهذا غر؛ يسمع برفائيل ومشاهير المصورين فيرسم خطوطاً مستقيمة وعوجاً ويقول لك هذه صورة رمزية؛ وهذه رحة مثالية. هذا الخط المستقيم يرمز إلى استقامة الضمير الحي في العالم، وهذا المعوج المتأطر يعني المعوج في خلق بني آدم وفي طباعهم.

كل هؤلاء طلاب شهرة، يطلبونها بما رأيت من سفاسف. وليس عليهم حق، ما دمنا نعرف أنهم إنما يحاولون كفاية غريزة وسداد حاجة. لكن اللوم والعنبي على من يشدون أزرهم ويشجعونهم. فلا يقولون للشاعر إنك من الصنف الرابع من أصناف الشعراء وتستحق.... ما من حقه. ولا يقولون للمقاص: إن لما جئت به طعم قصاص لا طعم قصة. ولا يخفون نأمة المتفلسف ولا يهدون ضلالتة ولا يعقدون لسانه.

إن أخطر ما أرى على الأدب هؤلاء، المادحون المقرضون يقرضون الشهادات المفسدة وينعتونه بالمبدع والمفن ويصفونه بالخالق. هؤلاء خطر على الأدب.

ألا ينبغي أن نقول لمقرض التقريض إنه زور كذب. ولماذا لا نسفه ونرد شهادته دائماً.

أيكون «تقريض» الأدباء، أو المتأدبين بعضهم من قولهم الأيادي قروض وأصل المادة «قرض».

إن عتب أحداً على زور كذب من مقرضي الشهادات هؤلاء وعاب عليه استحسانه للمستهجن أجاب إن المسألة مسألة ذوق ومزاج، وأجاب إن الحسن والتبجح في الأمور النسبية، فلا عتاب ولا لوم.

في الرياضة، الواحد والواحد اثنان، لا جدال في ذلك.

وفي الأدب في كل شيء جدال، وفي كل صغيرة أقوال.

ولو كانت قضية « الواحد والواحد اثنان » من قضايا الأدب لتحل الناس وافتعلوا لها الأقاويل ، يروونها عن ثعلب والخليل . ولكان لكل منا رأي لأن قضايا الأدب الحكم فيها الذوق والمزاج ؛ والذوق والمزاج قاضيا النار في القبول الشهير : « قاض في الجنة وقاضيان في النار » .

جر هذا الحديث هؤلئك — للإبعاد الشديد — الناس من الأدباء يشكلون شركات الإنتاج والترويج ، ويعقدون تحالف دفاع وهجوم . إن قال أحدهم « فالقول ما قالت حزام » ولو كان أكذب من مسيلمة وبرق الصيف . وإن شعر أحدهم (صار شاعراً بضم العين) أخذ أحدهم البيت يتغنى به والآخر يرقص عليه . ولبيت العنكبوت أمتن ، ولشعرة في بيت شعر أغلى وأحسن . وإن قص أحدهم قالوا أوحى إليه ، وإن ملأ أوراقاً بهراء قالوا ذلك التنزيل وإن لم يكن فأخوه وإلا فابن عمه .

وإن وقف عاقل معترضاً يصيح بهم ما هكذا الشعر ولا القصة ولا التفلسف ، هاجموا كلهم ؛ ونزلوا به ونالوا منه على الشريطة بينهم ، وعلى الاتفاق المعقود والأصر المأخوذ .

هؤلاء ، لعمر أيت ، أعداء الحق وقباضو روح الأدب . يمدحون القبيح ويستقبحون المليح ؛ انقلبت أذواقهم ؛ ويريدون قلب أذواق الناس .

هؤلاء شركاء الظهور ، وانصباء الشهادة . أعبى واحد منهم شق الطريق للبروز في الأرض ، فتوسل بالجموع من شاكلته . وتطاول وعطا وشرأب ووقف على أخصصه ولكنه ظل قصيراً فاستحمل نفسه الاخوان من جنسه يرفعونه ولو قليلاً « والأبيادي قروض » .

نعم ... في بلد من بلاد العالم — ولا أعني لبنان — يوجد هذا . ولكن وجدانه يعني عدم الأدب .

مدح في مدح في مدح ... قتل النقد ، وخنق الإصلاح ، ورث الابتكار وصرنا نهدي ... وقلنا شعرنا ، وكتبنا ومدح في مدح ...

وإن تطل الحال يا مسمود كما ترى ، ضاع الجنى والعود

يعمل عامل فيسيء ، ويقصد أن يسيء فلم لا نؤاخذه بما عمل ، ولم لا نعلمه كيف يعمل ؟؟ ونفهمه أن يقول ذيت وذيت وإن يفعل كيت وكيت ، إن أراد أن يقول وأن يفعل ؟؟؟



إننا لا نفعل ذلك ؛ ولا نسكت — كما يسكت أضعف الإيمان . بل يروح واحدنا ومجموعنا يمدح ويطري ، آملاً أن يُمدح ويُطري أو يُسكت عنه غداً ، حين يسيء ويُسف «والأيادي قروض» .

كل كتاب يصدر ، وكل شعر ينشر ، في هذه الأيام فتح في التأليف وفتح في الشعر ، وابتداع لم يسبق ، ولن يلحق ، ولهذا قعد العاملون عن العمل ، أو عملوا بدون مستجيد ، لأن الصالح والمطالح جزأؤهما واحد وما الفرق بين الخير وأخى الخير إن تساويا جزاء وتشابها عقيب ؟؟ فيم إتعب النفس ؟؟

دخل « الزيف » إلى سوق الأدب فكسدت وقلق الشاري وتزعزعت ثقته وسيقل الطلب حتماً ، وسيقل العرض أيضاً ، عكس التجارة تماماً . وستصير الكتب وغير الكتب إنما تخرج لتدخل حوانيت البقالة يلف فيها الفلفل ، والبهار ، وكل هذا جره اخوان «الأيادي قروض» وشركاء «أرفعني أرفعك» .

وجبران ومن لف لفه من هؤلاء ، فإن أردت أن تفهمهم عند حد ، وإن حاولت أن ترى الناس ما في أعماهم كلها من « زيف » هاجموك وسلقوك بالسنة حداد باطلاً . وهكذا التحالف ، وهكذا الشركات ، وهكذا الاتفاق الأدبي الدفاعي الهجومي ... ! مقدمة طويلة لم أردّها وكنت أريد أن أكمل ما بدأت به من استعراض مواكب جبران الديوان البدع في الدواوين ، البالغ من الصفحات سبع عشرة عدداً ، ملأى ... إحساساً وشعوراً .

لكن ارجعي وقولي الأمر في الأدب أمر « كيف لا كم » ، « Quality not Quantity » . ثم ارجعي وقولي أيضاً إن المواكب ليست « كيفاً ولا كمأ » وكيفها أقل شأناً من

كمها . وكيف ذلك؟؟ ذلك أن لغة المواكب وقد رأيت ما هي ، تشبه معاني المواكب ، وسأريك ما هي .

ذلك أن معاني المواكب ليست لجبران . ذلك أن هذه المعاني قالها من قبل جبران بصورة خير من جبران ...
يقول جبران :

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا
وقول جبران هذا سمعناه كثيراً من كل زاهد ومن كل فيلسوف منذ خلقت الأرض
وعرف الأدب والفلسفة ، والشاعر القديم يقول :

الشر في الناس خلق والخير فيهم تخلق
ذو الفضل يكمد لكن أخو النقائص ينفق
ولو أردت أن أجيء على أسماء شعراء قالوا هذا لطلال التعداد ويكفي أن أجيء
بالمعري وبما قال في هذا الباب قال :

ألم تر أن الخير يكسبه الفتى طريفاً وإن الشر في الطبع متلد
وقال :

والشر في الجسد القديم غريزة في كل نفس منه عرق ضارب
وقال :

ونحن في عالم صيغت أوائله من الفساد ففني قولنا فسدوا
وقال :

في طبعنا الزيف والفساد وهذا الليل طبع لجنحه الحذر
(شدة الظلام)

وفي كل صيغة من هذه الصيغ التي صاغها أبو العلاء يظهر الفرق بين الشاعر
والباعر والمالك للغته وغير المالك ولكن مالي ولهذا :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا
قد يقول قائل : « إن أردنا أن نعيب على كل قائل قوله لأنه ردد معاني لغيره لم يكن
هناك في الشعر إلا معيب :

ما ترانا نقول إلا معلوماً ومعاداً من قولنا مكروراً
أقول ... إذن فأين الابتداع ، وأين الابتكار . وكيف يُرى الشاعر أنه شاعر إن لم
يبتدع وإن لم يبتكر :

وأقول أيضاً : إن الإنسان ليغتفر لمردد قول القدامى ترديده إن يلبس الصورة لباساً
جميلاً ، كما كان يفعل البحري وأبو تمام مثلاً ، فتبدو الصورة كأنها مبتدعة جديدة .
غير أن جبران لم يستطع أن يخلق ، ولم يستطع أن يجد الثوب اللفظي الجميل
للصور والمعاني يسلبها غيره فكان ذلك عجباً في عجب عجاب . وبدت هذه المعاني
بأطمار بالية من اللغة تراها ناكسة الرأس مكسورة الخاطر شأن السبايا الحائات إلى
أهلين وذويهن .

ولكي يعلم أني لا أتجنى على جبران سأنقل بعض المعاني التي أخذها من أهلها
غصباً ، وخاصة المعري ، فقام بما يقوم به أجبن جبان ... وأجبن جبان من يسرق الميت
وينهب الذي لا يستطيع رداً ولا حراكاً ، لأن الشجاعة في اللص أن يسلب الصاحي
القوي والجبن والخسة فيه أن يسلب الساهي الضعيف . والميت ساه ضعيف بل دون
ذلك بكثير بكثير لأنه لا يصحو ولأنه لا يقوى إلا في وقت معلوم هو بالتدقيق غير
وقت استضعاف واستغفال ...
يقول جبران :

وأفضل الناس قطعان يسر بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر
وأظن أنه يريد أن يقول وأكثر الناس ، لأن التفاضل أو التفضيل ناپ عن هذا
الموضوع ... والمعنى هذا ردد منذ أن عُرفت سيطرة الفرد على المجموع ، ومنذ حوول
اصلاح هذه الخلقة من خلال المجتمع ، إذ انطلق كل مصلح يقول للخلائق المستضعفة

إنهم مثل القطعان يرعاها فردٌ ظالم وهي إن لم تسر كما يريد صوتٌ عليها أو ساطها .

وأنتم القطعان يُرعىكم
وأبو العلاء . يقول :

إنما سائلكم دائب يرعى المطايا وسوق الحمير
واعتماد الفلاسفة أن يتحكموا بالدين انصناعي التجاري ؛ وبما أن جبران يريد- أن
يفلسف قال :

والدين في الناس حقل ليس يزرعه
من أمل بنعيم الخلد مبشر
ومن جهول يخاف النار تستعمر
رباً ولولا الثواب المرتجى كفسروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهـم
إن واظبوا وبخوا أو أهملوا خسروا

وقد جمع أبو العلاء كل هذا بيت واحد : ومثله كثير في لزومياته :

والدين قد خسَّ حتى صار اشرفه
فأي الاثنين أفاد ؟؟ ناشدتك الله !! ولم التطويل وإقلاق البال ؟؟ ناشدتك الله !!
والعدل .. يستعرض جبران مظاهر المنطق المعكوس في العدل :

فالموت والسجن للجاني إن صغروا
فسارق الزهر مدموم ومحتقر
والمجد والفخر والإشراء إن كبروا
وقاتل الروح لا تدري به البشر
والشاعر القديم يقول :

لا عدل في الناس قتل الفرد جرَّ فـا الجاني ولكن قتل الجمع مـغفور
المجرمون إذا حسنت جرائمهم
جوزوا وإن هي جلت شـعة جوروا
وسارق البـيض مأخوذ بفعلته
وسارق البـيض ممدوح ومشهور
طاف على الماء وهو، الوشك، مفجور
ما عدل أنباء حواء سوى حـبب

ولكن بدل أن يسرق جبران تشبيه العدل بالخَبْث المنفقوء فكر مماذا يشبهه ، مماذا ؟؟
بالثلج الذائب :

إن عدل الناس ثلجٌ إن رأته الشمس ذاب
وهنا العبقريّة ، وهنا النبوغ . فتعلّموا !!!
ويقول جبران :

فذا يعربد إن صلّى وذاك إذا أنرى وذلك بالأحلام يحتر
فالأرض حمارة والدهر صاحبها وليس يرضى بها غير الآنى سكروا
وكشاجمّ قال هذا :

هذه الدنيا كحان عسقت فيها الخمور
والأمانى كؤوس ويد الدهر تدير
إن نل منها رضىنا وتلا الهّم حبور
هكذا نحن سكارى وبنا حق السمور (الجزء)

يعني أن جبران وكشاجمّ قال كلاهما شيئاً واحداً ، سبحان الله !!! لا شك هذا
توارد الحواطر !!! وجبران يقول عن الشخص الآخر ذي الأحلام ومثل بعد كلام طويل :

وهو الغريب عن الدنيا وساكنها وهو المجاهر لام الناس أو عذروا
وأبو العلاء يقول :

والحر في أوطانه متغربٌ فتظنه في مصره بوبار (الموضع لا يسكن)
فأي القولين أبغ ؟؟ ناشدتك الله !!
ثم قول جبران :

والحر في الأرض ينسى من مزارعه سجناً له وهو لا يدري فيؤتسر
إن هوى النفس من قديم العصور شبه بسجن وقيد . وأينا زاهد قرأت له ، كأنني
العتاهية ، وغيره وجدت هذا المعنى منشوراً هنا وهناك :

أنت أسير لجود الهوى رهين حبس ليس يرضى الفكاك
قد كبلته بالقيود المنى فلم يعد يستطيع فيها الحراك
وقال أحمد بن عبد الله بن سليمان :

وقد غلب الأحياء في كل وجهة هواهم وإن كانوا غطارفة غلباً
وجبران شبه هذه المنى وما فيها من أمجاد بانفقايع العائمة ، الحب ، فقال :
إنما الأجماد سخر وفقايع تعوم
وأبو العلاء قال هذا في مثل هذا :

القلب كالماء والأهواء طافية عليه مثل حباب الماء في الماء
منه تمت وبأني ما بغيرها فيخلق العهد من هند وأسماء
وهذا أيضاً توارد أفكار وتصادف خواطر ؟؟ يا عجباً !!! ثم ؟؟

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يرجى فإن صار جسماً مله البشر
لم يسعد الناس إلا في تشوقهم إلى المنيع فإن صارو به فتروا
والثبتان هما معنى واحد كما ترى . ومعنى واحد مشهور يتضمنه المثل في كلمتين :
المنوع متبوع . أما في الشعر فحدث عنه ولا حرج :

لذة المرء أمل فإذا ما نيل مل
تحسن النهلة من غذب ولا يحلو القل

وأحب شيء إلى الإنسان ما منعاً ...

وأما وجبران يريد أن يعرف الناس أنه فيلسوف ، فسوف لا يكتفي بنقد الأوضاع
واسنخطاء النظم بل لا بد من التطرق إلى عالم « اللا شيء » والتكلم عن الروح :

وغاية الروح طي الروح قد خفيت فلا المظاهر تبديها ولا الصور
فذا يقول هي الأرواح

وينطلق جبران يعدد أقوال هذا وهناك وهي أمانة في النقل يُشكر عليها لأنه روى لنا

أقوال غيره وقال إنها لغيره على غير عادة ...

غير أنه لا بد من رأي خاص فقال :

لم أجذ في الغاب فرقاً بين نفس وجسد

وحرية الرأي حق طبيعي . ولكن ... هل صحيح أن لا فرق بين نفس وجسد في كل ظرف . أنا على يقين أنه غلطان وأن بين النفس والجسد بوناً عظيماً كما بين جبران والفلسفة .

والهوا ماء تهادى والندى ماء ركذ

والندى ماء ركذ؟؟ وهل هو إلا ذاك؟؟

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

أي : وظلال الحور حورَ ظن لئلا فرقد

قالوا دخل شاك على الملك في الأندلس يشكو له ناظر أحباس غمطه حقاً فوجد الملك في ظل كلما انكمش انتقل الملك ... ووجد حوله شعراء يقولون في ذلك ... فقال هو :

دب النعاس بأغصان وقد حمرت	أزهارها كعيون ضامها السهر
فنام بعضٌ وبعضٌ قام يحرسه	من مبغض راح بالأغصان يأنمر
كأنما الظل ظن الليل داهمه	فنام ما راعه هم ولا خطرُ
وتخلص الشمس من أجزاءه خلساً	وفي الظهيرة لم يظهر له أثر
كناظر الحبس أكال لعهدته	كنار ربي لا تبقى ولا تذرُ

وهذا من بدائع التخلص إلى الحاجة لقننيه أي حين كان يقرئني ما لا بد منه لأديب . فهل بعد هذا يقال إن جبران أجاد في هذا ، لأنه جاء بشيء جديد . اسحب استحسانك يا أخي يا دكتور عمر !!

والموت وما بعد الموت أمور لا بد للمفلسف أيضاً أن يلتم بها في تفلسفه وكذلك

فعل جبران :

والموت في الأرض لابن الأرض خاتمة
ومن يلازم تراباً حال يقظته
وللاثيري فهو البدء والظفر
يعانق التراب حتى تخمد الزهور
وأبو العلاء يقول :

فلا يهربن الموت من ظل ركباً
والغريب أن جبران يقف على المفرة الخاصة بالموت بيت يهونه على الناس فيقول :
إن هول الموت وهم ينشئ طمي الصدور
وهو تهوين مأخوذ من بيت أبي العلاء ، ويتلوه بيت آخر :
فألذي عاش ربيعاً كالذي عاش الدهور
وهو أيضاً مأخوذ من قول أبي العلاء :
أضحى الذي أجمل في عمره مثل الذي عوجل في مهده
والصوفيون يقولون :

« أول الحياة الموت ، والدنيا جسر القبر آخره » .

وداراً ساكن وحياة قوم كجسر فوقه اتصل العبور
هذا ... وهناك غير ما ذكرت معانٍ أخرى سرقها جبران ، دارجة بين الناس فقوله :
وقل في الأرض من يرضى الحياة كما تأتبه عفواً ولم يحكم به الضجر
والمعنى كما ترى مطروق مقول معروف منذ الجاهلية وامرؤ القيس يقول :
يطلب الإنسان في الصيف الشتا فإذا جاء الشتاء أنكسره
ليس يرضى المرء حالاً واحداً قتل الإنسان ما أكفّره

فأبّوخ بجذوة كجذوة حرارتها من الجاهلية ... !!! ولهيها عارية !! أما النادي والطبيعة وكل ما إلى ذلك فخلص اختلسها من آداب غيره . والرباعيات وشعر الفرس خصوصاً وشعر الفرنجة كثير الذكر لمثل هذا وإن شئت دللتك على « بيرون » في

الطبيعة ودو لامارتين . أما بيرون فقرأت له بلغته التي أعرف كيف أفهمه بها ، وأما دو لامارتين فقرأت له ترجمة .

ولقد ذكر لك أيضاً أخي الدكتور عمر نُحْلَسَ جبران من ابن العربي ومن غيره . وقبل الإنتهاء أحب أيضاً أن أزيد أن كل المعاني في المواكب الجبرانية تُرَدَّد أكثر من مرة فيها . ولو كلفت نفسك بقراءتها لوجدت ذلك في أول صفحة وفي كل صفحة ولقد مر بنا بعضها .

وذلك كما تعرف ثثرة .

وأبعد عن الثرثار حتى الورد من نهر على الظمأ اسمها الثرثار .

رحم الله جبران ... أخذ من وقتي أكثر مما يستحق ، وأخذ من الشهرة ما ليس به حريّ وقمين .

واللوم والعتبى على شركاء الظهور وعصابات التزييف وشركة « الأيادي قروض » .

مريم ..

أصناف السراقين

بقلم مريم....

لا يعرف الناس إلا نوعاً واحداً من السراقين وهم سراقو المال . ولأن المال عزيزٌ على النفس مُحبب إليها ، كان سراقو المال بغيضين مذمومين . ولأن المجتمع يستوحى الفرد في التشريع استن قطع يد السارق ، أو زجه في غيابات السجون إرضاء لاثرة الفرد المسروق منه .

وسراقو المال ، في نظري ، أهون السراقين شراً وأقلهم أضراراً . فهم لا يسرقون إلا عن عوز : والعوزُ ، لو كنت قاضية ، لعددتُه شبهة اتحامسى بها الحد ... أو عن حسد ، والحسد ، لو كنت حاكمة ، لتداركته بما يزيله من الحكم ؛ فأقويت القوي ، وقويت الضعيف ، وجعلت الناس سواسية ، مع تهذيب للغريزة ، وتطبيع على الخير .

أما السراقون السراقون فقد عميت عنهم الأبصارُ والقلوب فيفعلون فعلهم ولا من يقول لهم : يا سراقين . ولا من يحدّ .. وإنه لظلم ما فوقه ظلم !!!

ذه زوج مع زوجها وفراخهما . يظل رجل يحوم حولها ، ينصب من قلة دينه شراكاً ، ويسرق النظرات ... ويسرق فرصة يدعي لها فيها : أنها سرقت لبه وقلبه . ولُبّه في رأسه وقلبه في صدره لم يزالا .. ويظل يغزل ويغزل من الكذب خيوطاً حتى يسرقها من زوجها وفراخها ، زغب الحواصل ، فيسرق سعادة كثيرين بها ... !!!

وذا زوج مع زوجته وفراخهما ؛ تظل أنثى تترف حولها وتذر له في الطريق حب الأمانى ... ولا تزال به حتى تسرقه ، وتسرق به هناء زوج وهناء فراخ ، وصلاح بيت !!

تلك وهناك ومن شاكلهما، صنف من أصناف المراقين .. سراقى القلوب،
وناهي السعادات...!!

أي جزاء لهذين؟؟!! وأي حد؟؟

لا جزاء، ولا حد!!!



وذا فتى خلقه الله ليكون رجلاً، عودَ العذارى وملاد الحمى، إلا أنه لا يريد
ذلك...!!! فيذهب يسرق صفاتِ امرأة... يزجج حاجبيه، ويحمر شفثيه... ويمشي
يتثنى... ويتخفر— وللوقاحة خيرٌ من خفارتِه— ويكذب أن النبي قال:
اخشوشنوا... وإن الشاعر قال:

كعب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذبول

لا يمرّ بمرآةٍ إلا وقف أمامها يُصلح من زينته؛ ولا بزجاجة ولا ماء إلا راح يرى نفسه
فيهما... نرجسة الأسطورة...!!!

وهذه فتاة... خلقها الله لتكون امرأة... أمّا... إلا أنها لا تريد إلا أن تكون أبا. تهجر
الحذر إلى الطريق وتتقاسى... وتعاملُ الفتيان كما يعاملهم الفتى... وتحكي ما يحكي
الرجل!!! وتلبس ما يلبس... حتى هذه الشريطة من القماش المزوّق يضعونها في
العنق كالرسن.. وتتقاول.. وتسرق صفات الرجال...!!

وتمرين به وبها فلا تدرين أيهما الفتى... وأيها الفتاة!!

هذان سراقان... سراق أنوثة، وسراقة رجولة.

أي جزاء لهما؟؟ وأي حد؟؟... لا جزاء ولا حد... وإنه يُظلم ما فَوْقه ظلم.



وتذهبين إلى عملك مسرعة، فتلقاك صديقة فارغة... وتستوقفك تحكي لك
خرافاتٍ وهذاءٍ؛ وتستغيب المسكينات والمساكين... تمسك بطرف ثوبك فلا

تستطيعين فراراً . وحين يتعب ما بين فكّيهما — وما أظنه يتعب — تسيلك بعد إذ ربطتك
طويلاً ويعد إذ أخرتك عن ميعاد عمل خير !!!

وتذهبُ إلى عملك ويلقاك ثرثار . فيحدثك بذى شجون ... ويستطرد
استطراد أدباء الأقدمين ... ويجبرك أن تسأل : قل لي لماذا؟؟ فتقول ، وينطلق يشرح
لماذا ... وقل لي مثل ماذا؟؟ فتقول ، ويروح يفسر مثل ماذا ... ويهرب الوقت ويهرب
معه رزق العيال ، وقوت الأطفال ، وتؤوب :

والريح تصفر في جيبي فتملأها وليس تملأ ريح فارغ المغمّد

تلك ، وهذاك ، سراقان . يسرقان منك الوقت وكل ما في الوقت من خير . وهذان
ومن شاكلتهما سراقون ... سراقو وقت .

هل من جزاء؟؟ هل من حد...؟؟ لا جزاء ولا حد !!!

وهذه أمة ، تريد أن تحيا ، وتريد أن تعيش بحرية — وهل الحياة إلا حرية — فتأتي أمة
أخرى ظالمة ، نجدة واهية ... بنجدة الوصاية ، ونجدة التمدين ... !!!

فإذا الغنى يصبح فقراً ، والعلم جهلاً ، والقوة ضعفاً ... يسرقون كل ذلك وينكرون .
بل يسرقون اسماً فاضلاً ويسمون أنفسهم مستعمرين وهم المستخربون حقاً ... !!!
يوحشوننا ... ويكذبون إنهم يمدوننا !!!

وإن ثار الساكن ... وتورد المستخذي ... ضربوه وفرضوا عليه أن لا يقول حسّ ولا
بس ! يهبوننا الآلة ويخلون علينا أن نتألم ... ويوقعوننا في الشكواء ، وينكرون علينا
الشكوى فلا يُشكون .

هذا صنف من أصناف السراقين ... وهو أخطر الأصناف . لأنه سرقة بالجمّع ..
فيل من جزاء...؟؟ وهل من حد؟؟ أيها الناس ... أيها البشر !!! لا جزاء ، ولا حد !!



وذا شاعرٌ ... يكدح ويغوص في بحر الخيال فيصيب لؤلؤة في معنى ... بعد إذ
يوشك أن يغرق . ويأتي شاعرٌ ، لا يكدح ولا يحسن أن يغوص ... فيغزو ويسرق ...

ويدّعي الملك ... ثالثة الاثافي !!!

هذا ومن شابهه صنف آخر ... الشعراء السراقون .

وهذا الصنف أسخف الأصناف ، وأقلها خطراً وأدعاها إلى الضحك !! كما كان
صنف سراقي الحرية أخطر الأصناف ، وأدعاها إلى الاستفزاز !!!

ولكن ... هل من جزاء ، وهل من حد ؟؟

وهل لي أن أطلب إلى القراء أن يضعوا حدوداً ويستنتوا جزاء لمثل هؤلاء السراقين ؟

مريم ...

الأدب المسكين

بقلم مريم ...

أخي الدكتور!

لقد قرأت ما كتبت لي . وإن في قصة آلاف الآلاف لأعجب العجب !! آلاف الآلاف تذهب عبثاً في إقامة صنم تهذه نفخة وتحطمه همزة !!!

كان يجب أن تصرف على اليتامى والمساكين . كأن يجب أن يُشتنى بها ملجأ للعجزة والمجانين . كان يجب أن يطعم بها جائع ويكسى عريان . كان يجب يُعبد بها طريق في الجبل الجميل كان يجب كل هذا أو بعضه فيفيد من الناس آلاف الآلاف هذه . لكنها ذهبت هكذا هباء . وضاعت هكذا سُدى . ذلك الخسران المبين !!

أخي الدكتور!

ألم يكن في باب من أبواب الخير التي ذكرتُ ما يخلد الرجل ويرفع ذكره ؟؟ ألم يكن في أحد الأمور التي سلفت ما يضمن لجبران الشهرة التي ابتغاهَا له الأعوان والأنصار ؟؟ لكننا هو المنطق المعكوس : لكننا هو الظلم . فنسجل يا أخي !! سجل غلطة على غلطات جبران وأعوان جبران الإنسانيين .

الأدب مسكين ... يظنه كل الناس ذليل الظهر فيركبونه يحملهم إلى الشهرة إنهم
رأوا ألا سبيل إلى الظهور . فالحرب لا قبل لهم بها ولا قدرة عليها . والابتداع لا طاقة لهم
به ولا وسع . لا سبيل إلى الظهور ... !! لأن البلد قد كمل فما فيه محتاج ولا به حاجة .
فلمن يُحسن المحسن ليقال له : يا محسن ، فيشتهر ؟؟

بقي الأدب ... مسكين !! ركبوه كلهم ... !! كل من أجاد الأجدية عُذ أديباً .
وكل من تأتأ كالأطفال حسب منطقاً . وكل من هذر اعتبر شاعراً أو فيلسوفاً ... !!
مسكين !! كان اثنين ذليلين فجاء ثالثاً ... العير يربط على الخسف برمته ، والوتد
يُشج فلا يُرى له ، والأدب في لبنان يركبه الصبيان ، ويدعيه الغلمان !!
أخي الدكتور !

اعتقادي أن الأدب بضاعة ، لأن التأدب صناعة . والبضاعة تباع بثمن . وقد تعطى
بالمجان كرماء . أما أن تعطى البضاعة للشاري بالمجان ويُعطى فوقها ثمناً فهذا ما لم
أسمعه ولم أعرفه نزل بكتاب . ولم أر غير أدب جبران يُعطى شاربه ثمن أخذه .
اعتاد الناس أن يدعوا بالأدب إلى فكرة إنسانية عامة أو سياسية خاصة ولم يعتادوا
أن يدعوا للأدب نفسه إلا إذا كان هذا الأدب لا يقدر على الوقوف بين الناس بركات .
الأدب القوي يدعو لنفسه ، ويدفع بنفسه . وإن أقام الناس دونه سدوداً هدمها
ونُحطها .

ولو لم يكن أدب جبران كسيحاً لما توكأ على عكازة من مال ؛ وعلى عكاكيز من
أقلام مأجورة ، وضماير معروضة في كل سوق يُنادي عليها : يا من يشتري !! يا من
يشترى للتأييد والخذل ، وللدفاع والهجوم !!

لجماعة أن تتفق على زعيم وتجمع على رئيس في كل شيء ، إلا في الأدب . ولو صرف
الناس أضعاف ما صرفوا لما استطاعوا تخليد جبران عن هذه الطريق . فليستريحوا !! إن
عجل بني إسرائيل الذهبي لم يلبث طويلاً يُعكف له ، بل كُفّر به وشيكاً ، وقد ظل
ذهباً . فكيف بجبران الذي لن يظل ذهباً .

وقد قُلْتُ لي إن جماعة «الأيادي قروض» سيردون وسيحملون . وهم معنورون !!
إنهم يا أخي ، ضفادع جَعَلَتْ لها غديراً أسمته جبران ونَقَّت فيه ، ولا حياة لها بلا
غدير .

إنهم يا أخي ابتنوا حائطاً دعوهُ جُبران ، وعلّوه ليراهم الناس عالين !!
إنهم ، يا أخي ، ركبوا سفينة واهية تمخر بهم بحر الظهور الهائج المائج !!
فأنت حينما تهدم حائطهم الذي يريد أن ينقض وحين تحرق سفينتهم فإنما تهدمهم
وتحرقهم . إن جبران لهم مأدبة وكلهم طفيلي والغب (١) فلا تستغرب سخطهم إن حرمتهم
من التطفل والولوغ إنهم لم يغضبوا بجبران (٢) بل غضبوا لأنفسهم ... فاعذرهم وما
عليك منهم فسيكيفهم الحق وعملك له . وما يندبرهم لعل في ذلك فائدة لهم إذ يزدون
في الأجر ليحمسوا ويحسنوا الدفاع .

وقد اقترحت يا أخي أن نؤلف كتيباً في جبران وأخطائه وقد خطرت ببالي قصة
بهلول حين قالوا له : يا بهلول ، عُذ لنا المجانين . فقال : « لا بل أعد لكم العقلاء » .
فدعهم يا أخي يعدون حسناته لأن ذلك أهون فأخطاؤه أكثر من أن تحصى ولعل في
ردهم الذي يتوون أن يردّوا علينا ما يطلعنا على جديد لم تره عيوننا في الصنم الذهبي .
أما أختي في البصرة فوقها الله . إنها لم تفهم ما عنيت . ولو فهمت لما أخذت عليّ
قسماً من جملة انتزعتها فمسخت المعنى كالفاريء الواقف على غير موقف في قوله
تعالى : « فويل للمصلين » .

إن في المفراض أن الميت لورثته ما يتبقى بعد دين أو وصية . والذي للناس ، يا
أختي ، دين وأنا حاولت فرزه عن « تركة » جبران لأبريء ذمته ، وبعد ذلك تنالين
نصيبك وما أظن شيئاً ينالك .

أما قولك ، يا أختي ، لو كان جبران حياً لما تجاسرت أن أخط حرفاً ففرض باطل
وأولى لك أن تبحتني في الواقع . ويكفيك أن تعرفي أن أحتك « أخت الرجال » وإنها
تجاسرت أن تخط حروفاً في مأخذ على من لو قيس إليهم جبران لكان غلّة على جبل .

وإنهم لأحياء يرزقون . «ومن كان محقاً كان بالنصر حقيقاً ولا أرضى بباطل من حق» (٣) . فخل عنك ... وإلا فمدي يدك من البصرة وشدي بشعري إن أردت قتالاً . وإرفقي بأختك . ووفقك الله .

مريم ...

-
- (١) الوالغ أخر الطفيلي . هذا للشراب وهذا للطعام (الزمخشري : في «أعجب العجب») .
(٢) غضب بالميت ، وغضب للحي (المثل السائر) .
(٣) من هنا تعنى بدل . يا من لم تقرأوا القرآن وتسمعوا قوله تعالى : «أرضيم بالحياة الدنيا من الآخرة» .

فصل في الشعبة أو الشعوذة

بقلم مريم ...

حيرتني الشعبة والشعوذة أتى جاءت وأيةً سلكنا إلى لساننا . ولعلّي أقلّ من الأوائل حيرة . فقد دالوا ولم يتفقوا على إحداها « فالجوهري » نفى الثانية وأثبت الأولى « والثعالبي » نفى الأولى وأثبت الثانية (١) ، وفي « اللسان » : « إن الشعوذة مستعمل وليس في كلام أهل البادية » .

قلت : إن القول ما قالت حزام . أهل البادية ليسوا مُشعوذين ولا ينبغي لهم أن يكونوا ... إنهم قومٌ على صراط مستقيم . صَفَوْا نفوساً فلا شَيْه ، وطهروا قلوباً فلا خبت . والشعوذية والشعبة — لنرضي الجوهري والثعالبي — شائبة وَخَبَتْ لا يفعلونه فلا يقولونه . وإنهم لذلك دائماً :

سئل اعرابي : كيف تقول : استخذيت أم استخذأت ؟ قال : لا أقولهما . قيل : ولِمَ ؟ قال : لأنّي لا استخذّي .

والشعبة أو الشعوذة بنتُ حيوان (٢) معقّد كحيوان أهل المدن . ذلك أن ليس في البادية التواء ولا عوج ولا كذب ولا رياء . ذلك إن البادية صريحة ميكشوفة وغير البادية مُعَمّي مكفور (٣) والبدوي صريح ؛ إن أكل تمطّق وأسمع الجيران تمطّقه ، وخرج إليهم وله جشاة معناها أني أكلت وشبعت . وإن جاع غزا وصار من صعايلكهم وهو إنما يعني : أريد أن آكل وفي هذا صراحة صريحة .

أما المدنيّ فإن أكل أكل في زاوية ، الزاوية في حجرة ، الحجرة في دار ، الدار في دوار . وكل ذلك من صم الأحجار . هذا يطبق شفثيه ، ويضع يديه على فيه ويُقْبَعُ (٤) في قميص غليظة كيلا يراه جائع ويصره معتر . ثم يخرج على الناس ألصق بطنه بظهره ومشى متحانياً قائم الصلب ، متداني الخطو ، يوهم الناس أنه جوعان يستحق الشفقة والصدقة . وإن جاع ادّعى الشبع فنفع كرشه حتى تكاد مصرانه أن تفتق كذباً ... نصاب (٥) يريد أن يغرّر بالناس ليحجّر مغتماً ويرفع مغرماً .

المدني صخرة ، لا يحب ولا يبغض ؛ وإن أحب كتم ؛ وإن أبغض تكتم ؛ وقد يبدي الحب وهو يبغض ، وقد يبدي البغضاء وهو يحب ... شعوذة .

أما البدوي فحبه ظاهر وبغضاؤه كذلك ، يكشف لسانه ما كن جنانه ، لا يحسن مذمماً ولا يذم حسناً ... لا يشعوذ .

هذا تأويل قاله «اللسان» فليعلقه من اقتناه وليحشّه على «تاج العروس» من احتواه .

الشعبذة والشعوذة من كلام أهل المدن ومعناه من أفعالهم . أما المعنى فأصله ، كما ذكر ، من تعقد حيوان الحضر ومن التضليل الذي يستلزمه هذا الحيوان . وأما اللفظ فكيف جاء؟؟

رأيتُ الشين والعين إذا تتاليا بادی بادی فاءً وعيناً وعزراً بشالت كان في المعنى ريح التفريق . وقد تعبق هذه الريح حتى يشمها المزكوم ؛ وقد تقلّ وتقلّ حتى لا يشمها إلا الشموم الشموم . ولو حاولت رسم «خط بياني» بادئاً من أول المادة لتبين لك ذلك ولرأيت يعلو بلام ويهبط بلام (٦) . إلا أن الريح باقية في الكثرة والندرة .

«الشّع» من الشعبذة يفيد التفريق ولا يخفى أن المشعبذ نراه يكثر من الحركات والأقوال حتى يُفرّق انتباهنا فنذهل عما يقصد إليه .

يضع البيضة على راحته ويبدأ يقول ويكثر ، ويتحرك ويكثر ؛ يده تشير ورجله تركض وعينه تغمز ولسانه يلمز والناظر إليه يفرق ملاحظته بين كل هذا فلا يفتن للبيضة إلا

وقد احتفت . أين راحت ؟؟ وبحركة وحركات ؛ وكلمة وكلمات ؛ يخرج المشعبد البيضة من أنف الناظر فيكون أول ولود ييوض عُرف ... وتقول هذا هو السحر .

والباء والذال من شعبد معناهما الفوز والعَلبة ، من البَدْ فتكون « شعبد » إذن معناها التفريق فالفوز . وعلى هذا فالذي يُفْرَق فيفوز مشعبد أم مشعبد وعلى هذا تكون « بريطانيا » وأخواتها وهي « أم الباب » (٧) ، مشعبدات . تفرق الناس إلى طوائف لتسودها . فالهند — والأمثال تُضرب — لو برقت طوائفها مجتمعة لكان من ذلك بحر لجي يفرق العادين . إلا أن طوائفها شعبد عليها المتشعبدون ففرقوها طرائق قِدا فبرقت كل طائفة على أختها ففرقت ونجا الظالم وبَدَ .

وقد تكون الباء والذال من البَدْ (بالاهمال) وهو التفريق . والذال والذال أختان تنوب إحداهما عن الأخرى وتقوم مقامها لتقارب مخرجيهما . وقد قرأ الأعمش « فشرذ بهم من خلفهم » وأشار إلى ذلك البيضاوي وغيره بدون عزوٍ إلى أحد . وحديث أم سلمة للجارية حين سألتها مساكين : يا جارية أيديهم تمررة تمررة ، قاله بعضهم بغير الاهمال . والبذ كالبذ زنة ومعنى ولذلك قالوا : تمر بد أي مُفرق لا يلتزق ببعضه ببعض . وعلى هذا تكون شعبد فرّق وزاد في التفريق للتأكيد . كما تؤكد الفعل بآخر من معناه فتقول علوتُ ارتفعت .

فالمشعبد مُفرّق لغاية في نفسه يقضيها فليبتق الشعب المشعبدين لا يفرقوه إلى بطون وأفخاذ وأقل من ذلك . لأنني رأيت الخير كل الخير في الجماعة فالصلاة خيرها صلاة الجماعة وهي لا تزيد عن صلاة الفرد بقول أو فعل إن لم تنقص (٨) كأن الله يريد منا أن نعتقد أن الاجتماع أحسن من التفرق وأن أقرب ما نكون إليه مجتمعين . وأحدهم يقول لسانه : أحسن لنا أن نفرق مجتمعين من أن ننجو متفرقين ... أما قلبه فالله أعلم بما يقول ... !!!

هذي « شعبد » . وشعوذ ما أصلها ؟؟

أقول لعل أصلها من شَحَذ . والشَحَذ هو التحديد للغرب في كل آلة كالسيف والمواسي واستبدلت العين بالحاء لأنهما حترفا حلق مثل حشد وعشد بمعنى جمع .

وَحَوَّجَ وَعَوَّجَ سَيَانُ ثُمَّ زِيدَتِ الْوَاوُ فِي الْمَبْنَى لِتَزِيدَ فِي الْمَعْنَى (٩) . مِثْلَ عِلْدٍ بِمَعْنَى صَلْبٍ وَاشْتَدَّ وَعَلَوَدَ بِمَعْنَى زَادَ صَلَابَةً وَمَتَكَّنَّا فَلَا يَتَزَحَّزَحُ . وَمِنْ « شَحَذَ » أَخَذَ الشَّحَاذَ الْمُلَحَّ فِي الطَّلَبِ كَالشَّاحِذِ يَدَأُبُ عَلَى الْغَرَبِ بِحَدِّهِ .

فَالشَّحَاذُ أَخُو الْمُشْعُوذِ (١٠) يُلَحُّ فِي كَلَامِهِ وَحَرَكَتِهِ حَتَّى يَصْرَفَكَ عَنْ أَمْرٍ أَنْتَ لَهُ مُحِبٌّ وَيَأْتِي بِكَ إِلَى أَمْرٍ أَنْتَ لَهُ قَالٍ كَارِهِ . يَضْعُفُ الْبَقِيضُ وَيُقْوِي الشُّكَّ أَوْ يَجْعَلُ مِنَ الشُّكِّ يَقِينًا كَمَا يَخْلُقُ مِنَ الْبَاطِلِ حَقًّا ... « أَخَذَ كَالسَّحَرِ يُرِي الشَّيْءَ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ بِغَيْرِ مَا عَلَيْهِ أَصْلُهُ » (١١) وَأَزِيدُ أَنَا عَلَى « رَأْيِ الْعَيْنِ » رَأْيَ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةِ .

وَإِنْ كَانَ هَذَا فَكَلْنَا مُشْعُوذُونَ وَمُشْعُوذَاتٌ ، التَّاجِرُ وَالسِّيَاسِيُّ لِلْوَالِمِ فِي بَيْتِهَا وَكُلُّ رَاجِعٍ فِي رَعِيَّتِهِ .

وَالْمُشْعُوذُ يُدْعَى أَبَا الْعَجَبِ . وَهِيَ كُنْيَةٌ يَكْنَى بِهَا الدَّهْرُ الْمُتَقَلِّبُ ذُو التَّعَاجِيبِ . وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ أُمُّ الْعَجَبِ وَأَبَاهُ مُعَاً لِأَنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ كَالْمَرْأَةِ تَعْجِيباً وَتَقْلِباً . وَهُوَ يَدْعُوهَا : يَا مُعَلِّمَتِي .

قَالَ الْأَمِيرُ الشَّاعِرُ (١٢) :

وَقَالَتْ لَقَدْ أُرْدَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا فَقُلْتُ مُعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ لَا الدَّهْرُ

وَأَنَا أَزِيدُ — وَإِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ النِّسَاءِ — وَأَقُولُ مُعَاذَ اللَّهِ أَلْفَاً ... بَلْ أَنْتَ أَبُو الْعَجَبِ وَأُمُّهُ ابْنَةُ الْمَرْأَةِ ، لَا الدَّهْرُ . أَنْتَ خَيْرُ مَنْ شَعُوذٌ وَلَا فَخْرٌ ... !!! أَنْتَ بِنْتُ أُمِّكَ ... كَانَ آدَمُ فِي نَعِيمَيْنِ رِضَا الرَّبِّ وَالْجَنَّةِ فَأَخْرَجَتْهُ إِلَى جَحِيمَيْنِ ؛ غَضَبُ الرَّبِّ وَالنَّدَمُ فِي الْأَرْضِ ... أَخْرَجَتْهُ بِالشَّعُوذَةِ ... هَكَذَا .

الْجَنَّةُ الَّتِي عَرَضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا وَفِيهَا كَانَ آدَمُ قَانِعاً بِهَا لَكِنْ حَوَاءُ ضَيَّقَتْهَا عَلَيْهِ وَقَلَّتْهَا فِي نَظَرِهِ ، وَحَصَرَتْهَا كُلُّهَا فِي الشَّجَرَةِ الْمَحْرُومَةِ وَشَعُوذَتْ عَلَيْهِ وَأَخَذَتْهُ بِسِحْرِ فَأَكَلَا فَهَبَطَا مِنْهَا وَهَبَطْنَا نَحْنُ مِنْهَا لِلنَّعَسِ وَالشَّقَاءِ .

يَا تَرَى أَيَّ مَقْدَرَةٍ عَلَى الشَّعُوذَةِ أُوتِيَتْ حَتَّى أَضَلَّتْ نَبِيئاً مُقَرَّباً إِلَى اللَّهِ ؟؟ وَأَيَّةَ طَرَائِقٍ اتَّبَعَتْ حَتَّى أَرْتَهُ حَسَناً مَا يَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ ذَلِكَ ؟؟ يَا تَرَى أَيَّ لِسَانٍ ذَرَبَ وَأَيَّةَ حَرَكَةٍ خَفِيفَةٍ كَانَا فِيهَا حَتَّى أَخَذْتَهُ بِأَخْذِ كَالسَّحَرِ فَأَطَاعَهَا وَعَصَا اللَّهُ ... لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ

أنجيل هذا ولا بعضه...!!!

إننا منها بضعة ... تذهب إحدانا مع أبيها إلى السوق تتحوج لها حاجة واحدة فتشعوذ عليه وترجع بحاج (١٣) . وكفى بنا شعوذة إن بشعتنا بأحمر وأبيض وأسود تخلق من وجهها وجهاً سبحان الخالق ... واحد اثنين ثلاثة (١٤) وكانت بشعة فصارت جميلة وكانت ... باسم الله أعوذ فصارت ما شاء الله (١٥) رقيتك من كل عانة ... وفي الرجال مشعوذون !

يخطب أحدهم الناس من على مدفع وليس من على خشبة أو متن جواد ويحمل أحدهم مظلة في الربيع حين لا قر ولا حر . ويدعى أحدهم فخراً بهدم « الباستيل » وهو له في كل بلد من بلاد المساكين « بامتيلات » حشوها مظاليم مساكين !!! إلا أنه يريد أن يهوش ويشعوذ .. أي علينا (١٦)؟؟ ونحن بك مبتلون؟؟

وأبغض المشعوذين عندي جمعية المشعوذين في جنيف بلد الجَنَف ، والانتثار بالضعفاء . وأغرب ما أستغرب في هذه المنسرة أن كل واحد يعرف أن الباقيين يشعوذون عليه فيسكت وسكوته شعوذة . يا غرائب ... يا عجائب ...!! وأغرب من ذلك أننا كلنا نعرف ذلك ولكننا لا نزال نهرع مهطعين إليها عند الملزمة كما هرع أسد الله النجاشي ... يحمل إليها أنبياء الظلم كحامل التمر إلى هَجَر ... وهي التي تظلم ... وهي التي تقرر الظلم ... ثم شعوذ علينا تريد حملنا على الاعتقاد أنها من ذلك براء .
إننا، بني آدم، لا نزال نؤمن بالسحر ... بالشعوذة !

مرم...

-
- (١) تاج العروس . (٢) حياة . (٣) مغطى . (٤) يدخل رأسه في جيبه .
(٥) ليس في مادة نصب ما يقيد الاحتيال والغش بالمعنى الدارج ولعله الذي ينصب نفسه لعمل ليس له كأكبرسل وليس برسول ، والتورز وليس كذلك أو لعله من نصب الشرك ليصيد وعلى هذا يكون كل الناس نصابين .
(٦) اللام من « فعل » .

- (٧) في النحو : « كان » و « إن » أما بابهما ... ولهما امتياز كبريطانيا وفرنسا وأصبح وليت أختا كل على التالي فاعجب لأم وأخت معاً ... وأعجب لبريطانيا وفرنسا من أمهات يأكلن الأولاد كالضباب .
- (٨) في الصلاة وراء الإمام اختلف أصحاب المذاهب في قراءة المأموم في صلاة الجهر وعدمها . كما اختلفوا في القراءة في صلاة غير الجهر أيضاً .
- (٩) ابن جنى . (١٠) حُمل على صيغة المفعول للمبالغة . (١١) التاج . (١٢) أبو فراس .
- (١٣) جمع حاجة كساع جمع ساعة .
- (١٤) الأعداء المرسلة التي يقصد بها العدد فقط تبنى على السكون « درة الغواص وشرح ابن عقيل » .
- (١٥) كناية عن القبيح الذي يعاذ منه والمليح يمسح عليه بما شاء الله .. والعائنة التي تصيب بالعين .
- (١٦) حذف المنادي للعلم به ولشهرته . وأصلها أي هذا علينا تشعروا؟؟



سلمى القرّة

ممرضة لبنانية كانت تعمل في نابلس، أحبها الشاعر . وكتب عنها معظم قصائده الغزلية : وقد نشرت (الصورة) إلى جانب قصيدة عبد الرحيم محمود : «روحي فقد راح النّذي ينسا...» . أنظر : مجلة «المتنّدي» — عدد — ٤٩ — مجلد — ١ بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٤٧ . وقد عنقت المجلة قائلة : «أنى علينا الشاعر نشر صورته لئلا يتورط في غزل آخر» .

مؤلفات عز الدين المناصرة

- | | |
|--|--|
| <p>١ — يا عنب الخليل — مجموعة شعرية (١٩٦٨)</p> <p>٢ — الخروج من البحر الميت — مجموعة شعرية (١٩٧٠)</p> <p>٣ — قمر جرش كان حزيباً — مجموعة شعرية (١٩٧٤)</p> <p>٤ — باجس أبو عطوان يزرع أشجار العنب — قصيدة طويلة (١٩٧٤)</p> <p>٥ — لن يفهمني أحد غير الزيتون — مجموعة شعرية (١٩٧٦)</p> <p>٦ — جفرا — مجموعة شعرية (١٩٨١)</p> <p>٧ — الكنعانياذا — مجموعة شعرية (١٩٨٣)</p> <p>٨ — حصار قرطاج — قصيدة طويلة (١٩٨٤)</p> <p>٩ — مسطر حامض — مجموعة شعرية — تحت الطبع (١٩٨٧)</p> <p>١٠ — السينما الصهيونية — دراسة (١٩٧٥)</p> <p>١١ — الفن التشكيلي الفلسطيني — دراسة (١٩٧٥)</p> <p>١٢ — عشاق الرمل والمتاريس — مذكرات (١٩٧٦)</p> <p>١٣ — مقدمة في نظرية المقارنة — دراسة — تحت الطبع</p> <p>١٤ — شؤون فلسطينية — دراسات — تصدر قريباً</p> <p>١٥ — الجفرا والمخاورات — دراسات — تصدر قريباً</p> | <p>١ — يا عنب الخليل</p> <p>٢ — الخروج من البحر الميت</p> <p>٣ — قمر جرش كان حزيباً</p> <p>٤ — باجس أبو عطوان يزرع أشجار العنب</p> <p>٥ — لن يفهمني أحد غير الزيتون</p> <p>٦ — جفرا</p> <p>٧ — الكنعانياذا</p> <p>٨ — حصار قرطاج</p> <p>٩ — مسطر حامض</p> <p>١٠ — السينما الصهيونية</p> <p>١١ — الفن التشكيلي الفلسطيني</p> <p>١٢ — عشاق الرمل والمتاريس</p> <p>١٣ — مقدمة في نظرية المقارنة</p> <p>١٤ — شؤون فلسطينية</p> <p>١٥ — الجفرا والمخاورات</p> |
|--|--|

المحتويات

٥	○ مقدمة
٢٩	I ديوان عبد الرحيم محمود
٣١	١ — الشهيد
٣٣	٢ — شعب فلسطين
٣٥	٣ — حفي اللسان وجفت الأقلام
٣٩	٤ — موت البطل
٤١	٥ — أنشودة التحرير
٤٤	٦ — نداء الوطن
٤٦	٧ — بين الشرق والغرب
٤٧	٨ — وعد بلفور
٤٩	٩ — ذكرى الزمان
٥٢	١٠ — إلى كل متهاود
٥٣	١١ — أيام النضال
٥٤	١٢ — الغد
٥٥	١٣ — الحنين إلى الوطن
٥٧	١٤ — سياستنا تسال
٥٨	١٥ — رأيت فقلت
٦٠	١٦ — المسجد الأقصى
٦٢	١٧ — روض وإني عندليه
٦٥	١٨ — ذكرى ثورة دمشق

١٩	طوفان سوريا
٢٠	في العيد تلثم الجراح
٢١	يقطة النيل
٢٢	كان غازي
٢٣	يا عامل
٢٤	نحن المصادر والموارد
٢٥	إلى العمال
٢٦	ثورة العاملين
٢٧	رثاء حمّال
٢٨	في حالة غضب
٢٩	حجر في كتبان الرمل
٣٠	جفت على شفتي الأثافي
٣١	رهين المحبين
٣٢	قم بنا
٣٣	أحاجي
٣٤	نيسم
٣٥	بديع الشعر
٣٦	أخاف من العيد
٣٧	بعض اللزوميات
٣٨	كتاب أضاء
٣٩	ليلة ذات فجرين
٤٠	لما اكفهرت أوجه الليالي
٤١	كتاب لا يفie المدح
٤٢	« وأعدوا » .. لم يقلها ربكم عبثاً
٤٣	الفلاح
٤٤	حوشوا النبات من الشوارع
٤٥	قطر الندى
٤٦	نحوى المختصرة
٤٧	بيني وبين قلبي

١٤٢	٤٨- سلمى ارجيني
١٤٣	٤٩- راح الذي بيننا
١٤٥	٥٠- نون النسوة
١٤٨	٥١- مخلوقة أنت فلا تكبري
١٥٠	٥٢- جيش الحباب
١٥٢	٥٣- كبرياء الحب
١٥٣	٥٤- إليها
١٥٤	٥٥- السكر شغلي
١٥٥	٥٦- لعبه
١٥٦	٥٧- يا لاتي في الحب
١٥٧	٥٨- يا حياتي
١٥٨	٥٩- يا غزالاً
١٥٩	٦٠- من سوانا مخلص في حبه
١٦٠	٦١- عير
١٦٢	٦٢- جرحان
١٦٤	٦٣- هكذا الأزهار تذوي
١٦٥	٦٤- بكى دماً
١٦٦	٦٥- كنعان من زيتونه أهدي لها
١٦٧	٦٦- نشيد: أنت للغرب
١٦٨	٦٧- أنشودة التجذيف
١٦٩	٦٨- الشباب
١٧٠	٦٩- آيات متفرقة
١٧١	[II] المقالات النقدية
١٧٣	• ليس دفاعاً عن إبراهيم طوقان
١٨٠	• ما جبران ؟
١٩١	• ما جبران ؟
٢٠٦	• أصناف السراقين
٢١٠	• الأدب المسكين
٢١٤	• فصل في الشعبة أو الشعوذة

